

## بين يدي البحث

### تعريف السورة:

القرآن الكريم هو معجزة الرسول ﷺ ، وعلى وجه الخصوص في إعجازه البياني. وقد تحدى القرآن العرب أن يأتوا بسورة من مثله قال تعالى:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَأَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْطَئْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ ﴾ (يونس: ٣٨)، فما تعريف السورة؟

السُّورَةُ كما يقول الأصفهاني: "والسورة المترلة الرفيعة، قال الشاعر:

ألم تر أنّ الله أعطاك سورةً ترى كلّ ملكٍ دونها يتذبذبُ

وسور المدينة حائطها المشتمل عليها، وسورة القرآن تشبيهاً بها لكونه محاطاً بها إحاطة السور بالمدينة، أو لكونها مترلة كمنازل القمر، ومن قال: سورة فمن أسأرت أي أبقيت منها بقية كأنها قطعة مفردة من جملة القرآن، وقوله تعالى:

﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا ﴾ (النور: ١)، أي جملة من الأحكام والحكم".<sup>(١)</sup>

ويقول ابن منظور: "وهي كل مترلة من البناء، ومنه سور القرآن لأنها مترلة بعد مترلة مقطوعة عن الأخرى، والجمع سور بفتح الواو".<sup>(٢)</sup>

ويقول جرار في التعقيب على هذه المعاني: "ومعلوم أنّ السور في القديم كان يحيط بالمدينة، ثم هو يرتفع كثيراً بغرض الحماية والحفظ. وقد يكون معنى

(١) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (٢٤٧).

(٢) لسان العرب، ابن منظور (ج٤، ٤٤٦).

الارتفاع في السور وُلد في اللغة بعض معاني سورة، والتي منها الدرجة الرفيعة والمتلة العالية... وعليه فإن اسم السورة يتضمن ومعنى الإحاطة، وعنى السمو والرفعة. ومعنى الإحاطة يتضمن الاشتمال، والتميز وتحديد المعالم؛ فالسور يشتمل على المدينة وما فيها، ثم هو يحدد معالمها ويميزها عما سواها ... فسور القرآن الكريم تحيط بعلوم شتى، وهي تسمو وترتفع، وهي تحفظ وتقي".<sup>(١)</sup>

### أسماء السور: توقيفي أم اجتهادي؟

جمهور العلماء من أهل القرآن وعلومه على أن أسماء سور القرآن كلها توقيفية عن النبي ﷺ، حيث جعل لكل سورة اسماً خاصاً بها.

قال الزركشي رحمه الله: "ينبغي البحث عن تعداد الأسماء: هل هو توقيفي، أو بما يظهر من المناسبات؟ فإن كان الثاني فلن يعدم الفطن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها، وهو بعيد".<sup>(٢)</sup>

وقال السيوطي رحمه الله: "وقد ثبتت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار، ولولا خشية الإطالة لبينت ذلك".<sup>(٣)</sup>

وقال ابن عاشور رحمه الله: "وأما أسماء السور فقد جُعِلت لها من عهد نزول الوحي، والمقصود من تسميتها تيسير المراجعة والمذاكرة".<sup>(٤)</sup>

(١) من أسرار الأسماء في القرآن الكريم، بسام جرار، (٩).

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (ج ١، ٣٢٩)

(٣) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، (ج ١، ١١٥)

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور (م ١، ج ١، ٩٠)

وقد اشتهرت روايات كثيرة تفيد أن جبريل عليه السلام كان يعلم الرسول ﷺ القرآن الكريم ويبين له موضع السور ويأمره بوضع الآيات المتزلة في سورتها المذكورة، كما كانت أسماء السور معروفة على عهد رسول ﷺ ومشهورة، وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على أن هذه التسمية كانت متداولة في ذلك العهد. ففي صحيح مسلم وغيره أن النواس بن سميان قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران، وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد، قال: "كأهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأهما حزقان من طير (جماعتان من طير) صواف تُحاجَّان عن صاحبهما".<sup>(١)</sup>

وفيه أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة".<sup>(٢)</sup>

وفيه أيضاً عن حذيفة قال: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت يصلي بها ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء، فقرأها، ثم افتتح آل عمران، فقرأها... إلى آخر الحديث.<sup>(٣)</sup>

(١) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري (حديث ٨٠٥، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة).

(٢) المصدر السابق (٧٨٠)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد).

(٣) المصدر السابق (٧٧٢)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل).

وفي الحديث الذي يرويه سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه في قصة الرجل الذي أراد أن يتزوج امرأة، وليس معه شيء من المال، فقال له النبي ﷺ: "ماذا معك من القرآن؟"، قال: معي سورة كذا، وسورة كذا عدّها قال: "أتقرؤون عن ظهر قلبك؟"، قال: نعم قال: "اذهب، فقد ملّكتُكها بما معك من القرآن".<sup>(١)</sup>

وعن عبد الرحمن بن يزيد قال: "سمعت ابن مسعود رضي الله عنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم إنهن من العتاق".<sup>(٢)</sup>

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قرأ سورة النجم فسجد بها، فما بقي أحد من القوم إلا سجد، فأخذ رجل من القوم كفاً من حصي، أو تراب، فرفعه إلى وجهه، وقال: يكفيني هذا، فلقد رأيته بعد قُتِلَ كافرًا.<sup>(٣)</sup>

وقد ثار جدل قديم بين العلماء حول أسماء السور القرآنية هل هو وحي من الله تعالى أم باجتهاد الصحابة رضوان الله عليهم، فإذا انطلقنا من فرضية أن الصحابة هم الذين وضعوا أسماء السور القرآنية، فينبغي مناقشة الإشكاليات الآتية:

١. من خلال الرجوع إلى كتب علوم القرآن الكريم يلاحظ أن بعض سور القرآن الكريم لها أكثر من اسم، وأن بعضها الآخر لها اسم واحد فقط، وبالتالي لو كان الصحابة قد سَمَّوْا السور فكيف اتفقوا على أسماء السور التي

(١) صحيح البخاري، محمد اسماعيل البخاري (٥١٢٦)، كتاب النكاح، باب النظر إلى المخطوبة قبل التزويج.

(٢) صحيح البخاري، محمد اسماعيل البخاري (٤٧٠٨)، كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة بني إسرائيل.

(٣) صحيح البخاري، محمد اسماعيل البخاري (١٠٧٠)، كتاب سجود القرآن، باب ما جاء في سجود القرآن وسننها.

لها اسم واحد وهي الأكثر، واختلفوا على أسماء السور الأخرى، وإذا كانوا هم الذين سَمَّوْا كل الأسماء بما فيها المتعددة فلماذا اتفقوا على إعطاء أكثر من اسم لهذه السور دون غيرها؟

إذا كان الصحابة رضوان الله عليهم هم الذين وضعوا أسماء السور فإن ذلك يضعنا أمام إشكالية ثانية، وهي أنه لا بد لهذه التسمية أن تكون مفهومة ومبررة ومُدْرَكة لمن يأتي بعدهم، على الأقل للعلماء الذين جاؤوا بعدهم، ولكن الواقع يقر بوجود ندرة في بيان وجه التسمية للسور في كتب التفسير وعلوم القرآن على الرغم من أهميته، ومع وجود استفادة من قبلهم في كثير من الأمور التي لا تزيد أهمية عنه.

كما يتضح للناظر في وجه التسمية أن بعض السور يمكن إدراك وجه تسميتها بسهولة مثل سور يوسف ونوح والجن، ولكن بعض السور قد نجد أنه من الصعب إدراك وجه التسمية فيه مثل سورة البقرة التي تتكون من ٢٨٦ آية وقصة البقرة تأتي في سبع آيات فقط (٦٧-٧٣) أي ما يساوي ٢% فقط، فلماذا يترك الصحابة مواضيع أخذت مساحات أوسع من ذلك، مثل الحديث عن بني إسرائيل الذي وقع في الآيات (٤٠-١٢٣).

وهناك مثال آخر وهو سورة يونس حيث لم تذكر قصة يونس في هذه السورة بينما ذكرت في سور أخرى، وما ذكر في سورة يونس، هو آية واحدة فقط عن قوم يونس وهي قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَدَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ

حين ﴿يونس: ٩٨﴾، فالسورة لم تتحدث عن يونس عليه السلام، ومرّ ذكر قومه سريعاً، ومع ذلك سُمّيت السورة باسم يونس.

٢. كما يلفت نظر الدارس أن بعض أسماء السور كانت الكلمة الأولى من السورة، مثل الرحمن، وأحياناً تكون الكلمة الأخيرة من السورة مثل الماعون، وهذا يجعل من الصعب نسبة التسمية للصحابة لعدم وجود اطراد في الأمر.

٣. ويتساءل الدارس أيضاً هل يمكن أن يسمي الصحابة سور القرآن بأسماء حشرات أو حيوانات؟ أو أسماء مثل: (الكافرون، المنافقون)؟!

٤. يساعد الإعجاز العددي والعلمي في إثبات استحالة أن تكون تسمية بعض السور على الأقل عملاً بشرياً، نظراً لما اكتشف من ارتباط بعض هذه الأسماء بحقائق علمية اكتشفت حديثاً، فمثلاً سورة الحديد هي السورة ٥٧ في ترتيب المصحف، وهذا هو الوزن الذري للحديد، وهو أيضاً جُمِّل كلمة الحديد، أما جُمِّل كلمة حديد فيساوي ٢٦ وهو العدد الذري حسب الجدول الدوري للعناصر.

من خلال ما سبق يمكن القول بطمأنينة إن أسماء السور هي وحي من الله تعالى، وأما السور التي لها أكثر من اسم فالمؤكد ان أحدها توقيفي، وقد تكون الأخرى وحيّاً، وهذا يعتمد على النصوص التي ذكرت أسماء السور، وقد تكون اجتهاداً.

وقد خلصت إحدى الباحثات (منيرة الدوسري) في بحث جامع حول أسماء السور بالقول: "جمهور العلماء من أهل القرآن الكريم وعلومه على أن أسماء السور توقيفية من النبي ﷺ، حيث جعل لكل سورة اسماً خاصاً بها، وقد

اشتهرت الروايات الكثيرة التي تفيد أن جبريل عليه السلام كان يعلم الرسول ﷺ القرآن، ويبين له موضع السورة، ويأمره بوضع الآيات المترلة في سورتها المذكورة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩)، والرسول ﷺ أمر أصحابه أن يضعوها في مكانها من سورة كذا، ويُسمِّيها باسمها، وذلك أمر لازم لإثبات الآيات فيها وتمييزها عن غيرها".<sup>(١)</sup>

وقد وردت أحاديث كثيرة بأسماء السور، منها الصحيح والضعيف، بما يشير إلى تسمية الرسول ﷺ لكثير من السور، وهذا دليل على تسميتها جميعاً فلا معنى أن يُسمِّي بعضها ويترك غيرها دون تسمية، كما أن بعض الأحاديث الموقوفة على الصحابة لها هنا حكم المرفوع.

وسنعرض بإذن الله تعالى في ملحق رقم (١) السور التي ورد فيها أحاديث مرفوعة أو موقوفة.

### هل كتب الصحابة أسماء السور في المصحف؟

لم يثبت الصحابة في المصحف أسماء السور، بل اكتفوا بإثبات البسملة في مبدأ كل سورة علامة على الفصل بين السورتين، وإنما فعلوا ذلك كراهة أن يكتبوا في أثناء القرآن ما ليس بأية قرآنية، فاختاروا البسملة لأنها مناسبة للافتتاح، وقد علل الإمام الغزالي كراهتهم لذلك بقوله: "والظن بهؤلاء أنهم كرهوا فتح هذا الباب خوفاً من أن يؤدي إلى إحداث زيادات وحسماً للباب، وتشوقاً إلى

(١) أسماء سور القرآن وفضائلها، منيرة الدوسري (٧٢).

حراسة القرآن عما يطرق إليه تغييراً وإذا لم يؤد إلى محذور، واستقر أمر الأمة فيه على ما يحصل به مزيد معرفة فلا بأس به".<sup>(١)</sup>

## متى كتبت أسماء السور في المصاحف؟

"كتبت أسماء السور في المصاحف باطراد في عصر التابعين ولم يُنكر عليهم، وقد كتبت المصاحف بخط آخر لتمييز عن القرآن، وأما البسمة فكانت مكتوبة في أوائل السور بخط لا يتميز عن الخط الذي كتب به القرآن".<sup>(٢)</sup>

## ما الحكمة من جعل القرآن الكريم سوراً؟

قد تكون الحكمة من تقطيع القرآن الكريم سوراً كما يقول الزركشي: "حتى تكون كل سورة بل كل آية فناً مستقلاً وقرآناً معتبراً، وفي تسوير السورة تحقيق لكون السورة بمفردها معجزة وآية من آيات الله تعالى... ومنها أن القارئ إذا ختم سورة أو باباً من الكتاب ثم أخذ في آخره كان أنشط له، وأبعث في التحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله... ومنها أن التفصيل يسبب تلاحق الأشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض، وبذلك تتلاحظ المعاني والنظم إلى غير ذلك من الفوائد".<sup>(٣)</sup>

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي (١، ٢٧٦).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور (م، ١، ج ١، ٩١).

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (ج ١، ٣٣٣).

## وحدة الموضوع في السورة القرآنية:

يقول قطب: "ومن ثم يلحظ من يعيش في ظلال القرآن الكريم أن لكل سورة من سوره شخصية مميّزة! شخصية لها روح يعيش معها القلب كما لو كان يعيش مع روح حي مميّز الملامح والسمات والأنفاس! ولها موضوع رئيسي أو عدة موضوعات رئيسية مشدودة إلى محور خاص. ولها جو خاص يُظلل موضوعاتها كلها، ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانب معينة، تحقق التناسق بينها وفق هذا الجو. ولها إيقاع موسيقي خاص إذا تغير في ثنايا السياق فإنما يتغير لمناسبة موضوعية خاصة.. وهذا طابع عام في سور القرآن جميعاً".<sup>(١)</sup>

ويقول القاسم: "إذ لا توجد سورة في القرآن، طويلة أو قصيرة، مدنية أو مكية، إلا وهي تعالج قضية واحدة تدور حولها السورة، يتنوع الكلام، وتختلف طريقة العرض والأسلوب من إيجاز وإطناب، أو تأكيد أو ضرب مثل أو إلقاء موعظة أو غير ذلك، ولكنه يعود أخيراً ليؤكد القضية التي قام عليها بناء السورة".<sup>(٢)</sup>

## التفسير الموضوعي:

برز حديثاً ما يسمى بالتفسير الموضوعي، حيث تناول بعض العلماء موضوعاً واحداً على مستوى القرآن جميعاً، وهناك طريقة أخرى تناولها الشيخ محمد

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج ١، ٢٧).

(٢) الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، محمد أحمد القاسم (٣٣٠)

الغزالي فيقول رحمه الله: "والتفسير الموضوعي غير التفسير الموضوعي: الأخير يتناول الآية أو الطائفة من الآيات فيشرح الألفاظ والتراكيب والأحكام! أما الأول فهو يتناول السورة كلها يحاول رسم (صورة شمسية) لها تتناول أولها بآخرها، وتتعرف على الروابط الخفية التي تشدها كلها".<sup>(١)</sup>

ويقول أيضاً: "وأنبه إلى أن هذا التفسير الموضوعي لا يغني أبداً عن التفسير الموضوعي بل هو تكميل له وجهد ينضم إلى جهوده المقدورة".<sup>(٢)</sup>

### أسماء السور عناوين لها:

شكّلت أسماء السور القرآنية دلالات رمزية على فكرة محورية في السورة. والأصل أن تكون هناك علاقة بين السورة وبين اسمها، فالأسماء قوالب للمعاني، ودالة عليها، وتقتضي الحكمة أن يكون بين اسم السورة وموضوعاتها ارتباطاً وتناسباً، وأن لا يكون المعنى معها بمنزلة الأجنبي المحض الذي لا تعلق له بها، فإن حكمة الحكيم تأبى ذلك.

يقول الزركشي: "ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به".<sup>(٣)</sup>

ويقول البقاعي: "اسم كل سورة مترجم عن مقصودها، لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسمّاه، فالاسم عنوان دالٌّ إجمالاً على تفصيل ما فيه".<sup>(٤)</sup>

(١) نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، محمد الغزالي، (٥).

(٢) المصدر السابق (٦)

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (ج ١، ٣٤٠)

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (ج ١، ١٢)

ولقد شهدت الدراسات الأدبية اهتماماً كبيراً بما سمي عتبات النصوص، ولقد أدى هذا إلى تبلور مفهوم التفاعل النصي، وإذا تصفحنا كتب النقد العربي القديم في المشرق والأندلس سنجد مصنفات كثيرة تهتم بعتبات النص الموازي، لاسيما عند الكُتّاب الذين عالجوا موضوع الكتابة والكتّاب، كالصولي وابن قتيبة والكلاعي وابن وهب الكاتب وابن الأثير ومحمد علي التهانوي وغيرهم.

ويكاد العنوان أن يكون من أهم عتبات النص، من حيث ارتباط العنوان بالنص مباشرة. واشتماله لمكونات العمل ودلالاته ومقاصده. يقول د. محمد فكري الجزار: "العنوان للكتاب كالاسم للشيء، به يعرف وبفضله يتداول، يشار به إليه، ويدل به عليه، يحمل وسم كتابه، وفي الوقت نفسه يسمه العنوان، بإيجاز يناسب البداية، علامة ليست من الكتاب جعلت له لكي تدل عليه.. ولا يقف شأن العنوان عند هذا الحد، فتعقد المطلوب وتعدد أجناسه، فضلاً عن استيلاء الكتابة على مساحة الفعل الثقافي كاملة، عقّد وظائف العنوان وعقد أنواعه، ونوع بين شكوله".<sup>(١)</sup>

ويقول أيضاً: "ومن ثم فالعنوان مرسلّة مستقلة مثلها مثل العمل الذي يعنونه، ودون أدنى فارق، بل ربما كان العنوان أشد شعرية وجمالية من عمله في بعض الإبداعات".<sup>(٢)</sup>

(١) العنوان وسميوطيقا العنوان، محمد فكري الجزار (١٥)

(٢) المصدر السابق (٣١)

## الدراسات السابقة:

عمل العلماء على الربط بين الآيات المتتالية، وبين أول السورة وآخرها، وبين اسمها وفحواها، فيما صار يعرف فيما بعد بعلم المناسبات، حيث تناول هذا الأمر بعض المفسرين في مقدمة الحديث عن كل سورة، كما تحدثت كتب علوم القرآن عن توجيه بعض أسماء السور، ولكن كان هذا الأمر بشكل محدود ويحتاج إلى مراجعة.

ويُشكل تفسير برهان الدين البقاعي "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" معلماً كبيراً في هذا الفن، إذ كان مشروعته العلمي في تفسيره متابعة المناسبات على مستوياتها المختلفة.

أما الإمام الزركشي رحمه الله فقد نبه إلى أهمية الأمر في كتابه البرهان بقوله: "ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به، ولا شك أن العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى. ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى هذا جرت أسماء سور الكتاب العزيز، كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقريظة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها وعجبية الحكمة فيها. وسميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردد فيها من كثير من أحكام النساء... فإن قيل: قد ورد في سورة هود ذكر نوح وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام، فلم يُختص باسم هود وحده؟ وما وجه تسميتها به؟ وقصة نوح فيها أطول

وأوعب. قيل: تكررت هذه القصص في سورة الأعراف وسورة هود والشعراء بأوعب مما وردت في غيرها، ولم يتكرر في واحدة من هذه السور الثلاث اسم هود عليه السلام كتكرره في هذه السورة، فإنه تكرر فيها عند ذكر قصته في أربعة مواضع، والتكرار من أقوى الأسباب التي ذكرنا. وإن قيل: فقد تكرر اسم نوح في هذه السورة في ستة مواضع فيها، وذلك أكثر من تكرار اسم هود. قيل: لما جُردت لذكر نوح وقصته مع قومه سورة برأسها فلم يقع فيها غير ذلك كانت أولى بأن تسمى باسمه عليه السلام من سورة تضمنت قصته وقصة غيره، وإن تكرر اسمه فيها، أما هود فكانت أولى السور أن تسمى باسمه عليه السلام".<sup>(١)</sup>

ومن الأمثلة على اهتمام المفسرين بهذا الأمر ما فعله الدكتور وهبة الزحيلي في (التفسير المنير) حيث كتب في بداية كل سورة عن اسمها وسبب هذه التسمية، فمثلاً يقول: "سميت سورة العاديات لأن الله افتتحها بالقسم بالعاديات، وهي خيل المجاهدين المسرعة في لقاء العدو"،<sup>(٢)</sup> ويقول: "سميت سورة المعارج، لافتتاحها بقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ (المعارج: ٤)، أي تصعد إليه الملائكة وجبريل الأمين..."<sup>(٣)</sup>، ويقول: "سميت سورة (الانفطار)، لافتتاحها بقوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾"<sup>(٤)</sup>، ويقول: "سميت سورة الإنسان لافتتاحها

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (ج ١، ٣٤٠)

(٢) التفسير المنير، وهبة الزحيلي (ج ٣٠٦، ٣٠٦)

(٣) المصدر السابق (ج ٢٩، ١٠٩)

(٤) المصدر السابق (ج ٣٠، ٩٥)

بالتنويه بخلق الإنسان وإيجاده، بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً<sup>(١)</sup>. ومن خلال الاستعراض السريع لما ذكره الدكتور يتضح أنه يكفي بالإشارة السريعة للأمر، دون أن يتعمق في إظهار العلاقة بين التسمية وموضوعات السورة.

أما الدكتور عبد الله شحاتة فقد تعرض في دراسته الرائعة (أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن) للأمر بنحو ما ذكره السابقون، فمثلاً يقول: "وسميت بسورة الأنبياء لأنه اجتمع فيها على قصرها كثير من قصص الأنبياء فسميت السورة باسمهم"<sup>(٢)</sup> ويقول: "وسميت (سورة المؤمنون) لافتتاحها بفلاح المؤمنين"<sup>(٣)</sup> ويقول: "وسميت بسورة النمل لاشتمالها على مناظرة النمل مع سليمان"<sup>(٤)</sup>.

ومن اهتم بهذا الموضوع الشهيد سيد قطب في الظلال، لكنه لم يتناول توجيه أسماء كل السور، وكان تناوله للأمر في الأعم الأغلب دون تركيز على الأمر بشكل خاص، وقد استفدنا من إشاراته حيثما وجدناها.

ولم نجد من خلال البحث المطول من أفرد لهذا الأمر كتاباً، أو مبحثاً مستقلاً، ولقد أشار إلى ذلك أ.د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي في التقديم لرسالة علمية مطبوعة في الموضوع: "فلا أعرف أحداً كتب فيه مبحثاً مستقلاً قبل هذه الرسالة، وإنما كتابات متفرقة قي بطون الكتب والمصادر تصدت

(١) المصدر السابق (ج ٢٩، ٢٧٩)

(٢) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، عبد الله شحاتة، (ج ١، ٤١١).

(٣) المصدر السابق (ج ١، ٤٣٣)

(٤) المصدر السابق (ج ١، ٤٧٥)

الأخت الدكتورة منيرة بنت محمد بن ناصر الدوسري لجمعها وتنسيقها،  
وأحسبها دراسة وافية"<sup>(١)</sup>.

وبعد اطلاعنا على الرسالة المذكورة بعد طباعتها وجدنا أن الدكتورة قد بذلت  
جهداً ضخماً في استعراض أسماء السور وتصنيفها، وأسس بحثها لكثير من  
البحوث اللاحقة، ولكن توضيح علاقة اسم السورة بموضوعاتها لم يكن مُعمِّقاً  
أو شافياً، فاجتهدنا أن نردف عملها بهذا البحث المتواضع، وكلنا أمل أن يكون  
له ما بعده بإذن الله تعالى.

بعد هذ المقدمات المختصرة لهذا البحث نضع بين يدي القراء الكرام ما فتح الله  
علينا في بضع وسبعين سورة من كتاب الله تعالى، ونعترف لحضراتكم الكريمة  
أننا وقفنا عاجزين أمام السور المتبقية بعد محاولات عدة، ونحن نعلم أن بعض  
السور سيكون اسمها أكثر وضوحاً من غيره، ولكن هي محاولات قاصرة أمام  
كلام الله الحكيم، فهو يغلب ولا يُغلب، وكلنا أمل أن يكون لها ما بعدها من  
الخير وحسن الفهم.

والله الموفق والهادي إلى كل خير

---

(١) أسماء سور القرآن وفضائلها، منيرة الدوسري ، (٨)

## (١) سورة الفاتحة

### مكية عدد آياتها ٧، وترتيبها ١

يقول ابن فارس: "الفاء والتاء والحاء أصل صحيح يدل على خلاف الإغلاق".<sup>(١)</sup> ويقول الأصفهاني (٣٧٠): "وفاتحة كل شيء مبدؤه الذي يُفتح به ما بعده، وبه سُمِّي فاتحة الكتاب، وقيل: افتتح فلان كذا إذا ابتدأ به".<sup>(٢)</sup>

وبناءً على المعنى الأول الذي يعني إزالة حاجز عن مكان مقصود ولوجه، فكأن تسميتها بالفاتحة للدلالة على أن قراءتها تساعد على إزالة الحواجز بين الإنسان وتلقي الهدايا الربانية، أو كأنها تزيل الحواجز بين الإنسان والقرآن الكريم، وبعبارة أخرى قد يكون ما في السورة من معانٍ يؤدي إذا عقلها الإنسان إلى الفتح بين الإنسان وربّه، ولذلك كان الأمر بقراءتها في كل ركعة.

أما المعنى الآخر وهو أول الشيء أو المقدمة فلعل تسميتها بالفاتحة فيه إشارة أنها مقدمة للقرآن، ومفتاح لمواضيعه، فمقتضى ذلك أنها جامعة لأهم قضاياها، فالبشر حين يضعون مقدمة لكتبهم يحرصون على إبراز أهم أفكار الكتاب في مقدمته، فمن يقرأ مقدمة كتاب يُشكّل صورة عامة عنه.

يقول الترابي في التفسير التوحيدي: "الفاتحة) مفتحة القرآن وأول سوره، وهي (أم الكتاب) التي جمعت معانيه وأجملتها في آياتها القليلة العدد، وهي بذلك عبرة

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج ٢، ٣٣٨)

(٢) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (٣٧٠)

لما يُكتب في مقدمات الكتب التي يجتهد المؤلفون أن تختصر المحتوى المفصل الكثير في بضع صفحات، فهي مقدمة تلخص كل معاني القرآن".<sup>(١)</sup>

ويقول البقاعي: "الغرض الذي سيقت له الفاتحة هو إثبات استحقاق الله تعالى لجميع المحامد وصفات الكمال، واختصاصه بملك الدنيا والآخرة، وباستحقاق العبادة والاستعانة، ومدار ذلك كله مراقبة العباد لربهم، لإفراده بالعبادة، فهو المختص بالعبادة، والمقصود من إرسال الرسل وإنزال الكتب نصب الشرائع، والمقصود من نصب الشرائع جمع الخلق على الحق، والمقصود من جمعهم تعريفهم الملك وبما يرضيه، وهو مقصود القرآن الكريم الذي تضمّنته الفاتحة بالقصد الأول".<sup>(٢)</sup>

ويقول الإمام البيضاوي: "تشتمل على ما فيه من الثناء على الله تعالى، والتعبد بأمره ونهيهِ، وبيان وعده ووعيدهِ، أو على جملة معانيهِ من الحكم النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم، والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الأشقياء".<sup>(٣)</sup>

ولأهميتها ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَابِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمِ﴾ (الحجر: ٨٧)، وعن أبي سعيد بن المعلّى رضي الله عنه قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، قلت: يا رسول

(١) التفسير التوحيدى، حسن الترابى (٣١)

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعى (ج ١، ١٢)

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوى (ج ١، ٥)

الله، إني كنت أصلي. فقال: ألم يقل الله: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ (الأنفال: ٢٤)، ثم قال: "ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟"، فأخذ بيدي، فلما أردنا ان نخرج قلت: يا رسول الله، إنك قلت: "ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن؟"، قال: الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته".<sup>(١)</sup>

وللسورة أسماء عدة، بعضها توقيفي والآخر اجتهادي، ومعظم الأسماء تدور حول الفكرة نفسها، وهي أن السورة تتضمن تلخيصاً للقرآن الكريم، وتجمع مقاصده الأساسية، ومن هذه الأسماء أم الكتاب، الأساس، أم القرآن.

ويقول أستاذنا بسام جزار لدى مراجعته للبحث في التعليق على اسم السورة: "سورة الفاتحة تُقرأ في بداية كل ركعة، فهي إذن مفتاح القبول، كما أن الفاتحة هي المدخل إلى فهم كتاب الله تعالى وتمثله، فهي تتضمن:

- الإقرار بأن المحامد هي لله تعالى الخالق الرازق الواهب المرّبي.
- الإقرار بأن الرسالة الإسلامية هي من تجليات رحمة المرّبي.
- الإقرار باليوم الآخر، الذي هو مصير الإنسان حيث جاء القرآن الكريم مرشداً إليه.
- الإقرار بأن الله تعالى هو المعبود وحده، وهو المستعان وحده.

(١) صحيح البخاري، محمد اسماعيل البخاري (حديث: ٤٤٧٤، كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في فاتحة الكتاب)

- بعد الإقرار بذلك يطلب المسلم الهداية إلى طريق أهل الحق الذين تجلت فيهم نعمة الله تعالى ورحمته".

هداية الاسم:

حمد الله تعالى المربي، واستمطار رحمته، والإقرار بأن المصير إليه، وإفراده بالعبودية والتوجه، مفتاح هداية الله تعالى لعباده، بما في ذلك هدايتهم لفهم كتابه عز وجل

## (٢) سورة البقرة

مدنية عدد آياتها ٢٨٦، ورقمها ٢

يقول ابن فارس: "بقر: الباء والقاف والراء أصلان، وربما جمع ناس بينهما وزعموا أنها أصل واحد، وذلك البقر، والأصل الثاني التوسع في الشيء وفتح الشيء".<sup>(١)</sup>

ورد اسم السورة في الآيات (٦٧-٧٣)، بما يعادل صفحة واحدة من سبع وأربعين صفحة ٤٧/١، وقد احتوت السورة على مواضيع كثيرة جداً مثل الحديث عن ممارسات بني إسرائيل، والحديث عن العبادات الأربع أركان الإسلام، كما تحدثت مطولاً في النظام الاجتماعي والاقتصادي، وعن أحكام متعلقة بالجهاد والقتال، كما تناولت الحديث عن قصص كثيرة: قصة آدم عليه السلام، وقصة بناء الكعبة، وقصة ملأ بني إسرائيل...، فما الحكمة أن يكون اسم السورة البقرة، مع ازدحام المواضيع التي تناولتها السورة؟

قد تكون تسمية السورة بالبقرة لأن قصة البقرة تتضمن ذم التلكؤ وتلمس المعاذير والحجج في التعامل مع التشريعات الإلهية، والدعوة إلى الاستسلام لله سبحانه والالتزام بأوامره بعيداً عن التنطع والتشدد.

يقول الترابي: "وقد أخذت اسم البقرة، إذ وردت فيها قصة بني إسرائيل مع أمر الله أن يذبحوا بقرة، وكانت ذا مغزى بالغ، وأوضح مثال لتعطيل أوامر الشرع

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج ١، ١٤٥).

بالمجادلة المنتطعة تساؤلاً عن ثبوت جدية الخطاب، ثم مساءلة متفرعة بشعاب مقاصد الأمر وفروعه، منتطعة لتتبع ثانياً إيقاعه مفصلة، وتلك علة قد تفوت أصول الشريعة ومقاصدها الكلية وتعوّق نزول حقها مغازي في الواقع، موعظةً للمسلمين من سوء فقه الشريعة وعوق العمل بمهنتها، وتذكيراً بأن خطره في ضوء مسيرة المسلمين الخالفة".<sup>(١)</sup>

يقول طهماز: "موضوع سورة البقرة الإسلام لله تعالى، بمعنى الاستسلام الكامل لأحكامه القدريّة والشرعية، والانقياد والإذعان لها، هذا هو الموضوع الأساسي لسورة البقرة والتي دارت آياتها كلها في فلكه".<sup>(٢)</sup>

ولقد كانت سورة البقرة من أوائل ما نزل في المدينة المنورة، وإن قصة البقرة درس لبني إسرائيل أخفقوا فيه، فلو ذبحوا أية بقرة لأجزأهم، ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، وكأن في السورة توجيهاً للأمة الإسلامية المختارة أن تنأى عن هذا المنهج السقيم في التعامل مع التكاليف، بالمباشرة إلى تنفيذها، والكفّ عن التوجه بأسئلة لا طائل منها إلى الرسول ﷺ، التي تكون عاقبتها عادةً تكاليف شاقة وعسيرة. وكان الغرض من الأسئلة التي وجّهت إلى النبي ﷺ في هذه السورة بيان التكليف، فلمّا أبان القرآن الكريم حقيقة هذا التكليف وصورته التزم السائلون به، ولم يشدّدوا على أنفسهم، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ (٢١٧)، وقوله تعالى:

(١) التفسير التوحيدي، حسن الترابي (٣٩).

(٢) الإسلام لله تعالى في سورة البقرة، عبدالحميد محمد طهماز (٢١).

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا  
 أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ (٢١٩).

والآيات السابقة نزلت ردًا على أسئلة تردت بين المسلمين، واجترأ بعضهم على توجيهها إلى النبي ﷺ، والأجوبة عليها أحكام واضحة، وطريقة السؤال والجواب مختلفة في طبيعتها وروحها وثمارها عن التي وجهها اليهود إلى رسولهم في قصة البقرة.

ويقول طهماز: "وتدل قصتهم على شدة أدهم مع الله تعالى ومع رسوله ﷺ، واستسلامهم لأحكام دين الله وشرعه، واستفادتهم مما أدهم الله تعالى به وأرشدهم إليه، كما مر عند قوله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ۗ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (١٠٨)، وكان لهذا الاستسلام والإذعان لأحكام دين الله تعالى؛ أثر كبير في تيسير أحكام الشريعة الإسلامية وتخفيف أحكامها".<sup>(١)</sup>

ولقد هت نصوص كثيرة عن كثرة السؤال والتعنت فيه، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُونَ عَنْ أَسْيَاءِ ۖ إِن يُبَدَّلْ لَكُمْ تَسْوَأٌ ﴾ (المائدة، ١٠١)، وقوله ﷺ في الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه: "أيها الناس: قد فرض الله عليكم الحج فحجّوا، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت. حتى قالها ثلاثاً. فقال رسول الله ﷺ: لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم.

(١) الإسلام لله تعالى في سورة البقرة، عبد الحميد محمد طهماز (٢٣٥)

ثم قال: ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه"<sup>(١)</sup>، ففي الحديث إشارة إلى اليهود وغيرهم في تعاملهم السلبي مع أوامر الله تعالى.

وعنه أن النبي ﷺ قال: "أمركم بثلاث وأنهاكم عن ثلاث، أمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وتعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وتطيعوا لمن ولاة الله عليكم أمركم، وأنهاكم عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال"<sup>(٢)</sup>.

كما ذم الرسول ﷺ المنتنعين في الدين فقال: "هلك المنتنعون" قالها ثلاثاً.<sup>(٣)</sup>

قال صاحب المنار تعقياً على هذا المعنى: "ولقد امتثل سلفنا لأمر الله تعالى، فلم يشددوا على أنفسهم، فكان الدين عندهم فطرياً وحنيفياً وسمحاً، ولكن من خلفهم عمد إلى ما عفا الله عنه فاستخرج له أحكاماً استنبطها باجتهاده حتى صار الدين حملاً ثقيلاً على الأمة فسئمته وملت وألقت وتخلت"<sup>(٤)</sup>.

ويقول قطب تعقياً على هذا الموضوع: "ولكن جسم السورة، بعد الجزء الأول منها، ينصرف إلى بناء الجماعة المسلمة وإعدادها لحمل أمانة العقيدة، والخلافة

(١) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري (حديث ١٣٣٧، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر)

(٢) السلسلة الصحيحة، الألباني (٦٨٥)

(٣) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري (حديث ٢٦٧٠، كتاب العلم، باب هلك المنتنعون)

(٤) تفسير المنار، محمد رشيد رضا (ج ١، ٢٨٣)

في الأرض بمنهج الله وشريعته. وتمييزها بتصورها الخاص للوجود، وارتباطها برها  
الذي اختارها لحمل هذه الأمانة الكبرى".<sup>(١)</sup>

وباختصار قد يكون اختيار اسم البقرة عنواناً لهذه السورة دعوة للمؤمنين  
للتعامل مع التشريعات الربانية بعيداً عن انحرافات السابقين.

ومن خلال التأمل لآيات السورة نجد الارتباط الواضح بهذه المعاني التي تجمعها  
قصة البقرة، وهي على النحو الآتي:

### ١. ذم التلكو في الاستجابة وتلمس المعاذير:

- الآيات التي تتحدث عن المنافقين والكافرين ومنها: ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ  
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (٩)، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ  
السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ (١٣)، ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ  
ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ  
مُسْتَهْزِءُونَ﴾ (١٤)، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَّا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا  
ءَايَةٌ﴾ (١١٨)، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ  
ءَابَاءَنَا﴾ (١٧٠)، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ (٢٠٦).

- الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل ومنها: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا  
غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ (٥٩)، ﴿وَإِذ قُلْتُمْ يَمْسُكُ لَن نَّصِيرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاجِدٍ

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج ١، ص ٣٥)

فَادْعُ لَنَا رَبِّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ ﴿ (٦١) ﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغَضِّهِمْ إِلَىٰ بَعْضِ قَالُوا أُتِّخِذْتُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴿ (٧٦) ﴾ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴿ (٩٣) ﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿ (٩٥) ﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ ءَاثَرُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَأَىٰ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ (١٠١) ﴾ .

الدعوة إلى الاستسلام لله تعالى والالتزام بأوامره:

- ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ ﴿ (٣٤) .
- ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَأَسْمِعُوا ﴿ (١٠٤) .
- ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴿ (١٢٧-١٢٨) .
- ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۗ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿ (١٣٠ - ١٣٢) .

- ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٥-١٣٦﴾ .

- قصة تحويل القبلة في الآيات (١٤٢-١٥٠) التي يتضح فيها امتحان المسلمين في استسلامهم لأمر الله تعالى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَىٰ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ ﴾ (١٤٣).

- الأحكام الشرعية المتعددة في: الصيام (١٨٣-١٨٧)، الحج (١٩٦-٢٠٣)، القصاص (١٧٨-١٧٩)، الوصية (١٨٠-١٨٢)، أحكام القتال (١٩٠-١٩٥)، الخمر (٢١٩)، نكاح المشركين (٢٢١)، الحيض (٢٢٢-٢٢٣)، الأيمان (٢٢٤-٢٢٦)، أحكام الطلاق (٢٢٧-٢٣٢، ٢٣٦-٢٣٧)، الرضاعة (٢٣٣)، العدة (٢٣٤، ٢٤٠)، الربا (٢٧٥-٢٨٠)، الذَّيْن (٢٨٢-٢٨٣).

- الآيات التي تتحدث عن الإنفاق وتحدد قبوله وثوابه بأن يكون في سبيل الله وابتغاء وجه الله تعالى، بعيداً عن الرياء والمنّ وتيمّم الخيث (٢٦١-٢٧٤).

- ختام السورة جاء بصيغة التوجه الكامل إلى الله تعالى وإعلان السمع والطاعة لأمره ورسله، وطلب المغفرة للخطأ والنسيان (٢٨٥-٢٨٦)،

حيث ورد فيها قول المؤمنين: ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا

وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (٢٨٥).

يقول طهماز في تعقيبه على الأحكام الشرعية في سورة البقرة: "وللسورة في أثناء عرضها لأحكام الشريعة بعض الوقفات والتعقيبات، شدتنا فيها إلى موضوعها الأساسي، وهو موضوع الاسلام لله تعالى والاستسلام لأحكامه، كقوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (٢٠٨). واستمرت الآيات على هذا النهج إلى أن توجت خاتمها بإبراز استسلام الصحابة رضي الله عنهم لأحكام دين الله، وبينت ارتباط ذلك بيسر الشريعة وسماحتها... وذلك في مقابل ما سبق عرضه في آياتها من تعنت بني إسرائيل وجحودهم، وخاصة في قصة موسى عندما أمر قومه بذبح البقرة، التي سميت السورة كلها باسمها، إشارة إلى تعنتهم وتقاعسهم عن الانقياد لأحكام الله تعالى".<sup>(١)</sup>

ويقول القرطبي: "ولما تقرر الأمر على ان قالوا: سمعنا وأطعنا، مدحهم الله وأثنى عليهم في هذه الآية، ورفع المشقة في أمر الخواطر عنهم، وهذه ثمرة الطاعة والانقطاع إلى الله تعالى، كما جرى لبني إسرائيل ضد ذلك من ذمهم وتحميلهم

(١) الإسلام لله تعالى في سورة البقرة، عبدالحميد محمد طهماز (٢٢)

المشقات من الذلة والمسكنة والانجلاء، إذ قالوا: سمعنا وعصينا، وهذه ثمرة العصيان والتمرد على الله تعالى، أعاذنا الله من نقمه بمنه وكرمه".<sup>(١)</sup>

ويمكن أن يضاف إلى الدلالة السابقة لقصة البقرة معنى آخر وهو التأكيد على حقيقة البعث واليوم الآخر، وبيان قدرة الله تعالى، يقول الشيخ الشعراوي: "إن اسم السورة قد أخذ من قضية أساسية في الدين وهي الإيمان بالبعث. والإيمان بالبعث هو أساس الدين، فمن لم يؤمن بالآخرة والبعث والحساب يفعل ما يشاء في الدنيا دون وازع. لأنه ما دام ليس هناك بعث تصبح الدنيا غابة. ويصبح الدين بلا مفهوم... وسورة البقرة فيها تجربة حدثت مع بني إسرائيل. ورأوا البعث وهم ما زالوا في الدنيا، حين بعث الله سبحانه وتعالى قتيلاً لينطق باسم قاتله"،<sup>(٢)</sup> ومن الآيات الدالة على ذلك:

#### ١. التأكيد على حقيقة البعث واليوم الآخر:

- ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ (٣).

- ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (٤).

- ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ

يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢٨).

- ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (٤٦).

(١) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، محمد القرطبي (ج ٣، ٤٢٧)

(٢) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ج ١، ٩٥)

- ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ (٤٨).
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰلِحِينَ مِنَ ءَامَنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ﴾ (٦٢).
- ﴿كَذَٰلِكَ يُحَىٰ اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٧٣).
- ﴿وَمَا نَقَدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ لِّحَدِيثِهِ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (١١٠).
- ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ  
الْعَذَابِ﴾ (١٦٥).
- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ  
مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ (٢٤٣).
- ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ  
مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ (٢٥٩).
- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ (٢٦٠).
- ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَىٰ اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا  
يُظْلَمُونَ﴾ (٢٨١).
٢. بيان قدرة الله تعالى:
- ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ  
مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٢).

- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾.

- ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾.

- ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾.

- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴿٢٥٨﴾.

ويربط (قطب) بين معاني قصة البقرة بقوله: "وفي هذه القصة القصيرة، كما يعرضها السياق القرآني، مجال للنظر في جوانب شتى.. جانب دلالتها على طبيعة بني إسرائيل وجلبتهم الموروثة. وجانب دلالتها على قدرة الخالق، وحقيقة البعث، وطبيعة الموت والحياة. ثم جانب الأداء الفني في عرض القصة بدءاً ونهاية واتساقاً مع السياق.. إن السمات الرئيسية لطبيعة بني إسرائيل تبدو واضحة في قصة البقرة هذه: انقطاع الصلة بين قلوبهم، وذلك النبع الشفيف الرقراق: نبع الإيمان بالغيب، والثقة بالله، والاستعداد لتصديق ما يأتيهم به الرسل، ثم التلكؤ

في الاستجابة للتكاليف، وتلمس الحجج والمعاذير، والسخرية المنبعثة من صفاقة القلب وسلاطة اللسان!<sup>(١)</sup>

كما أشار أستاذنا بسام جرار لدى مراجعته للبحث إلى أمر مركزي في السورة تتضمنه قصة البقرة، ويبين أهمية هذه السورة التي هي أطول سورة في القرآن الكريم، وهي السورة الأولى فيه بعد الفاتحة، كما أنها سنام القرآن الكريم كما جاء في الأحاديث الشريفة، فيقول: "لقد كان الأمر لبني إسرائيل بذبح البقرة لإعادتهم إلى الحقيقة وتصحيح تصوراتهم حول الإله المعبود، فلقد أخذ الإسرائيليون عقيدة التقديس للبقرة من الفراعنة، والقصة تشير إلى ذبح بقرة تتوافر فيها شروط البقرة المقدسة، فجاء الأمر بذبح البقرة كتمارس عملية للعقيدة السوية، وفي ذلك نبذ للعقائد الفاسدة من خلال الممارسة، كما أن ذبح البقرة، ثم ضرب الميت ببعضها، ثم انبعاث القتيل حياً فيه قلب للمعادلة، والعودة إلى حقيقة أن الإنسان مستخلف والمخلوقات الأخرى مسخرة للإنسان وخلقت من أجله وليس العكس.

من هنا جاءت سورة البقرة لتؤسس للتصور الصحيح عن خلق الإنسان وعلاقته بربه وبالكون، وهي تصحح التصورات والممارسات التي نشأت عبر المسيرة الطويلة للبشرية، وبعد أن تصحح التصورات تقوم بتشريع الممارسات التي تساعد في نبذ العقائد المنحرفة وتُعزز العقائد السوية.

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج ١، ٧٧)

وحتى يكون تصحيح التصورات والأفكار مستقراً ودائماً، لا بد أحياناً من ممارسة عملية لترع جذور الانحراف، كما أمر الله تعالى محمداً ﷺ بالزواج من مطلقة ابنه المتبنى زيد بن حارثة رضي الله عنه، وقد كان الأمر مقصوداً لإزالة فكرة التبني وإرجاع الأمور إلى أصولها.

والمأمل للسورة يجد أنها تحرص على الرجوع إلى الأصول فقد ذكرت قصة آدم عليه السلام وركزت على موضوع الخلافة وأهمية دور الإنسان وكرامته على المخلوقات جميعاً، ثم كان الحديث عن أول بيت وضع للناس، كما كان فيها تصحيح القبلة وإرجاعها إلى الأصل (الكعبة)، ولكن بعد أن تركز في نفوس المسلمين أن مكانة البيت الحرام هي بسبب علاقته مع الدين والأنبياء.

ومن الأمور البارزة التي تدل على ذلك معالجة أمر الأموال والتعامل المادي، فالناس بغير دين يكثر عندهم الجشع والأنانية وظلم الآخرين، فجاءت الآيات لتحض على الإنفاق بطريقة محفزة وبأساليب شتى، ثم كان الحديث عن تحريم الربا واستبشاعه وإعلان الحرب على القائمين عليه، ثم كانت آية الدين التي وضعت القواعد وأسست لبناء عادل مستقيم.

وخلاصة القول إن السورة تناولت موضوعاتها قضايا أساسية في مجالات الحياة، وأشارت إلى انحراف البشرية في هذه المجالات، وبينت كيف عالج الدين هذا الانحراف، كما عاجلت قصة البقرة قضية عقدية انحرف فيها بنو إسرائيل في تقديسهم للعجل".

اسم (البقرة) فيه تصحيح للتصورات،  
والدعوة إلى الاستجابة لأوامر الله تعالى وعدم التلكؤ في تنفيذها

- ذكر صاحب الكشاف عن تغيير ترتيب القصة حيث جعلت بدايتها خاتمة، فقال: "كل ما قُصَّ من قصص بني إسرائيل خاصة في سورة البقرة إنما قُصَّ تعديداً لما وُجد منهم من الجنايات، وتقريباً لهم عليها، ولما حدث فيهم من الآيات العظام، فكان التقرُّيع أولاً على استهزائهم وترك المسارعة والامثال".<sup>(١)</sup>
- ويقول الشيخ طنطاوي في الحكمة من أمرهم بذبح بقرة دون غيرها من الحيوانات حيث يقول: "لأنها من جنس ما عبده وهو العجل، وفي أمرهم بذلك تموين لشأن هذا الحيوان الذي عظموه وعبده، فكأنه سبحانه يقول لهم: إن هذا البقر الذي يُضرب به المثل بالبلادة، لا يصلح أن يكون معبوداً من دون الله تعالى، وإنما يصلح للحرث والسقي والعمل والذبح".<sup>(٢)</sup> ومما يؤكد ما ذهب إليه الشيخ أن الله تعالى طلب من بني إسرائيل أن يذبحوا بقرة صفراء تسر الناظرين للتعريض بالعجل الذهبي الذي عبده، والله أعلم.
- أما عن حكمة الله تعالى في كشف القاتل فيقول ابن عاشور: "وإنما تعلقت إرادة الله تعالى بكشف حال من قتل القاتل مع أنه ليس أول قتيل طُلَّ دمه في الأمم (أي أهدر وأبطل فلم يُثار له)، إكراماً لموسى عليه السلام أن يضيع دمٌ في قومه وهو بين أظهرهم وبمراى ومسمع منه، لا سيما وقد قصد القاتلون استغفاله ودبروا المكيدة في إظهار المطالبة بدمه، فلو لم يُظهر الله تعالى في أمة لضعف يقينها برسولها، وكان ذلك مما يزيدهم شكاً في صدقه فيقبلوا كافرين".<sup>(٣)</sup>

(١) تفسير الكشاف، الزمخشري (ج١، ١٨٢)

(٢) التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي (ج١، ١٦٤)

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور (م١، ج١، ٥٦١)

### (٣) سورة آل عمران

مدنية، عدد آياتها ٢٠٠، ورقمها ٣

يقول الأصفهاني في كلمة (آل): "خُصَّ بالإضافة إلى أعلام الناطقين دون النكرات ودون الأزمنة والأمكنة، يقال آل فلان ولا يقال آل رجل ولا آل زمان كذا أو موضع كذا، بل يضاف إلى الأشرف الأفضل... ويستعمل فيمن يختص بالإنسان اختصاصاً ذاتياً إما بقرابة قريبة أو بموالاة".<sup>(١)</sup> ويقول جرار في كتابه من أسرار الأسماء: "كلمة (آل) تُستخدم في بيان شرف من يؤول إليهم الإنسان، أو شرف من يؤولون إليه".<sup>(٢)</sup>

و(آل عمران) هم: عمران وامراته وابنته مريم وابنها عيسى عليهم السلام، وقد ورد اسم السورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعِيسَىٰ ابْنَهُ وَمَا مَلَائِكَةُ إِلَّا عِبَادٌ خَلَقَهُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٣٣)، ولم يُذكر نوح عليه السلام في السورة في غير هذه الآية، كما لم يُذكر آدم عليه السلام في غير هذه الآية إلا مرة واحدة في معرض الحديث عن عيسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٥٩)، أما آل إبراهيم فقد كان ذكرهم في معرض الحديث عن الرسل عليهم السلام، وقد تناولت السورة الحديث عن

(١) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (٣٠)

(٢) من أسرار الأسماء، بسام جرار (٥٥)

آل عمران بشكل مفصل في الآيات (٣٤-٣٧، ٤٢-٦٢)، وتكرر ذلك بشكل مشابه في سورة مريم.

ومن الملاحظ أن آية الاسم ذكرت أن الاصطفاء كان لآدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين، ومعروف أن آدم ونوحاً وإبراهيم وكثيراً من آل إبراهيم هم أنبياء، عليهم السلام جميعاً، وفي المقابل فإن النبوة لم تثبت في آل عمران لغير عيسى عليه السلام، وهذا يعني أن الاصطفاء يمكن أن يكون لغير الأنبياء، وإن كان الاصطفاء درجات، فاصطفاء الأنبياء يختلف عن اصطفاء الناس العاديين، فيكون في اختيار الاسم ما يرفع الهمة ويفتح الباب لمن ينوي الوصول إلى المراتب العالية من خلال سلوك الطرق الموصلة إلى الاصطفاء.

وقد ورد في السورة الحث على المسارعة إلى الجنات وما أعد الله فيها للمتقين الذين يبذلون من أجل الله ودينه، ويرجعون إلى الله تعالى ويتوبون إليه، ولا يصرون على المعصية التي يقعون فيها، ويرتقون إلى الاصطفاء الذي أراده الله لهم، وقد ورد ذلك في ثنايا الحديث عن غزوة أحد في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالضَّرَّاءِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ اللَّهُ لَن يَكُنْ فِي سِجْنٍ مِّن سِجْنٍ وَلَا يَخُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا أَزْمٌ ١٣٥﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُ مَن رَّبَّهُمْ وَجَنَّتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾ (١٣٣ - ١٣٦).

وكان الحديث عن أهل الكتاب ومجادلتهم في الآيات (٦٤-٨٧، ٩٣-٩٩)، حيث بينت ارتكاسهم بسبب نقض العهد مع الله تعالى، وتحريف كلامه من أجل متاع الدنيا، فهم كأمة لم يرتقوا إلى الاصطفاء الذي يرضاه الله تعالى، مع تأكيد الآيات أنهم ليسوا سواءً، فمنهم من حافظ على درجة من الخيرية التي حباها الله بها.

أما الحديث المطول عن غزوة أحد في الآيات (١٢٠-١٢٨، ١٣٩-١٧٥)، وما ظهر فيها من هفوات لبعض الصحابة: من حرص على الغنائم ومخالفة أمر الرسول ﷺ، فللتأكيد على أنهم كانوا بشراً عاديين، ولكنهم ارتقوا بأنفسهم من خلال الاستجابة لأوامر الرسول ﷺ في موقعة حمراء الأسد، رغم كل ما أصيبوا به، وهو ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٣﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٤﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ دِيَارِهِمْ فَأَتَىٰ خِيَابَ الْمَدِينَةِ وَالنَّاسُ يَمْشُونَ فِي الْأَسْطِذَاتِ يُرْتَبِطُونَ بِأَنْعَامِهِمْ بَيْنَهُمْ وَاللَّيْلُ إِذَا فَجَّرَهُمُ الْغَمَامُ وَالسَّمَاءُ مُدْغَمَةٌ يَأْكُلُ النَّاسُ فِيهَا غَرَامَهُمْ وَأَسْبَابَهُمْ فَاسْتَجَابَ لِلَّذِينَ يُدْعُونَ إِلَى الْفِتْنَةِ أُولَٰئِكَ يُصِيبُكَ اللَّهُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٧٥﴾ فَكَلَّمَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ اللَّهُمَّ إِنَّا نُرِيدُ أَنْ نَمُنَ بِمَا نُؤْمِنُ بِكَ وَالنَّاسُ لَا يَمُنُونَ بِآيَاتِكَ وَاللَّهُ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَلَا يُضِلُّ مَن يَشَاءُ اللَّهُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٧٦﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ قَوْمٍ مِّنْكُمْ شُرَكَاءَ لِيُذَمَّرَ بِهِمْ مَا يَأْتِيهِمْ بِالْخَيْرِ يُذَمَّرُونَ إِلَّا لِيُبَيِّنَ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ قَوْمٍ مِّنْكُمْ شُرَكَاءَ لِيُذَمَّرَ بِهِمْ مَا يَأْتِيهِمْ بِالْخَيْرِ يُذَمَّرُونَ إِلَّا لِيُبَيِّنَ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ قَوْمٍ مِّنْكُمْ شُرَكَاءَ لِيُذَمَّرَ بِهِمْ مَا يَأْتِيهِمْ بِالْخَيْرِ يُذَمَّرُونَ إِلَّا لِيُبَيِّنَ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ قَوْمٍ مِّنْكُمْ شُرَكَاءَ لِيُذَمَّرَ بِهِمْ مَا يَأْتِيهِمْ بِالْخَيْرِ يُذَمَّرُونَ إِلَّا لِيُبَيِّنَ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨٠﴾

ومما يؤكد ما ذهبنا إليه في فتح باب الاصطفاء للبشر كافة، اصطفاء الأمة الإسلامية بتوريثهم هذا القرآن، وهو ما بينته الآية الكريمة في سورة فاطر في قوله

تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ (فاطر: ٣٢).

يقول ابن عاشور: "فبعد أن ذكر بفضيلة كتابه وهو أمر قد تقرر لديه، زيد تبشيراً بدوام كتابه وأنبيائه أمة هم المصطفون من عباد الله تعالى، وتبشيره بأنهم يعملون به ولا يتركونه كما ترك أمم من قبلهم كتبهم ورسلمهم".<sup>(١)</sup>

ويقول ابن كثير: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾: وهو المفرط في فعل بعض الواجبات، المرتكب لبعض المحرمات، ﴿ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ﴾: وهو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات وهو قد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات، ﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِنُ اللَّهُ ﴾: وهو الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات".<sup>(٢)</sup>

وقول ابن كثير رحمه الله في تفسير الأصناف الثلاثة موضع خلاف ونقاش طويل بين العلماء، ولكن يؤيده الحديث الشريف الذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ في هذه الآية "هؤلاء كلهم بمثلة واحدة وكلهم في الجنة".<sup>(٣)</sup>

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٩م)، ج ٢٢، ص ٣١١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ص ١٤١٩).

(٣) سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، الترمذي (حديث: ٣٢٢٥).

وقال ابن العربي في شرحه للحديث: "من الناس من قال: إن هذه الأصناف الثلاثة هم الذين في سورة الواقعة: أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة، والسابقون. وهذا فاسد لأن أصحاب المشأمة في النار الحامية، وأصحاب سورة فاطر في جنة عالية، لأن الله ذكرهم بين فاتحة وخاتمة، فأما الفاتحة فهي قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ (فاطر: ٣٢)، فجعلهم مصطفين. ثم قال في آخرهم: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ (فاطر: ٣٣)، ولا يصطفى إلا من يدخل الجنة".<sup>(١)</sup>

كما جاء في الآية الكريمة التي ذكرت الاصطفاء قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (فاطر: ٣٢)، وهذا يعني أن هذه الأصناف الثلاثة تُعطي أكثر مما عملت، على الرغم من تقصير بعضها:

ومن خلال دراسة السورة يمكن القول: إن السورة تبين معالم الاصطفاء ومعارجه، وهذه المعالم مستقاة من ثنايا الآيات التي تحدثت عن آل عمران، وهذه المعالم هي: البذل والعطاء لله ودينه، التبتل والدعاء لله عز وجل، التوحيد لله عز وجل والإخلاص له، ويمكن ملاحظة هذه المعالم في السورة على النحو الآتي:

(١) عارضة الأحوذى شرح سنن الترمذي، ابن العربي (م ٦، ج ١٢، ٧٥)

١. البذل والعطاء لله ودينه: فقد ذكر الله تعالى على لسان امرأة عمران

قولها: ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٣٥)، وهذا السلوك ماثوث في السورة، ومن أمثلة ذلك:

— وصفه تعالى للمتقين الذين يستحقون الجنة في بداية السورة:

﴿ وَالْمُنْفِقِينَ ﴾ (١٧).

— وصفه تعالى للفئة التي ينصرها ويؤيدها: ﴿ فَمَنْ تَقَتَّلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (١٣).

— قوله تعالى: ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (٩٢).

— قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ﴾ (١٦٩).

٢. التبتل والدعاء لله عز وجل: فقد ذكر الله تعالى عن امرأة عمران قولها:

﴿ فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٣٥)، وقولها: ﴿ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلَكَ

وَدُرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (٣٦)، كما أمر تعالى مريم بعد اصطفتائها:

﴿ يَمْرَيْمُ اقْنُصِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ (٤٣)، وهذا المعنى بارز

جداً في السورة ومن ذلك:

— قوله تعالى على لسان أولي الألباب: ﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا

وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٨)

رَبِّ فِيهِ إِتِّكَ اللَّهُ لَا يُخَلِّفُ الْمِعَادَ ﴿ (٨ - ٩).

- قوله تعالى في وصف المتقين: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا ءَامَنَّا بِمَا آتَيْنَاكَ مِنَّا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّٰدِقِينَ وَالصَّٰدِقَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ (١٦-١٧).

- قوله تعالى في الحديث عن زكريا عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ (٣٨).

- قوله تعالى في توجيه زكريا عليه السلام: ﴿وَأذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤١﴾ (٤١).

- قوله تعالى على لسان الحواريين: ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا آتَيْتَنَا وَاتَّبَعْنَا الرُّسُولَ فَأَكْتُمِبْنَا مَعَ الشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ (٥٣).

- قوله تعالى في وصف فئة من أهل الكتاب: ﴿مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ (١١٣).

- قوله تعالى على لسان أتباع الرسل الصادقين: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ (١٤٧).

- وتختتم السورة بآيات مطولة (١٩٠-١٩٥) في وصف جميل لأولي الألباب ودعائهم لله تعالى، ومنها قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْآبَرَارِ ﴿١٩٣﴾ (١٩٣).

٣. التوحيد لله عز وجل والإخلاص له: وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى

على لسان امرأة عمران: ﴿مُحَرَّرًا﴾ (٣٥)، وقوله تعالى على لسان عيسى

عليه السلام عند عرضه للمعجزات أمام قومه: ﴿يَا ذُنَّ اللَّهِ﴾ (٤٩)، وقوله

تعالى على لسان عيسى عليه السلام أيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ

هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٥١)، وهذا الأمر فيه تعريض بأهل الكتاب الذين

اتخذوا عيسى إلهاً من دون الله، وهذا المعنى يتضح في الآيات الآتية من

السورة:

— إعلان وحدانية الله تعالى في افتتاحية السورة بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ

إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (٢).

— قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٦).

— قوله تعالى: ﴿فَعَسَىٰ تُفْتَلٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (١٣).

— قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا

بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٨).

— قوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجَّكَ فَقُلْ أَسَلْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعْتُ﴾ (٢٠).

— قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ

مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

﴿٣٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ

وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٢٦ - ٢٧).

- قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٦٢).
- قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَّامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٦٤).
- قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٦٧).
- قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا ﴾ (٨٠).
- قوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (٨٣).
- قوله تعالى: ﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (٨٤) وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿ (٨٤ - ٨٥).
- قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٠٢).

وهذه الصفات الثلاث السابقة المؤهلة للاصطفاء ذكرت في بيان صفات المتأسين برسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٢١)، فالتأسون برسول الله ﷺ يرجون فيدعون به ويحلفون به ويرجون اليوم الآخر فيبدلون ويضحون.

كما يُلاحظ من خلال التأمل للسورة أنها تعرض للأمور المُعينة على الاصطفاء والموجهة إليه ويتبين ذلك في العرض الآتي:

١. اتباع التعليمات الإلهية المتمثلة بالكتب السماوية: فالإنسان الذي يريد بلوغ درجة الاصطفاء لا بد له من التلقي من الخالق العليم ليصل إلى هذه الدرجة العظيمة، ويبرز ذلك في السورة من خلال المواضع الآتية:

- استهلت السورة بالحديث عن الكتب السماوية في قوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلُ هَدَى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ﴿٤-٣﴾ .

- الراسخون في العلم يؤمنون بما أنزل الله تعالى ويدعون ربهم أن لا تزيع قلوبهم عن هداية الله تعالى في الآيتين (٧-٨).

- ذكرت الآية (٣١) أن اتّباع الرسول ﷺ دليل على محبة العبد لربه وطريق لمزيد من المحبة من الله ومغفرة الذنوب.

- كان مما امتنه الله على عيسى عليه السلام أنه: ﴿ وَعَلَّمَهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ .

- بينت الآية (٧٩) أن تعليم الكتاب ودراسته طريق للربانية في قوله تعالى: ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ .

- طلب الله من نبيه ﷺ والمؤمنين من بعده الإيمان بما أنزل الله تعالى من كتب وتعليمات هادية في قوله تعالى: ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ

مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ  
مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾.

— مدح الله تعالى طائفة من أهل الكتاب بأنهم: ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ  
قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَاتَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ ﴿١١٣﴾، وفي آخر السورة  
أعاد مدحهم في قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ  
إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايِنَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا  
أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿١٩﴾.

٢. العلم: فالعلم من أهم الأمور التي تقود إلى الاضطفاء، وقد ركزت السورة  
على بيان أهمية العلم والدراسة، وبيان فضل العلماء وربطتهم مع الله تعالى  
والأنبياء، في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ  
ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ ﴿٧﴾، وقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ ﴿١٨﴾، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ  
مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ ﴿٦١﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ  
تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ ﴿٧٩﴾.

٣. موالة المؤمنين والتناصر بينهم والتعاون معهم على الأمر بالمعروف والنهي  
عن المنكر: وهذا الأمر هام جداً في ثبات الإنسان على جادة الحق وارتقائه  
إلى درجة الاضطفاء، وقد ركزت السورة على هذا المعنى ابتداءً من تسمية

السورة بآل عمران حيث لم تُسمَّ بعمران وإنما بآله للإشارة إلى أهمية التجمع والتعاون في الوصول إلى الاصطفاء، ومن الآيات التي تتناول هذا الأمر:

- ﴿الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ (٢١).
- ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُ﴾ (٢٨).
- ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ (٥٢).
- ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ (٨١).
- ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (١٠٣).
- ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٤).
- ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (١١٠).
- ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١١٤).
- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ (١١٨).

ولعل هذا المعنى واضحاً في الحديث الذي يذكر قصة الرجل الذي قتل تسعاً وتسعين نفساً حيث نصحه العالم أن يترك بلده التي هو فيها، ويرحل إلى بلد أخرى يعبد الله مع أهلها.

٤. تربية النفوس على حب الآخرة: تناولت عدة آيات في السورة الدعوة إلى زيادة الرغبة في الآخرة وعدم التعلق بالدنيا وزينتها، ومن هذه الآيات:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أُوْنِيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾.

— النعي على أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا ضَلِيلًا ﴾ (٧٧).

— ﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَخَّرْنَا لِّلشَّكِرِينَ ﴾ (١٤٥).

— ﴿ مِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ (١٥٢).

وخلاصة القول: إن السورة تفتح باب الاصطفاء والارتقاء للبشر كافة، وتضع معالمه والأمور التي تؤهل له ومنها البذل والتجرد والتوحيد، كما تعرض للأمور المعينة على الاستمرار في الارتقاء ومنها اتباع الوحي وموالاتة المؤمنين والرغبة في الآخرة.

هداية السورة:

الاصطفاء الرباني باب مفتوح للبشر جميعاً،  
ولكنه يحتاج للأخذ بأسبابه والاجتهاد في طلبه

- ربطت بعض الأحاديث بين سورتي البقرة وآل عمران، وسمتهما الزهراوين، وكأن في ذلك إشارة إلى أنه بعد الاستسلام لله عز وجل في سورة البقرة، يأتي فتح الباب للاصطفاء في سورة آل عمران للآخذين بأسبابه والصابرين عليها.

## (٤) سورة النساء

مدنية، عدد آياتها ١٧٦، وترتيبها ٤

يقول ابن منظور: "نسا النِّسوة والنُّسوة، بالكسر والضم، والنِّساء والنِّسوان والنُّسوان: جمع المرأة من غير لفظه... قال ابن سيده: والنساء جمع نسوة إذا كثرن، ولذلك قال سيويه في الإضافة إلى نساء نسوي فردّه إلى واحده".<sup>(١)</sup>

وقد أورد ابن منظور عدة معانٍ في الباب عند أهل اللغة منها: "النسيان وهو ضد الذكر والحفظ، من قوله تعالى: ﴿تَسُوا اللَّهَ فَنَسِيهُمُ﴾ (التوبة، ٦٧)".<sup>(٢)</sup>

ويقول الأصفهاني: "فالنسي أصله ما ينسى كالنقض لما ينقض، وصار في التعارف اسماً لما يقل الاعتداد به".<sup>(٣)</sup> ويبدو أن هذا المعنى هو ما تمارسه كثير من المجتمعات، حيث تعتبر المرأة مؤخّرةً في الرأي والعمل.

والسورة تعرض لموضوع المرأة كرمز للمستضعفين، حيث أنها مستضعفة في كثير من المجتمعات، وهي الحاضن للطفل الذي هو من فئات المستضعفين، ترضعه وتربيّه، وكذلك اليتيم الذي فقد أباه فهي تعتني به وترعاه. وإن مما جاء الدين له نصرة المستضعفين، والحفاظ على حقوقهم، لأنه يسهل الاعتداء عليهم وأكل حقوقهم. وقد وردت كلمة المستضعفين في السورة ٤ مرات (٧٥، ٩٧، ٩٨، ١٢٧)، ولم تُذكر في غير هذه السورة إلا في سورة الأنفال في قوله

(١) لسان العرب، ابن منظور (ج ١٥، ٣٧٤)

(٢) المصدر السابق (ج ١٥، ٣٧٥-٣٧٧)

(٣) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (ص ٤٩١)

تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ (الأنفال: ٢٦). وتركز السورة في هذه الآيات على أن أهم أهداف القتال في سبيل الله نصرة المستضعفين.

وقد جاء الدين لتصحيح أوضاع البشر المنحرفة، وواضح أن المرأة أصابها جور كبير من هذا الانحراف. حيث وضحت السورة الدور الكبير الذي تلعبه المرأة، وهو الدور الذي لا ينتبه له كثير من الناس لعدم ترتب مردود مادي واضح عليه، وعادة لا تهتم المجتمعات بالفئات التي لا يبرز دورها في الإنتاج والقتال، مع أن الاهتمام بهذه الفئات يعتبر عنواناً للمجتمعات المتحضرة، وتجاوز المجتمع لحقوق المستضعفين المالية وغير المالية دليل على انحرافه وانحطاطه.

ورد اسم السورة معرفاً ومنكراً (النساء، نساء) ١٧ مرة في ١٦ آية أي بنسبة ١٠% من عدد آيات السورة تقريباً، وقد ورد الاسم في القرآن ٥٧ مرة أي أن نسبة ورود الاسم في السورة ثلث ما ورد في القرآن الكريم، كما ورد لفظ نسائكم ونسوة والمرأة والزوجة في السورة عدة مرات.

وقد يكون من المنطقي تسمية السورة بالنساء لكثرة الحديث في السورة عن النساء والأحكام المتعلقة بها، ومن هذه المحاور والأحكام:

١. المرأة أحد العنصرين الذين تكاثر عنهما الإنسان، وذلك في الآية الأولى من السورة.

٢. مساواة النساء بالرجال فيما هو من خصائص الإنسانية، فشرعت الكسب للنساء كالرجال، وأرشدت كلاً منهما إلى تحري الفضل والخير من الأموال

بالعمل دون التمني والتشهي، كما أنه ليس للمرأة أن تطمع فيما وراء مؤهلاتها الطبيعية وكذلك الرجل، وذلك في الآيتين (٣٢-٣٣).

٣. للنساء ثواب أعمالهن الصالحة، وأن مسئوليتهن عن أعمالهن مسئولية مستقلة عن مسئولية الرجل، فهي إنسان مكلف مسئول، وذلك في الآية (١٢٤).

٤. للمرأة الحرية التي للرجل في ذاتها وأموالها، وذلك في الآيتين (١٩-٢٠).

٥. نظام الزواج تكريم للمرأة والأسرة، فحظرت السورة التزوج بأصناف من النساء حفظاً لروابط لا ينبغي أن تعرّض للفساد عبر الزواج، وذلك في الآيات (٢٣-٢٥).

٦. الزواج ميثاق غليظ وليس عقد تمليك أو نوع من الاسترقاق كما كان قبل الإسلام عند العرب وغيرهم، وذلك في الآية (٢١).

٧. قوامة الرجال على النساء، والتي تعني الإشراف والرعاية بحكم القدرة الطبيعية، وبحكم الكد والعمل، والقوامة واجب أكثر منه حق، وذلك في الآية (٣٤).

٨. للزوج سلطة التأديب والتقويم عندما تشذ الزوجة، فوضحت السورة طريقين للإصلاح أوكلت إحداهما للرجل، والثانية للتحكيم، وذلك في الآيات (٣٤-٣٥، ١٢٨)، أما الرجل فهناك أكثر من جهة توكل لتأديبه وتقويمه.

ولكن السورة تناولت عدة موضوعات، فما علاقة هذه الموضوعات باسم السورة؟، ولاستيضاح هذه العلاقة نستعرض أولاً موضوعات السورة:

١. أحكام تتعلق بالمرأة: (١-٥، ١١-١٣، ١٩-٢٥، ٣٢-٣٦، ٧٥، ٩٨، ١٢٤-١٣٠، ١٧٦) ٣٠ آية.
٢. أحكام تتعلق بالأيتام والذرية: (٢، ٦، ٨-١٢، ٢٣، ٧٥، ٩٨، ١٢٧، ١٧٦) ١٢ آية.
٣. الإصلاح بين المتخاصمين: (١٦، ١٩-٢١، ٣٤-٣٥، ٨٥، ١١٤، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٥) ١١ آية.
٤. الأموال والميراث: (٢، ٤-٥، ١٠-١٢، ١٩-٢١، ٢٤-٢٥، ٢٩، ٣٣-٣٤، ٣٧-٣٨، ٥٨، ٨٥، ١٠٥-١١٣، ١٢٧، ١٦١، ١٧٦) ٣٠ آية.
٥. المنافقون: (٦٠-٧٣، ٧٧-٨٣، ٨٨-٩١، ١٠٧-١١٥، ١٣٧-١٤٦) ٤٤ آية.
٦. أهل الكتاب: (٤٥-٥٥، ٦٠، ١٢٣، ١٥٠-١٦١، ١٧١-١٧٣) ٢٨ آية.
٧. الصلاة: (٤٣، ١٠١-١٠٣، ١٤٢، ١٦٢) ٦ آيات.
٨. الاحتكام إلى الشريعة: (٥٩-٧١، ٨٣، ١٠٥-١١٣) ٢٣ آية.
٩. العدل: (٥٨، ١٠٥-١١٣) ١٠ آيات.
١٠. الجهاد والقتال في سبيل الله: (٧٤-٨٤، ٩٤-١٠٤) ٢٢ آية.

وتتضح العلاقة بين اسم السورة وموضوعاتها بملاحظة تركيز السورة على القضايا ذات الأثر الهام في البناء المجتمعي، مما يؤكد أن إعطاء النساء حقوقهن، بدءاً من النظرة الإيجابية لدورهن في هذا البناء، له أعظم الأثر في البناء الاجتماعي المتين. والقضايا المجتمعية التي تناولتها السورة هي:

١. العدل: برز الأمر به في السورة في موضعين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (٥٨)، وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفُوا قَوْمِينَ بِأَلْقُسُطِ شُهَدَاءِ اللَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا﴾ (١٣٥)، كما تجلّى في السورة الحرص على تطبيق العدل حتى مع غير المسلمين في المجتمع المسلم، وذلك في قصة اليهودي الذي اُتهم بالسرقة، وعتاب الله تعالى لرسوله ﷺ، وتوصية الله للمسلمين بالحكم بالقسط في الآيات (١٠٥-١١٣) ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ حَصِيمًا﴾ (١٠٥).

٢. تجريم قتل المؤمن للمؤمن لما في ذلك من خلخلة للبناء المجتمعي، وهو الأمر الذي ورد في الآيات (٩٢-٩٣).

٣. الحث على إفشاء السلام في الآية (٨٦) لما فيه من تمتين الروابط الاجتماعية، وفي المقابل ضبط النجوى في الآية (١١٤). لما في كثير منها من المردود السليبي على المجتمع.

٤. من أهم عوامل الترابط المجتمعي الطاعة للقيادة والانضباط وقد ورد هذا المحور في الآيات (٤٦، ٥٩-٧٠، ٧٢، ٨٣، ١١٥، ١٤٦)، ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (٨٣).

٥. الصلاة: قد لا ينتبه الناس إلى أهمية الصلاة في البناء المجتمعي، وتحصينه في مواجهة الأعداء الخارجيين، لذا تكرر الحديث عن الصلاة في عدة مواضع: منها الآية (٤٣)، والتي تتناول بشكل أساسي التيمم، والآية (١٠١) التي تتناول موضوع قصر الصلاة، والآية (١٠٢) والتي تتناول موضوع صلاة الخوف لبيان الحرص على الصلاة في أحلك الظروف، يقول شلتوت: "فتكليف المؤمنين بالصلاة وقت الحرب والاشتغال بقتال الأعداء وفي حال ترقب الموت، دليل واضح على أهمية هذا الواجب في تزكية النفوس وفي الحصول على رضا الله وعطفه".<sup>(١)</sup>

وتؤكد الآية (١٠٣) على ضرورة الالتزام بمواقيت الصلاة في كل الأحوال، كما خصت الآية (١٦٢) إقامة الصلاة من بيان صفات الراسخين في العلم في قوله تعالى: ﴿لَنْ كِنَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١٦٢)، وفي المقابل وصفت الآية (١٤٢) المنافقين بأنهم: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى﴾ (١٤٢).

٦. ومن علامات البناء المجتمعي المتناسك نصرته المستضعفين، حيث أن الاهتمام بهم يعتبر عنواناً للمجتمعات المتحضرة، وتجاوز المجتمع لحقوقهم دليل على انحرافه وانحطاطه. وقد ركزت السورة على هذا الموضوع وذلك في الآيات (٧٥، ٩٧، ٩٨، ١٢٧). كما تناولت موضوع اليتامى والحرص عليهم في آيات

(١) تفسير القرآن الكريم، محمود شلتوت (٢٥٦)

كثيرة فأمرت بالمحافظة على أموال اليتامى واستثمارها لما فيه فائدتهم (٢، ٥، ٦)، كما حثت على الاهتمام بهم (٨)، وحذرت بشدة من أكل أموالهم (١٠).  
 ٧. عنيت السورة بوضع أحكام بخصوص المال، من شأنها إذا روعيت وطبقت حق التطبيق أن تزيد من التماسك الاجتماعي حيث أن المال هو قوام الحياة،

﴿ وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا ﴾ (٥).

٨. التحذير من اتباع الشهوات حيث أن انتشار الشهوات في المجتمع يؤدي إلى الانحراف الهائل، كما أن الشهوات هي مدخل هام للشيطان ويضعف كثير من الناس أمامها، وهو ما تناولته الآيتان (٢٧-٢٨) في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا ﴾ (٢٧)

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ (٢٧ - ٢٨).

٩. المنافقون الذين يعتبرون عنصراً هاماً في إضعاف المجتمع، ولذلك تناولت آيات عديدة من السورة كشف حقيقتهم وذكر أوصافهم لتحذ من أثرهم السليبي على المجتمع وذلك في الآيات (٦٠-٧٣، ٧٧-٨٣، ٨٨-٩١، ١٠٧-١١٥، ١٣٧-١٤٦).

يقول شلتوت في التعليق على تسمية السورة: "وكم تنبض قلوب النساء فرحاً لتكريم الله لهن وعنايته بهن حينما يسمعن أو يعلمن أن القرآن الكريم عرض لهن في هذه السور كلها، وأن من بين السور سورتين سميتا باسمهن وعالجتا كثيراً من شئونهن من أطوار حياتهن كلها، من عهد الطفولة إلى عهد الزوجية والأمومة، وأن إحدى السورتين تبدأ بخطاب الناس جميعاً وتردهم بذكورهم وإنائهم إلى

أصل واحد، تنتظمهم جميعاً رحم واحدة، وأن الأخرى، وهي الصغرى، تبدأ بخطاب الرسول بوصف النبوة فيما تعرض له من أحكام".<sup>(١)</sup>

ويقول أيضاً: "إن احتفاظ الأمم بكيانها يرتبط بأمرين عظيمين: الاستقرار الداخلي، والاستقرار الخارجي.

فالاستقرار الداخلي: أساسه صلاح الأسرة، وصلاح المال في ظل تشريع قوي عادل مبني على مراعاة مقتضيات الطبيعة الإنسانية، مجرد من تحكيم الأهواء والشهوات، وذلك إنما يكون إذا كان صادراً عن حكيم خبير بترعات النفوس واتجاهاتها، تمتلئ النفس بعظمته وقوته، وغيرته على تشريعاته ومحارمه.

والاستقرار الخارجي: أساسه احتفاظ الأمة بشخصيتها، والاستعداد لمقاومة الشر الذي يطرأ عليها، والعدو الذي يطمع فيها. وسورة النساء تكفلت بوضع أسس الأحكام التي تصلح بها هذه النواحي".<sup>(٢)</sup>

### هداية السورة

المرأة ركن أساس في المجتمع، وهي رمز للمستضعفين ومحضن لكثير منهم، أولئك الذين يسهل الاعتداء عليهم ولا يؤبه لخطورة دورهم. فجعلت السورة عنواناً لهم تنبيهاً على حقوقهم

(١) تفسير القرآن الكريم، محمود شلتوت (١٦٥)

(٢) المصدر السابق (١٦٩)

• ختمت السورة بقوله تعالى: ﴿يُيَسِّرُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضَلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٧٦)، وهذا التركيز على تبيين الأحكام المتعلقة بالمرأة وحقوقها أكدت عليها ثلاث آيات بعد عرض مطول لأحكام تتعلق بالأسرة، وذلك في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٦) ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ (٢٧) ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (٢٦ - ٢٨).

ويتضح من الآيات رحمة الله بعباده بإنزال التشريعات اللازمة لحياتهم، والتي تحمل الحرص والهداية والتخفيف، وفي الوقت نفسه تبين الآيات موقف المعادين للبشرية والحريصين على مصالحهم الشخصية والتحكم في الآخرين.

## (٥) سورة المائدة

مدنية، عدد آياتها ١٢٠، وترتيبها ٥

يقول الأصفهاني: "الميد: اضطراب الشيء العظيم كاضطراب الأرض... وقيل هو الممتد من العيش، وميدان الدابة منه، والمائدة الطبق الذي عليه الطعام، ويقال لكل واحد منهما مائدة، ويقال مادني يميدني أي أطعمني".<sup>(١)</sup>

تناولت السورة جانب التشريع بإسهاب إلى جانب العقيدة وقصص أهل الكتاب، يقول قطب: "ويتضمن سياق السورة أحكاماً شرعية متنوعة: منها ما يتعلق بالحلال والحرام من الذبائح والصيد. ومنها ما يتعلق بالحلال والحرام في فترة الإحرام، وفي المسجد الحرام. ومنها ما يتعلق بالحلال والحرام من النكاح، ومنها ما يتعلق بالطهارة والصلاة. ومنها ما يتعلق بالقضاء وإقامة العدل فيه. ومنها ما يتعلق بالحدود في السرقة، وفي الخروج على الجماعة المسلمة. ومنها ما يتعلق بالخمير والميسر والأنصاب والأزلام. ومنها ما يتعلق بالكفارات في قتل الصيد مع الإحرام وفي اليمين. ومنها ما يتعلق بالوصية عند الموت. ومنها ما يتعلق بالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامي من الأنعام. ومنها ما يتعلق بشريعة القصاص في التوراة مما جعله الله كذلك شريعة للمسلمين.. وهكذا تلتقي الشرائع بالشعائر في سياق السورة بلا حاجز ولا فاصل".<sup>(٢)</sup>

(١) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (ص ٤٧٧)

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج ٢، ٨٢٧)

وقد ورد ذكر اسم السورة في قوله تعالى في نهاية السورة: ﴿إِذْ قَالَ  
الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ  
اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ  
صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً  
مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ  
اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ  
الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ (١١٥ - ١١٠).

ومن خلال التأمل في الآيات التي ورد فيها الاسم يلاحظ أنها تتضمن عدة محاور  
أهمها:

١. الطعام: وهو واضح في طلب الحواريين مائدة من السماء ليأكلوا منها،  
وتأكد ذلك في دعاء عيسى عليه السلام أن تكون المائدة عيداً، حيث أن من  
أهم مظاهر العيد هو الطعام والشراب.

٢. الميثاق: وهذا المعنى مأخوذ من قول الحواريين: ﴿وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ  
الشَّاهِدِينَ﴾ (١١٣)، وفي تهديد الله سبحانه وتعالى لمن يكفر بعد نزولها:  
﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (١١٥)، وفي  
ذلك ميثاق بينه وبينهم، وفي مبالغة العذاب ما يدل على أن كفرهم فيه مع  
الكفر زيادة، وهو النقض للميثاق.

٣. تصحيح الاعتقاد حول عيسى عليه السلام: ويبدو هذا جلياً في سؤال

الحوارين: ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ (١١٢) ، وفي قول عيسى عليه السلام:

﴿ اَللّٰهُمَّ رَبَّنَا ﴾ (١١٤). كما يظهر أن الآيات جاءت في سياق الحديث عن

اليوم الآخر، وما يتضمنه من تذكير الله لعيسى بنعمه عليه، قبل الحديث عن

المائدة، وبعد الحديث عن المائدة كان سؤال الله تعالى لعيسى عليه السلام

حول اتخاذ الناس له ولأمه إلهين من دون الله، وبيان حقيقة دعوة عيسى عليه

السلام التوحيدية.

وعند دراسة السورة نجد أنها تتناول المحاور السابقة كما في العرض الآتي:

١. **الطعام:** وحديث السورة عن الطعام ملفت للنظر، فهي أكثر سورة تتحدث

عن أحكام الطعام وما يتعلق به، وقد بينت الأساس التشريعي للتحليل

والتحريم في الطعام، حيث قال تعالى: ﴿ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ ﴾ (٤)، قال

تعالى: ﴿ اَلْيَوْمَ اُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ ﴾ (٥) ، وقوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّٰهُ

حَلٰلًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِيْ اَنْتُمْ بِهٖ مُّؤْمِنُوْنَ ﴾ (٨٨)، مما يعني أن كل طيب

حلال، وكل خبيث حرام، ومن القضايا التي تناولتها السورة في هذا

الموضوع:

- أحكام الصيد: ومن الآيات في ذلك قوله تعالى: ﴿ وَاِذَا حَلَلْتُمْ

فَأَصْطَادُوا ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا اَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ﴾ (٤)، وقوله تعالى:

﴿ يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا لَيَبْلُوَنَّكُمْ اللّٰهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ ﴾ (٩٤)، وقوله تعالى: ﴿ لَا

تَقْلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ﴿٩٥﴾، وقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا﴾ ﴿٩٦﴾.

- تفصيل أحكام المطعومات: وذلك في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ ﴿١﴾، وقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ ﴿٣﴾، وقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ﴾ ﴿٥﴾، وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحُمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ ﴿٩٠﴾، وقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا﴾ ﴿٩٦﴾.

- برزت في السورة خاصية التيسير في أحكام المطعومات، حيث يميل البشر عادة إلى التضييق على أنفسهم في هذا الجانب، وقد أبرزت السورة هذا الميل في قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ ﴿١٠٣﴾. كما نعت الآية (١٠١) عن كثرة السؤال والتنطع وتحميل النفس غير ما شرع في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ ﴿١٠١﴾. كما ذكرت عدة آيات التيسير، فبعد ذكر المحرمات من الأطعمة في الآية (٣) يقول تعالى: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

وقوله تعالى بعد تحريم الخمر: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (٩٣).

- الإطعام أول مراحل كفارة اليمين وذلك في قوله تعالى: ﴿فَكَفَّرْتَهُمْ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِّنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ (٨٩).

- التحليل والتحریم حق لله وحده: قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبِيبَتٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٨٧)، وقوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامِرٍ لِلَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُلُونَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ (١٠٣).

- الالتزام بأمر الله تعالى يؤدي إلى الإكرام من الله تعالى، ومن مظاهر هذا الإكرام الإطعام، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ (٦٦).

٢. الميثاق: تفتتح السورة بقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ ، وقد سمى كثير من العلماء السورة بسورة العقود، والعقد ميثاق بين الإنسان وغيره، وقد يكون ميثاقاً مع الله تعالى، وقد تناولت آيات كثيرة في السورة هذا الموضوع في عدة محاور هي:

أولاً: الميثاق مع الله تعالى: قال تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيَّكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ (٧)، قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ

نَقِيْبًا ﴿١٢﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيَّةٌ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ (١٤). ويقول قطب: "افتتاح السورة على هذا النحو، والمضي فيها على هذا النهج يعطي كلمة (العقود) معنى أوسع من المعنى الذي يتبادر إلى الذهن لأول وهلة. ويكشف عن أن المقصود بالعقود هو كل ضوابط الحياة التي قررها الله. وفي أولها عقد الإيمان بالله؛ ومعرفة حقيقة ألوهيته سبحانه، ومقتضى العبودية لألوهيته. هذا العقد الذي تنبثق منه، وتقوم عليه سائر العقود؛ وسائر الضوابط في الحياة. وعقد الإيمان بالله؛ والاعتراف بألوهيته وربوبيته وقوامته؛ ومقتضيات هذا الاعتراف من العبودية الكاملة، والالتزام الشامل والطاعة المطلقة والاستسلام العميق".<sup>(١)</sup>

ويقول الطبري: "يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا﴾، يا أيها الذين أقرّوا بوحدانية الله، وأذعنوا له بالعبودية، وسلموا له الألوهية وصدّقوا رسوله محمداً ﷺ في نبوته وفيما جاءهم به من عند ربهم من شرائع دينه. ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾، يعني: أوفوا بالعهود التي عاهدتموها ربّكم، والعقود التي عاقدتموها إياه، وأوجبتم بها على أنفسكم حقوقاً، وألزمتم أنفسكم بها لله فروضاً، فأتموها بالوفاء والكمال والتمام منكم لله بما ألزمكم بها، ولمن عاقدتموه منكم، بما

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج ٢، ٣٠٥)

أوجبتموه له بما على أنفسكم، ولا تنكثوها ففتنوها بعد  
توكيدها".<sup>(١)</sup>

وقد برز في السورة الحديث عن إنزال الكتب والشرائع التي تعتبر ميثاقاً  
بين الله وخلقه، ومن هذه الآيات:

— قوله تعالى بعد الأمر بالوفاء بالعقود: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا

مَا يَتَلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ (١).

— ذكر الله تعالى بعد ذكر المحرمات من الأطعمة بإكمال الدين

واعتباره الميثاق بينه وبين الخلق في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ

دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٣).

— اعتبرت الآيتان (١٣-١٤) أن نسيان ما نزل الله تعالى وتحريفه هو

نقض للميثاق، وأكدت الآيات (١٥-١٦)، (١٩) إقامة الحججة على

أهل الكتاب بإرسال محمد ﷺ الذي جاء للبشر كافة بين لهم

ويحمل معه النور الساطع.

— استنكرت آيات كثيرة على أهل الكتاب نقضهم للميثاق بتحريفهم

لشرائع الله تعالى والاعتداء على رسله، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿فِيمَا نَقَضُوا مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ﴾ (١٣)، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ

الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري (٤م)، ج ٦، ٦٣

يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴿٤١﴾ ، وقوله تعالى:  
﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ  
رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ (٧٠).

- وفي المقابل شددت آيات عديدة في السورة على الحكم بما أنزل الله،  
واعترفت عدم الاحتكام إلى شرع الله كفر وفسق وظلم، وذلك في قوله  
تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٤٤)،  
وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ  
الظَّالِمُونَ ﴾ (٤٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ  
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٤٧)، ويعلق قطب على الآية الأخيرة في  
السورة: "وختام يتناسق مع السورة التي تتحدث عن الدين،  
وتعرضه ممثلاً في اتباع شريعة الله وحده، والتلقي منه وحده،  
والحكم بما أنزله دون سواه.. إنه المالك الذي له ملك السماوات  
والأرض وما فيهن، والمالك هو الذي يحكم: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا  
أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٤٤)، إنها قضية واحدة.. قضية  
الألوهية.. قضية التوحيد.. وقضية الحكم بما أنزل الله.. لتوحد  
الألوهية، ويتحقق التوحيد"<sup>(١)</sup>.

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج ٢، ٢٠٠٢)

- عرضت الآيات (٢٠-٢٦) نموذجاً على نقض الميثاق من قبل بني إسرائيل مع نبيهم موسى عليه السلام، كما تناولت الآيات (٢٧-٣١) نموذجاً آخر من نقض الميثاق من قبل ابن آدم الذي قتل أخاه.

ثانياً: الميثاق مع البشر: تناولت آيات كثيرة في السورة الحديث عن المواثيق بين البشر والمجتمعات، حيث تحدثت الآيات (٥١-٥٨) عن موضوع الولاء بين المؤمنين وتحريم موالة الكافرين. كما جاء بيان عدة حدود في السورة، والتي تعتبر عقوبة للاعتداء على المواثيق المجتمعية والسلم الأهلي، فتناولت الآيات (٣٨-٣٩) بيان حد السرقة، كما تناولت الآيات (٣٢-٣٤) بيان حد الحرابة. وكان التعليل الأساس لتحريم الخمر قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾ (٩١). كما ركزت آيتان متفرقتان على العدل والموضوعية، في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا ﴾ (٢)، ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ﴾ (٨).

وتُظهر السورة أهمية خاصة للصلاة التي تقوي الميثاق مع الله تعالى، وهي في الوقت نفسه مظهر لالتزام الإنسان بهذا الميثاق، وهي تدريب عملي يومي حيث أن دوام الصلاة والتوجه للكعبة تعمل على القيام الصحيح للمجتمعات، ومن الآيات التي تناولت موضوع الصلاة آية

الوضوء (٦)، وكانت إقامة الصلاة من شرائط الميثاق مع بني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ ﴾ (١٢)، وعدت السورة أهم صفات حزب الله تعالى إقامة الصلاة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (٥٥)، كما علل تحريم الخمر بقوله: ﴿ وَيَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ﴾ (٩١). وفي قوله تعالى: ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ أَبْوَابًا لِمَنَ ارْتَحَمَ قِيَامًا لِلنَّاسِ ﴾ (٩٧)، إشارة إلى الدور الخطير الذي تؤديه الكعبة في حياة البشر، من خلال توجه عبادتي الصلاة والحج، حيث يتوجه المسلم في صلاته يومياً لها. كما عرضت الآيات بالكفار الذين يستهزئون بالصلاة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا ﴾ (٥٨)، وكانت الوصية لاستكمال الشهادة أن يُحْبَسَ الشاهدان بعد الصلاة، في قوله تعالى: ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ ﴾ (١٠٦).

٣. تصحيح العقائد حول عيسى عليه السلام: ركزت السورة على مناقشة النصارى وبيان انحرافهم الكبير في تصوراتهم عنه، ويلاحظ أن هذا النقاش يبدأ عنيفاً بتقرير كفر من يدعي أن الله هو المسيح بن مريم، في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ

مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾، وهو ما يؤكد قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ ﴿٧٢﴾، والإنكار عليهم في عقيدة التثليث في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ ﴿٧٣﴾، وتأتي الآيات (٧٤-٧٧). بمزيد من البراهين والأدلة على فساد هذه التصورات المنحرفة.

يقول قطب: "هذا الدرس بطوله بقية في **تصحيح العقيدة**؛ وتقويم ما دخل عليها عند النصارى من انحرافات أخرجتها عن أصلها السماوي عند قاعدتها الأساسية. إذ أخرجتها من التوحيد المطلق الذي جاء به عيسى عليه السلام كما جاء به كل رسول قبله، إلى ألوان من الشرك، لا علاقة لها أصلاً بدين الله. ومن ثم فإن هذا الدرس كذلك يستهدف تقرير حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية - كما هي في التصور الإسلامي - تقرير هذه الحقيقة من خلال هذا المشهد العظيم الذي يعرضه؛ والذي يقرر فيه عيسى عليه السلام على ملأ من الرسل، ومن البشر جميعاً، أنه لم يقل لقومه شيئاً مما زعموه من ألوهيته ومن تأليه أمه؛ وأنه ما كان له أن يقول من هذا الشرك كله شيئاً!

والسياق القرآني يعرض هذه الحقيقة في مشهد تصويري من مشاهد القيامة التي يعرضها القرآن الكريم عرضاً حياً ناطقاً، موحياً مؤثراً، عميق التأثير، يهتز له

الكيان البشري وهو يتلقاه كأنما يشهده اللحظة في الواقع المنظور. الواقع الذي تراه العين، وتسمعه الأذن. وتتجلى فيه الانفعالات والسماوات النابضة بالحياة".<sup>(١)</sup>

هداية السورة:

الاحتكام إلى شرع الله تعالى في كل مناحي الحياة من غير مغالاة، والتزام ميثاقه، يعصم من الانحرافات السلوكية والعقدية

- سورة المائدة من أواخر ما نزل من القرآن الكريم، وفيها بيان الأحكام بصورتها النهائية وخاصة في الأطفمة.
- واسم المائدة يرتبط بشكل وثيق مع النصارى، حيث ناقشت السورة عقائدهم وبينت فسادها وانحرافها، وكأنها في ذلك تشير إلى الصراع الطويل بين المسلمين وأصحاب هذه العقائد الفاسدة، وفي حديثها عن اليهود كان التركيز على عدم دخولهم الأرض المقدسة، وتفنياد ادعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه وتشجيع ممارستهم للقتل، والأمور الثلاث المذكورة مرتبطة بشكل واضح بواقع اليهود في فلسطين.

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج٢، ٩٩٦)

## (٦) سورة الأنعام

مكية عدد آياتها ١٦٤، ورقمها ٦

يقول الأصفهاني: "والتَّعَمُّ مختص بالإبل، وجمعه أنعام، وتسميته بذلك لكون الإبل عندهم أعظم نعمة، لكن الأنعام تقال للإبل والبقر والغنم، ولا يقال لها أنعام حتى يكون في جملتها الإبل".<sup>(١)</sup>

ويقول ابن فارس: "النون والعين والميم فروعه كثيرة، وعندنا أنها على كثرتها راجعة إلى أصل واحد، يدل على ترفه وطيب عيش وصلاح".<sup>(٢)</sup>

لم تعرض السورة كالسور الطوال الأربع قبلها لشيء من الأحكام التنظيمية لجماعة المسلمين، كالصوم والحج في العبادات، والعقوبات في الجنايات، والمدائنة والربا في الأموال، وأحكام الأسرة في الأحوال الشخصية، كما لم تذكر في قليل ولا كثير شيئاً يتعلق بالقتال، ولم تتحدث عن أهل الكتاب باستثناء الحديث عن تحريم بعض المأكولات من الأنعام عليهم، ولم تتحدث عن المنافقين، وليس فيها نداء واحد للمؤمنين باعتبارهم جماعة تنتظمها وحدة الإيمان.

ويدور الحديث فيها بقوة حول المحاور الأولى للدعوة، وذلك بالحجة المتكررة، والتنويع في الإقناع، فتركز على توحيد الله في الخلق والعبادة، وتذكر موقف المكذبين وتقص ما حصل مع الأقوام السابقة، من خلال التنبيه إلى الدلائل في

(١) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (ص ٤٩٩)

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج ٢، ٥٦٧)

الأنفس والآفاق، وتذكر إبراهيم عليه السلام وجملة من أبنائه، وتعرض لحال المكذبين يوم الحشر.

يقول قطب: "إنها في جملتها تعرض حقيقة الألوهية.. تعرضها في مجال الكون والحياة، كما تعرضها في مجال النفس والضمير، وتعرضها في مجاهيل هذا الكون المشهود، كما تعرضها في مجاهيل ذلك الغيب المكنون.. وتعرضها في مشاهد النشأة الكونية والنشأة الحيوية والنشأة الإنسانية، كما تعرضها في مصارع الغابرين واستخلاف المستخلفين، وتعرضها في مشاهد الفطرة وهي تواجه الكون، وتواجه الأحداث، وتواجه النعماء والضراء، كما تعرضها في مظاهر القدرة الإلهية والهيمنة في حياة البشر الظاهرة والمستكنة، وفي أحوالهم الواقعة والمتوقعة.. وأخيراً تعرضها في مشاهد القيامة، ومواقف الخلائق وهي موقوفة على ربها الخالق" (١).

وهذه المحاور التي يتضح أنها تركز على محاور العقيدة وتوحيد الألوهية هي:

١. قضية الألوهية وعبادة الله وحده: ورد الحديث عن هذا المحور في الآيات:

(١-٣، ٦، ١٢-١٤، ١٧-١٩، ٣٨، ٣٩-٤١، ٤٦-٤٧، ٥٦، ٥٩-٦٥، ٧١-٧٣، ٩٥-

١٠٣، ١١٥، ١١٧، ١٣٣-١٥١، ١٦١-١٦٥)، ومن هذه الآيات: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ

أَتَّخِذُ وَلياً فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (١٤)، ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا

تُشْرِكُونَ﴾ (١٩)، ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (٥٦)،

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج ٢، ١٠١٦).

﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ (٧١)، ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١٠٢)، ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ. ﴿ (١٦٣-١٦٢)، ﴿ قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ أُنْبِيَ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزْرًا وَازِرَةً وَرَزَّ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (١٦٤).

٢. الحاكمية لله تعالى، التحريم والتحليل لله وحده: ورد ذلك في الآيات: (١١٨-١٢٦، ١٣٦-١٤٠، ١٤٢-١٥٣).

٣. قضية الوحي والرسول ومنهجهم وموقف أقوامهم: ورد ذلك في الآيات: (٤-١١، ١٩، ٢٥، ٣٣-٣٧، ٤٢-٤٥، ٤٨-٥٨، ٦٦-٧١، ٧٤-٩٣، ١٠٦، ١٠٩-١١٧).

﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ (١٩)، ﴿ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيْكُمْ ﴾ (٥٠)، ﴿ أَلَيْسَ مَا أُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ (١٠٦)، ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (١١٤)، ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ (١٢٤).

٤. قضية البعث والجزاء والحديث عن الآخرة وذلك في الآيات: (١٢، ١٥-١٦، ٢٢-٢٤، ٢٧-٣٢، ٦٠، ٦٧، ٧٣، ٩٣-٩٤، ١٢٧-١٣٠، ١٦٠)، ومن هذه

الآيات: ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (١٢)، ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٣٢).

﴿ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٦٧)، ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ (٧٣)، ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٦٠).

وقد ردت كلمة الأنعام (بالتعريف والتنكير والإضافة) في القرآن الكريم ٣٢ مرة، ورد منها في سورة الأنعام ٦ مرات ثلاث منها في آية واحدة وهذه الآيات التي في السورة هي:

١. ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ﴾ (١٣٦).
٢. ﴿ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِرِزْقِهِمْ وَأَنْعُمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ ﴾ (١٣٨).
٣. ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى الْأُنثَى ﴾ (١٣٩).
٤. ﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاءٌ ﴾ (١٤٢).

فما علاقة الاسم بمحاور السورة؟

واضح أن سياق الآيات التي ورد فيها الاسم يتناول جانب التحليل والتحرير والاحتكام إلى الشريعة، والتحليل والتحرير من الأمور الخطيرة الهامة التي لا ينبغي لأحد من الناس أن يدعيها لنفسه، وليست من شأن البشر، وهي منوطة بالله تعالى، فهو وحده الخالق الحاكم، الذي يعلم خصائص الأشياء والذي يخلق كل شيء لغايته، فله سبحانه الخلق والأمر، وعلى الناس أن يلتزموا حدود ما شرع

الله تعالى لهم، وإن التعدي على هذا الحق وإعطاءه لأحد آخر شرك بالله تعالى، كما قال عدي بن حاتم الطائي: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: يا عدي اطرح عنك هذا الوثن، وسمعه يقرأ في سورة براءة: ﴿ اَتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرَهْبَتَهُمْ أَزْيَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ (التوبة: ٣١) ، قال : أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموه" (١).

ومن انحرافات البشر - في هذا الموضوع - تحريم بعض ما أحل الله تعالى، ظناً منهم أن هذا مما يقربهم إلى الله تعالى، والعرب الذين نزل عليهم القرآن الكريم كان عندهم بقايا دين إبراهيم وإسماعيل عليهم السلام، ولكنهم أدخلوا في عقائدهم وشرائعهم كثيراً من الأمور الشركية، فكانت هذه السورة المكية تعالج هذا الانحراف الذي يؤدي إلى كثير من التصرفات السلبية تصل إلى قتل الأولاد، وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيَرُدُّوهُمْ وَيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ﴾ (١٣٧).

والأصل أن التحليل والتحريم لا يكون إلا عن طريق الوحي الإلهي والشرع النبوي: ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ ﴾ (١٤٥).

(١) سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، الترمذي (حديث ٣٠٩٥)

يقول قطب: "والقضية الكبرى التي تعالجها السورة هي قضية الألوهية والعبودية في السموات والأرض، في محيطها الواسع، وفي مجاها الشامل.. ولكن المناسبة الحاضرة في حياة الجماعة المسلمة حينذاك، المناسبة التطبيقية لهذه القاعدة الكبيرة الشاملة، هي ما تزاوله الجاهلية من حق التحليل والتحرير في الذبائح والمطاعم، ومن حق تقرير بعض الشعائر في النذور من الذبائح والثمار والأولاد".<sup>(١)</sup>

ويكثر في السورة الحديث حول أحقية الله وحده في التشريع للبشر والاحتكام له سبحانه في كافة نواحي الحياة، والأنعام رمز لتصرف البشر بوحى من شركائهم في حق الله وحده في التحليل والتحرير، وللتدليل على حق الله وحده تحتشد في السورة الآيات التي تبين صفات الله تعالى التي تستلزم حق التشريع والعبادة، ولا تجعل لأحد سواه الحق فيهما، ومن ذلك:

١. العلم الكامل: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٥٩)، ﴿ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ (٨٠)، ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ ﴾ (١٣، ١١٥)، ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١٠١)، ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ (١٨، ٧٣).

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج ٢، ١٠١٨)

٢. القدرة والسيطرة: ﴿ وَإِن يَمَسَّكَ اللَّهُ يَضُرَّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمَسَّكَ يَخْتَرِ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٧)، ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ (١٨، ٦١)، ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا ﴾ (٦٥).

٣. الهداية: ﴿ أَوْمَن كَانَ مِيسًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ (١٢٢)، ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ (١٢٥).

٤. الإبداع في الخلق: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ﴾ (٩٥)، ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (٩٩)، ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١٠١)، ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ﴾ (١٤١).

٥. الرحمة: ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ (١٢)، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٦٥).

٦. المجازاة في الآخرة: ﴿ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ لَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ (٦٢)، ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ (٩٣).

ومن جهة أخرى: فمن خلال استعراض مواضع ذكر الأنعام في القرآن الكريم فسنجدها ترمز لأمرين: النعمة، وضعف الإدراك.

— أما بالنسبة للنعمة ففوائد الأنعام كثيرة جداً لا يستغني عنها البشر، وقد فصلت سورة النحل هذه الفوائد في قوله تعالى: ﴿ وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ

فِيهَا دِفٌّ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْمُونَ وَحِينَ  
سَرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أُنْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ  
رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿النحل: ٥-٧﴾ ، والنعمة تستوجب الشكر، وأعظم  
الشكر أن يضعها الإنسان في موضعها ويؤدي حقها، ملتزماً بما أمر به الخالق  
المنعم، وبالذات فيما يتعلق بالنعمة نفسها، ومن حق المنعم سبحانه أن يكون  
له وحده تعالى التحليل والتحريم، وقد جاءت السورة حاشدة بالتوجيهات  
المتعلقة بالنعمة، ومن ذلك:

– الشكر لله تعالى على نعمه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ  
الظُّلُمَاتِ وَالنَّوَارَ﴾ (١).

– إيتاء حق النعمة دون تأخير: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ (١٤١).

– الانضباط في استعمال النعم دون تجاوز الحد المقبول: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا  
يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (١٤١).

– الالتزام بأوامر الله تعالى وحده: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ  
الشَّيْطَانِ﴾ (١٤٢)، وقوله تعالى: ﴿عَلِيمٌ وَحَرِّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ  
قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (١٤٠).

– أما بالنسبة لكون الأنعام رمزاً للبله وضعف الإدراك، والذي ورد في موضعين  
من القرآن الكريم، وهما قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ  
وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا

أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿ (الأعراف: ١٧٩)، وقوله تعالى:  
﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ  
أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿  
(الفرقان: ٤٣ - ٤٤)، فيتناسب مع الآيات العديدة في السورة التي تتحدث عن  
عدم استفادة المشركين من الآيات المبثوثة في النفس والآفاق الدالة على الله  
تعالى وإبداع خلقه، وكذلك يتكرر في السورة الحديث عن الشركاء وتحليلهم  
عن شركائهم، وهو ما يدل على غاية البلبه والغباء في استبدال هؤلاء  
الشركاء بالله تعالى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ  
يَعْدِلُونَ ﴿ (١)، وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيَنَ  
شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَّهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ  
﴿٢٣﴾ أَنْظَرَ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿ (٢٢-٢٤)، وقوله  
تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَاكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ  
كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا  
كُنتُمْ تَشْرِكُونَ ﴿ (٤٠-٤١)، ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُمُ مَا خَوَّلْنَاكُمْ  
وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ  
بَيْنَكُمْ وَصَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿ (٩٤).

النعم تستوجب الشكر، ومن مقتضيات الشكر التسليم لله وحده بحق التحليل والتحرير، ومن لم يقبل فهو من أعظم المشركين

- في السورة مشهد إبراهيم الفتي في الآيات (٧٤-٨٣)، وهو يتدرج في بحثه عن المستحق الحقيقي للعبادة ووصوله إلى الخالق الحق، ومحاجته قومه في توحيد الله تعالى، تخلل هذه الآيات إعلان إبراهيم عليه السلام الاستسلام لله وحده في قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٧٩)، وفي تفرد السورة بهذا الجزء من حياة إبراهيم عليه السلام تبكيت للمشركين الذين لا يستفيدون من كل ما أعطاهم الله من أدوات وما أحاطهم به من دلالات.
- تمتاز سورة الأنعام بتقديم الحكمة على العلم في التذليل على الآيات في مثل قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (٨٣)، وقوله تعالى: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (١٣٩)، وهذا يشير إلى أهمية الحكمة في التشريع، والتي تعني وضع الأمر في موضعه.
- الاستهلال بالحمد كما كان في سور أخرى أربع (الفاتحة، الكهف، سبأ، فاطر) وكلها سور مكية، وفي هذا الاستهلال تنويه بأن النعم كلها من الله، وبالتالي هو وحده من له حق التصرف والتشريع.

## (٧) سورة الأعراف

مكية عدد آياتها ٢٠٦، ورقمها ٧

يقول الأصفهاني: "والعُرف: المعروف من الإحسان، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ (الأعراف: ١٩٩)، وعُرف الفرس والديك معروف، وجاء القطا عُرفاً أي متتابعة، قال تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ (المرسلات: ١) . وقد عُرف فلان عرافة إذا صار مختصاً بذلك، فالعريف السيد المعروف".<sup>(١)</sup>

وقال الفيروزآبادي: "والعرف، بالضم: الجود، واسم ما تبذله وتعطيه، وموج البحر، وضد النكر، واسم من الاعتراف... والعريف، رئيس القوم، سمي لأنه عُرف بذلك".<sup>(٢)</sup>

ويقول المصطفوي: "والتحقيق أن الأصل الواحد في المادة هو اطلاع على شيء وعلم بخصوصياته وآثاره، وهو أخص من العلم، فإن المعرفة تميز الشيء عما سواه وعلم بخصوصياته، فكل معرفة علم ولا عكس".<sup>(٣)</sup>

وقد ورد الاسم في قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ﴾ (الأعراف: ٤٦) ، وقد ذكر المفسرون أقوالاً كثيرة في بيان من هم أصحاب الأعراف، ومن ذلك:

(١) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (ص ٣٣٢)

(٢) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ص ٨٥٢)

(٣) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج ٨، ١١٧)

يقول ابن كثير: "واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم؟ وكلها قريبة ترجع إلى معنى واحد، وهو أنهم قوم استوت حسناهم وسيئاتهم".<sup>(١)</sup>

ويقول الفخر الرازي في تفسيره: "ولقد كثرت الأقوال فيهم وهي محصورة في قولين: أحدهما: أن يقال إنهم الأشراف من أهل الطاعة وأهل الثواب، الثاني: أن يقال إنهم أقوام يكونون في الدرجة السافلة من أهل الثواب، أما على التقدير الأول ففيه وجوه: أحدها: قال أبو مجلز: هم ملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار... وثانيها: قالوا إنهم الأنبياء عليهم السلام أجلسهم الله تعالى على أعالي ذلك السور تمييزاً لهم عن سائر أهل القيامة، وإظهاراً لشرفهم، وعلو مرتبتهم وأجلسهم على ذلك المكان العالي ليكونوا مشرفين على أهل الجنة وأهل النار، مطلعين على أحوالهم ومقادير ثوابهم وعقابهم. وثالثها: قالوا: إنهم هم الشهداء، لأنه تعالى وصف أصحاب الأعراف بأنهم يعرفون كل واحد من أهل الجنة وأهل النار... فهو تعالى يجلسهم على الأعراف، وهي الأمكنة العالية الرفيعة ليكونوا مطلعين على الكل يشهدون على كل أحد بما يليق به، ويعرفون أن أهل الثواب وصلوا إلى الدرجات، وأهل العقاب إلى الدركات".<sup>(٢)</sup>

ويقول المصطفوي: "الأعراف جمع عُرف كقُفْل وغُسل، وقلنا إنه ما يعلو ويُعرف، والمراد المقامات العالية الروحانية، المحيطة بالجنة والجحيم، وهذه مقامات أوليائه المقربين السابقين الذين لهم جنات النعيم، ولما ذكر أصحاب الجنة

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ص ٦٨٠)

(٢) الفخر الرازي في تفسيره (٧م، ج ١٤، ٧١)

وأصحاب النار ومكالماتهم قال تعالى وعلى الأعالي منهما رجال، ويدل على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كَلًّا بِسِمَتِهِمْ﴾، فإن المعرفة بهم وبأحوالهم وبمقاماتهم توجب علواً وإحاطة وارتفاعاً عليهم<sup>(١)</sup>.

ويقول ابن عطية: "وقال السدي: سمي الأعراف أعرافاً لأن أصحابه يعرفون الناس"<sup>(٢)</sup>.

ويقول شلتوت: "ولذلك أرجح أن رجال الأعراف هم عدول الأمم والشهداء على الناس، وفي مقدمتهم الأنبياء والرسل، وقد جاء التصريح بهؤلاء في كثير من الآيات، مثل قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (٤١).<sup>(٣)</sup>

إذا يبدو أن معنى الأعراف على الأرجح من الأقوال: المواضع العالية التي يكون عليها أشرف الناس من الأنبياء والمصلحين على مر العصور، وكونهم حجة على البشر والأمم يوم القيامة، وهذا ما تشير إليه آيات السورة ومواضيعها، ويمكن ملاحظة ذلك من العرض الآتي:

١. ذكرت معظم آيات السورة قصص الأنبياء المشهورين في التاريخ البشري، الذين بعثهم الله تعالى للأمم عريقة في التاريخ وتكاد تكون أكثر الأمم حضارة وامتداداً، فقد ذكرت قصة كل من: نوح، هود، صالح، شعيب،

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج ٨، ١١٩)

(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية (ج ٢، ٤٠٤)

(٣) تفسير القرآن الكريم، محمود شلتوت (٤٩٣)

لوط، موسى، عليهم السلام، في الآيات (٥٩-١٧١)، والمتأمل لسياق هذه القصص في السورة يلاحظ الأمور الآتية فيما يتعلق بالاسم:

- تكرر في كل قصة أن الأنبياء عليهم السلام يُذكرون أقوامهم بأنهم يُبلغون رسالات الله تعالى، وذلك في الآيات: (٦٢، ٦٨، ٧٩، ٩٣).

- أطالت السورة الحديث عن بني إسرائيل، وتكاد تكون هذه السورة هي الأطول من السور المكية في الحديث عنهم، ويبرز في الحديث عنهم إقامة الحجّة عليهم بالمعجزات الباهرات، وإعطائهم الفرص الكثيرة، كنموذج لقوم تتابعت عليهم هدايات الأنبياء، وبدلاً من أن يكون ذلك سبباً لارتقائهم فإنهم انحرفوا وضلوا، وفي هذا حجة عليهم، وعبرة وعظة للمؤمنين.

٢. واضح في السورة التركيز على دور الأنبياء في الإصلاح والدعوة إلى الدين وتكليفهم بأمانة الرسالة إلى البشر ليكونوا شهداء عليهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٦)، وقوله تعالى: ﴿ يَبْنَئِي عَادِمًا مَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ عَائِنِي ﴾ (٣٥)، وقوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿ قَالَ يَمْوسَىٰ إِنَّيْ أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١٤٤)، وقوله تعالى: ﴿ إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٨٨).

٣. تكرر في السورة ذكر مشاركة مصلحين للأنبياء في عملية الإصلاح، بل التأكيد على دورهم الهام، وخاصة في الأمة الخاتمة، حيث ختمت الرسالات، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (١٥٩)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعْبُدُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِيَّايَ رَبُّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ ﴾ (١٦٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ (١٧٠)، وقوله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (١٨١).

٤. أما قصة آدم عليه السلام في الآيات (٢٥-١١)، فقد برز فيها قول الله تعالى: ﴿ وَنَادَيْتُهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (٢٢)، ففي الآية تذكير من الله تعالى لآدم عليه السلام بما قد بينه له من أوامر، فالله تعالى هو الشهيد والمقيم للحجة على آدم عليه السلام.

٥. أما الحديث عن يوم القيامة في الآيات (٥٣-٣٧)، فيبرز فيه الشهادة على البشر واعترافهم بما وصلهم من الرسالات، ومن ذلك قوله تعالى عن أهل الجنة: ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾ (٤٣)، وقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾ (٥٣).

٦. ورد في نهاية السورة قوله تعالى للنبي ﷺ: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ

الْجَاهِلِينَ ﴾ (١٩٩)، والعرف كما يقول قطب: "الخير المعروف الواضح الذي لا يحتاج إلى مناقشة وجدال، والذي تلتقي عليه الفطر السليمة والنفوس المستقيمة"<sup>(١)</sup> فالذين لا يستجيبون للأنبياء فيما يطلبونه إنما يتنكرون للواضحات في عقولهم وفطرتهم.

٧. في السورة حشد لكثير من الحجج التي أقامها الله على البشر، ومن ذلك:

- أخذ الميثاق من بني آدم منذ بداية الخلق، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾ (١٧٢).

- التكفل بالرخاء والبركة لمن اتبع طريق الإيمان، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَنَحْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٩٦).

- سرد القصص للبشر حول مصائر المكذبين، كما جاء في قوله تعالى على لسان صالح عليه السلام لقومه: ﴿ وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَنَنجُونَ الْجِبَالَ يَوْمًا فَاذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (٧٤)، وقوله تعالى: ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (٨٤)، وقوله تعالى:

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج ٣، ١٤١٩)

﴿ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٨٦)، وقوله تعالى: ﴿ فَانظُرْ

كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (١٠٣).

وهذا المعنى الذي يحمله اسم السورة وهو مكانة أهل الأعراف وتبكيتهم للكفار

تؤكد آيات عدة في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

يُخْزِبُهُمْ وَيَقُولُ بَيْنَ شُرَكَاءِكَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَفِّقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ

إِنَّ الْآخِرَىٰ لَيْسَ إِلَّا يَوْمٌ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (النحل: ٢٧) ، وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ

السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا

الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ

كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الروم: ٥٥ - ٥٦).

هداية الاسم:

الأنبياء والمصلحون هم

أشراف الخلق وشهداء الله تعالى على الناس في الدنيا والآخرة

## (٨) سورة الأنفال

مدنية عدد آياتها ٧٥، وترتيبها ٨

الأنفال: هي الغنائم التي يغنمها المقاتلون من أعدائهم، يقول ابن فارس: "النون والفاء واللام أصل صحيح يدل على عطاء وإعطاء. منه النافلة: عطية الطوع من حيث لا تجب... ومن الباب النفل: العُثم، والجمع أنفال".<sup>(١)</sup> ويقول الأصفهاني: "النفل: قيل هو الغنيمة بعينها، لكن اختلفت العبارة عنه لاختلاف الاعتبار، فإنه إذا اعتبر بكونه مظفوراً به يقال له غنيمة، وإذا اعتبر بكونه منحة من الله ابتداءً من غير وجوب يقال له نفل... وأصل ذلك من النفل وهو الزيادة على الواجب".<sup>(٢)</sup> ويقول الفيروزآبادي: "النافلة: الغنيمة والعطية، وما تفعله مما لا يجب".<sup>(٣)</sup>

ويقول ابن عاشور: "وقد أطلق العرب في القديم الأنفال على الغنائم في الحرب كأنهم اعتبروها زيادة على المقصود من الحرب، لأن المقصود الأهم من الحرب هو إبادة الأعداء".<sup>(٤)</sup>

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج ٢، ٥٧٢)

(٢) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (ص ٥٠٢)

(٣) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (ص ١٠٧٦)

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٤م، ج ٩، ٢٤٩)

وهذا المعنى تقبله المفسرون المسلمون وتناقلوه بينهم، فمثلاً يقول ابن عطية:  
"وسُمّيت الغنيمة نفلًا لأنها زيادة على القيام بالجهاد وحماية الدين والدعاء إلى  
الله عز وجل".<sup>(١)</sup>

فإذا كانت الأنفال هي الزيادة من الأموال التي يكسبها المجاهدون، وليست  
الهدف من القتال في الفهم الإسلامي، فلماذا تُسمى السورة باسم الأنفال؟

وإذا استعرضنا السورة سنجد أن اسمها ورد في الآية الأولى فقط بإيراد سؤال  
المؤمنين للرسول ﷺ عن الأنفال، ولم يرد الحديث عنها خلال السورة، وقد ورد  
تفصيل الإجابة عن السؤال في الآية (٤١)، وكان الحيز الأكبر في السورة هو  
إظهار الصورة التي ينبغي أن يكون عليها المؤمنون، وما يتعلق بالقتال من أحكام  
فقهية ونفسية، كما استعرضت نعم الله على المؤمنين في غزوة بدر الكبرى،  
وتضمّنت كثيراً من التشريعات الحربية والإرشادات الإلهية التي يجب على المؤمنين  
اتباعها في قتالهم لأعداء الله، وتناولت جانب السلم والحرب وأحكام الأسر  
والغنائم، فإذا كان الأمر كذلك فلماذا لم تُسمَّ سورة القتال أو بدر؟

إن كلمة الأنفال تتضمن القتال، حيث لا أنفال دون قتال، ولكنها تتضمن معنى  
إضافياً مهماً يتمثل في الزيادة على المقصود الأساسي للقتال، فالمسلم يقاتل  
أساساً لإحقاق الحق، ولا يقاتل للمصالح الدنيوية، ولكن إذا قاتل لإعلاء كلمة

---

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية (ج ٢، ٤٩٦)

الله تعالى فإن المصالح الدنيوية تأتي زيادة على أجره الحقيقي المتمثل في الدنيا بإحقاق الحق وإبطال الباطل، وفي الآخرة بالفوز بالجنة.

وبناءً على ذلك فقد يكون اسم السورة لتحذير المسلم من أن يتحول قتاله من إعلاء كلمة الله إلى طلب المغامم الرخيصة، ومن جهة أخرى تطمين للمسلم أن القتال الخالص سيؤدي إلى الأنفال أي الزيادة.

يقول الترايبي: "وسميت السورة (الأنفال) لأن ذكر البلاء حول الجهاد كان أبلغه بين السعي للقتال مخاطرة بالأموال والنفس في سبيل الله لإحقاق الحق وتمكينه، والمسعى إليه طلباً لعرض الدنيا سلباً للغنائم وكسباً للقدى والأنفال".<sup>(١)</sup>

إن سؤال المؤمنين عن الأنفال، يدل على أنها أخذت حيزاً من تفكيرهم، وأدت إلى خلل في صفوفهم، كما ورد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن سورة الأنفال قال: "فينا أصحاب بدر نزلت، حين اختلفنا في النفل، وساءت فيه أخلاقنا، فانتزع الله من أيدينا، وجعله إلى رسول الله ﷺ، فقسّمه رسول الله ﷺ بين المسلمين عن بواء يقول عن سواء".<sup>(٢)</sup>

ولذلك كانت الإجابة على سؤالهم: ﴿الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١)، وفي هذه الإجابة توجيه إلى تقوى الله تعالى بترك الاهتمام بالدنيا وجعلها هدفاً، والتزام أوامر الله

(١) التفسير التوحيدي، حسن الترايبي، (٧٨٧)

(٢) مسند أحمد، (ج ٥، ٣٢٢)

تعالى وتقدمها على كل شيء، كما تشير الآية إلى أن تقديم الأنفال على الهدف الحقيقي للقتال سيؤدي إلى فساد ذات البين.

والآيات اللاحقة للآية الأولى (٢-٨) تؤكد هذا التوجيه، فهي تُظهر أن المؤمنين الحقيقيين يتصفون بصفات منها: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (٣)، للتأكيد على أن المؤمن يبذل من ماله في سبيل الله ولا ينصر دينه من أجل الكسب الدنيوي، كما تظهر الآيات ميل الصحابة البشري إلى عدم القتال وتعلقهم بالقافلة لما فيها من غنائم، مع أن الانتصار في المعركة كان أعظم وأكثر رفعاً للحق وإذلالاً للكفر، فقد أورد ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لما شاور النبي في لقاء العدو وقال له سعد بن عبادة ما قال وذلك يوم بدر أمر الناس، فتعبوا للقتال وأمرهم بالشوكة فكره ذلك أهل الإيمان، فأنزل الله: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكْرَهُونَ﴾ (٥) يُجَدِّلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ (٥-٦)، أي كراهية لقاء العدو".<sup>(١)</sup>

يقول الترابي معقباً على الآية الأولى: "ما كان شائعاً بين المسلمين المجاهدين عقب المعركة التساؤل عن مغزى تلك الوقعة الفاصلة التي هزمت قوة الكفر في قريش حيث إمامة دين الشرك في وسط العرب، ومن ثم التذاكر لشكر أقدار الله في النصر الحق للحق في الواقع المثبت لبنية الدين الحق المتجدد المبطل لباطل الكفار المشركين حيثما صدمهم المؤمنون الموحدون مجاهدين صادقين، بل كان التساؤل

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٧٣٨)

من إلهام بقية الثقافة الجاهلية والكتابية المادية ومن خواطر حب كسب المال عن  
تصريف الأنفال".<sup>(١)</sup>

ويقول أيضاً: "إنما تقاتل في سبيل ذلك المتاع الدنيوي قوى الباطل التي تبطش في  
العالم تريد استعمار أرض الآخرين لها هي وسلب ثروتهم واستغلالهم لعوائد إليها  
واردة".<sup>(٢)</sup>

فالمسلم هدفه الأول هو إعلاء كلمة الله تعالى، كما ورد عن أبي موسى  
الأشعري رضي الله عنه قال: "جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل  
للمغرم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟  
قال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله".<sup>(٣)</sup>

أما تناول السورة لأحداث غزوة بدر التي تعتبر معلماً ضخماً في مسيرة الإسلام  
وفي التاريخ الإنساني كله، فقد ركزت الآيات على بيان فضل الله تعالى على  
المسلمين بهذا النصر العظيم، كما يقول قطب عن نزول سورة الأنفال: "نزلت  
تعرض وقائع الغزوة الظاهرة، وتعرض وراءها فعل القدرة المدبرة، وتكشف عن  
قدر الله وتدبيره في وقائع الغزوة، وفيما وراءه من خط سير التاريخ البشري  
كله".<sup>(٤)</sup>

(١) التفسير التوحيدي، حسن الترابي، (٧٩٠)

(٢) المصدر السابق (٧٩٧).

(٣) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (حديث ٢٨١٠، كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة  
الله هي العليا).

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج ٣، ١٤٦٣).

وهذا الحديث المطول عن الغزوة في الآيات (٥-١٤، ١٧، ٤١-٤٤، ٤٧-٥١) يرتبط باسم السورة بشكل وثيق، حيث إن حدث الأنفال كان عقب غزوة بدر، ولكن التسمية بالأنفال وذكر أحداث الغزوة بهذا العرض فيه تعريض بالذين اختلفوا في موضوع الأنفال، وأراد أن يعلمهم أنه ليس لهم في هذا النصر وما وراءه من عظام الأمور يد ولا تدبير، وسواء غنائه الصغيرة وآثاره الكبيرة، فكلها من فعل الله وتدبيره، إنما أبلاهم فيه بلاءً حسناً منه سبحانه، وأن ما حصل من إعزاز للإسلام وخذلان للكفر أمر عظيم يستحق الشكر دون النظر إلى الزيادات والتوافه باهتمام يؤدي إلى اختلاف وتنازع.

كما تناولت السورة التعريف بأعداء المؤمنين من الكافرين والمنافقين وبيان صفاتهم التي تستدعي قتالهم، فإنما يقاتل المسلمون المشركين لأنهم عادوا الله ورسوله (١٣)، وأن الله ينصر المسلمين عليهم بسبب كفرهم (١٨)، وبينهم وبين الشيطان تنسيق وتعاون (٤٨)، وفي الجهة المقابلة كان الحديث عن مواصفات من يستحقون النصر في آيات متفرقة في السورة ومن هذه الصفات: الطاعة لله والرسول، والوفاء بالأمانات، وتقوى الله، والثبات في المعركة، وإقامة الصلاة، والإنفاق، ووجل القلوب، والتوكل، والتأخي والنصرة.

بناءً على ذلك ينبغي لأهل الإيمان الحق إعطاء نصر الدين ورفع كلمة الله تعالى الأولوية والاهتمام، واعتبار موضوع الأنفال أمراً ثانوياً، حيث إن مشكلة الأنفال هي المشكلة المتكررة في الصراع على متاع الدنيا في كل وقتٍ وحين.

ويعقب أستاذنا لدى مراجعته للبحث على اسم السورة بقوله: "كأن السورة تتحدث عن أصول وفروع أدنى منها في الأهمية، أو تعالج الأساسيات حتى لا تسبقها الفرعيات، فمثلاً ما حدث من نعم للمؤمنين في بدر كان نفعاً، فالمسلم مطلوب منه القتال في سبيل الله تعالى، وليس مطلوباً منه النصر".

هداية الاسم:

المسلم يجاهد لإعلاء كلمة الله، وليس لتحصيل المكاسب الدنيوية التي هي زيادة يكرم الله بها المجاهدين في سبيله، فالاهتمام بالأصول يؤدي إلى تحصيل الفروع

• النافلة فيها زيادة على ما هو الأصل، وغالباً ما تكون دون الأصل، فالنافلة في العبادة مثلاً هي الزيادة على الفرض، ولا تقبل الأنفال ما لم تكتمل الفرائض، وهي فرع عنها ودونها في المرتبة، قال الله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ (الأنبياء، ٧٢).

## (٩) سورة التوبة

مدنية عدد آياتها ١٢٩، ورقمها ٩

يقول الأصفهاني: "التوب ترك الذنب على أجمل الوجوه، وهو أبلغ وجوه الاعتذار، فإن الاعتذار على ثلاثة أوجه: إما أن يقول المعتذر لم أفعل، أو يقول فعلت لأجل كذا، أو فعلت وأساءت وقد أقلعت، ولا رابع لذلك، وهذا الأخير هو التوبة، والتوبة في الشرع: ترك الذنب لقبحه، والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعادة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة، فمتى اجتمعت هذه الأربع فقد كُمل شرائط التوبة".<sup>(١)</sup>

ويقول ابن فارس: "التاء والواو والباء كلمة واحدة تدل على الرجوع، يقال تاب من ذنبه أي رجع عنه".<sup>(٢)</sup>

ويقول الحلبي: "فالتوبة من الله على عباده: الرجوع بهم من المعصية إلى الطاعة، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ (البقرة: ١٨٧)، وقد يكون الرجوع بهم من الحظر إلى الإباحة كقوله تعالى: ﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ (البقرة: ١٨٧)، أي أباح ما حظره، وقد يكون من الأثقل إلى الأخف ﴿ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاخْرُونَ يُقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا

(١) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (٧٦)

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج ١، ١٨٤)

مَا تَسَّرَ مِنْهُ ﴿ (المزمل: ٢٠)، وقوله: ﴿ فَتَوْبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ ﴾ (البقرة: ٥٤): أي ارجعوا إلى أوامره وانتهوا عن نواهيه" (١).

ورد اسم السورة في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٠٤)، وقد ورد الاسم في السورة بصيغ قريبة في مواضع متعددة في السورة حتى يجد القارئ أن السورة تتناول موضوع التوبة من جميع جوانبه لكافة الأطراف، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال العرض الآتي:

١. تضمنت السورة إعلان قبول الله لتوبة النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار، يقول تعالى: ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١١٧).

وهؤلاء المؤمنون الذين قبلت توبتهم ووصفتهم السورة بعدة أوصاف في مواضع متعددة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُتَكَبِّرُونَ الْمَلَاسِيغُونَ الْمُؤَدَّبُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١١٢)، حيث بدأت صفاتهم بـ (التَّائِبُونَ) فالتوبة سمت ملازم لهم، كما وعد الله المؤمنين التائبين

(١) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف الحلبي (ج ١، ٣١١)

بالرحمة، قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ  
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ  
وَيُطِيعُونَ أَمْرَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٧١).  
وتكفل الله تعالى للذين يتبعون القرب من الله تعالى ودعوات رسوله ﷺ  
بإدخالهم في رحمته وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَانًا كَالَّذِي هُوَ يُخْفَىٰ عَلَيْهِ  
الْبُرُوقُ أَتَىٰ اللَّهَ بِحَدِيثِهِمْ وَأَخْلَفَهُم بِاللَّيْلِ وَاللَّهُ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِمَنْ  
يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٩٩).

٢. وفي هذه السورة دعوة للمقصرين بالتوبة والرجوع عن التقصير، وقد ورد  
ذلك في مواضع متعددة منها: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثُرَتْكُمْ فَلَمْ  
تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ  
مُدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ  
تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ تَوَبَّ اللَّهُ مِنْ  
بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢٥-٢٧)، وقوله تعالى:  
﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقَلْتُمْ إِلَى  
الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي  
الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٢٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا  
عَيْرَكُمْ وَلَا تَنْصُرُوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣٨-٣٩)، وأبرز  
مثال على ذلك الآية التي تلت إعلان قبول توبة الله على النبي والمهاجرين

والأنصار، حيث ذكرت هذه الآية توبة الله على الثلاثة الذين خلفوا في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١١٨)، فقد نزلت هذه الآية في كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية رضي الله عنهم.

٣. كما ذكرت السورة صنفاً آخر من المؤمنين المقصرين وفتحت المجال لهم بالتوبة في مثل قوله تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٠٢)، وقوله تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ (١٠٦).

٤. كما فتحت السورة باب التوبة للكافرين على الرغم من الهجوم الشديد عليهم في بدايتها في الآيات (١-٢٢)، في مثل قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٥)، وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ (١١)، وقوله تعالى: ﴿قَتَلُوهُمْ يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَبْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١٤-١٥).

٥. أما المنافقون الذين أسهبت السورة في الحديث عنهم في الآيات (٤٢-٥٩)، فقد شددت السورة في أمر توبتهم فتارة تهددهم

في مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِن يَتُوبُوا بِكَ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يَعَذِّبَهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (٧٤)، وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ ﴾ (١٢٦)، وتارة تحجب عنهم المغفرة في مثل قوله تعالى: ﴿ أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ (٨٠)، وقوله تعالى: ﴿ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٩٦)، وتارة تفتح لهم باباً ضيقاً وشديداً في مثل قوله تعالى في التعقيب على بنائهم مسجد الضرار: ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَنُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ (١١٠)، وتقطع القلوب يكون بالندم غاية الندم مع الخوف الشديد من العقاب الرباني.

٦. أما الآيات التي تحدثت عن أهل الكتاب (٢٩-٣٥) فقد ركزت على دور الأحرار والرهبان في الصد عن سبيل الله تعالى وأكل أموال الناس بالباطل، وتعظيم الأتباع للشخص وطاعتهم في ما يشرعون، وهذه الأمور منافية للرجوع إلى الله تعالى والتوبة الصادقة.

٧. ورد في السورة وصف الله تعالى لإبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ (١١٤)، والأواه كما يقول ابن عاشور: "فسر بمعان ترجع

إلى الشفقة، إما على النفس فتفيد الضراعة إلى الله والاستغفار، وإما على  
الناس فتفيد الرحمة بهم والدعاء لهم".<sup>(١)</sup>

٨. كما تناولت السورة العوامل التي تساعد في التوبة أو تثبيت التوبة، ومن  
ذلك:

- العلم: في قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي  
الَّذِينَ وَلِيَسْذَرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (١٢٢).

- تلاوة القرآن الكريم: في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ  
أَيْكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾  
(١٢٤).

- موالاة المؤمنين: في قوله تعالى: ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ  
وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ  
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ  
وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ  
تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا  
حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢٣-٢٤)، وقوله  
تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٥م، ج ١٠، ٤٦).

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾.

يقول البقاعي في مقدمة السورة : "مقصودها معاداة من أعرض عما دعت إليه  
السورة الماضية من اتباع الداعي إلى الله في توحيده واتباع ما يرضيه، وموالاته من  
أقبل عليه، وأدل ما فيها على الإبلاغ في هذا المقصد قصة المخلفين، فإنهم -  
لاعترافهم بالتخلف عن الداعي بغير عذر في غزوة تبوك المحتمل على وجه بعيد  
منهم رضي الله عنهم للإعراض بالقلب هُجروا، وأعرض عنهم بكل اعتبار حتى  
بالكلام، فذلك معنى تسميتها بالتوبة، وهو يدل على البراءة، لأن البراءة منهم  
بهجرتهم حتى في رد السلام كان سبب التوبة، فهو من إطلاق المسبب على  
السبب، وتسميتها ببراءة واضح أيضاً فيما ذكر من مقصودها".<sup>(١)</sup>

ويضيف أستاذنا لدى مراجعته للبحث أن التوبة في السورة تتعلق بالموضوع  
الشامل للتوبة، أي الجانب العقدي والتشريعي، كما ان الولاء والبراء أساس لا  
بد منه للتوبة الحقيقية، والجهاد والولاء يحققان التوبة والقبول.

هداية الاسم:

الولاء والبراء أساس لا بد منه للتوبة الحقيقية

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (ج٣، ٢٥٥).

- ورد في القرآن الكريم (توب) ومشتقاتها ٨٧ مرة، وفي سورة التوبة ١٦ مرة، أي بنسبة ١٨.٤٠% تقريباً، وهذا التكرار هو الأكثر في القرآن الكريم، حيث كان التكرار في البقرة ١٣ مرة، وفي سورة النساء ١٢ مرة، وإذا أضيف إلى ذلك أن نسبة كلمات سورة التوبة إلى مجموع كلمات القرآن هي: ٣.٢٢%، مما يشير بوضوح إلى تركيز السورة على الموضوع.
- نزلت هذه السورة بعد سورة النصر التي كان فيها الأمر بالاستغفار والتوبة إلى الله تعالى.
- التوبة أي الرجوع إلى الله بعد الضياع وحلاوة الطمع في كرم الله بالمغفرة بعد الوقوع في الذنب، فـ "كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون" رواه الترمذي، ١ وكل من تخافه إذا أخطأت في حقه تهرب منه إلا الله عز وجل فإنك إذا أخطأت في حقه وخفت منه فررت إليه لأنك لا تستطيع أن تفر منه، قال تعالى: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾ (الذاريات: ٥٠).

(١) سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، الترمذي (حديث ٢٤٩٩).

## (١٠) سورة يونس

مكية عدد آياتها ١٠٩، ورقمها ١٠

سورة يونس عليه السلام هي أول سورة في ترتيب المصحف تُسمّى باسم نبي من الأنبياء عليهم السلام جميعاً، حيث تأتي بعدها سورة هود عليه السلام، ثم سورة يوسف عليه السلام، تليها سورة الرعد التي تسبق سورة إبراهيم عليه السلام، ثم يأتي في الترتيب سورة الحجر التي سميت نسبة إلى قوم صالح عليه السلام، وهذه السور الخمس تبدأ بقوله تعالى: ﴿الر﴾ (يونس: ١) عدا سورة الرعد ﴿المر﴾ (الرعد: ١)، وهذا الترتيب قد يوحي بدلالات معينة تستدعي من أهل القرآن التدبر. وقد سُمّيت هذه السورة باسم النبي يونس عليه السلام مع أن قصته لم ترد في السورة ولكن ورد ذكر قوم يونس في الآية (٩٨)، وقد وردت قصته عليه السلام في سور أخرى (الأنبياء، الصافات، القلم)، كما ورد ذكر سيدنا يونس في سورتي النساء والأنعام في معرض ذكر بعض الأنبياء عليهم السلام، وتتضمنت قصة يونس عليه السلام عدة معان هي: النجاة من الكرب، واستجابة الدعاء، والتسبيح، والعناية الربانية بالمؤمن، وقدرة الله تعالى.

وقد تعرضت سورة يونس لقصة موسى عليه السلام بشيء من التفصيل في الآيات (٧٥-٩٣)، كما عرّجت على قصة نوح عليه السلام في الآيات (٧١-٧٣)، فما الحكمة من تسمية هذه السورة باسم يونس عليه السلام؟

بالنظر إلى الآية التي ورد فيها الاسم وهي قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيَةً ءَامَنْتُمْ فَفَعَهَا ءِيمْنَهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَآذَابَ الۡخِزْيِ فِي الۡحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (٩٨)، يتوصل القارئ إلى فائدة الإيمان على الإنسان في الدنيا من رخاء وكشف للعذاب وتخليد الذكر، كما ينقل القاسمي عن المهامبي في تعقيبه على هذه الآية: "فيه غاية ما يفيد فيه الإيمان، وضرر تركه وتأخير، وهو المقصد الأعلى من إنزال الكتاب".<sup>(١)</sup>

والتأمل للسورة يدرك أن الاسم مقصود لترسيخ بعض القضايا من خلال قصة يونس عليه السلام في القرآن والآية التي ورد فيها اسم السورة، وذلك على النحو الآتي:

١. عناية الله بالمؤمنين ونتائج الإيمان الإيجابية: ويدل على هذا المعنى الآيات الآتية:

— قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ (٢)، فيه إشارة إلى نتيجة الإيمان من السعادة، كما أن لهم سبقاً مثل قوم يونس عليه السلام الذين اعتبروا مثلاً عظيماً بين الأمم.

— قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ﴾ (٩)، يشير إلى أن الله تعالى يهدي المؤمنين لما يصلح شأنهم بسبب إيمانهم.

(١) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي (ج٦، ص٥).

- قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢٥).
- قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (٢٦)، فالحسنى جزاء الإيمان في الدنيا والآخرة.
- قوله تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٦٢-٦٤)، يشير إلى تبشير المؤمنين وولاية الله لهم في الدنيا والآخرة.
- قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٠٣)، يدل على عناية الله بالمؤمنين وضمن نجاحهم من المهالك.

## ٢. أهمية الدعاء في النجاة من الكرب: وذلك في آيات كثيرة في السورة:

- قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ ﴾ (١٢).
- قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ يَمِينِ يَرِيحُ طَيْبَةً وَقَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أُنجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٢٢).

- قوله تعالى: ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ مَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٨٩).

- قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ (١٠٧).

٣. قدرة الله تعالى: ورد في السورة آيات كثيرة تُظهر قدرة الله تعالى ومملكه

الواسع، وهذه المعرفة ينبغي أن تؤدي إلى اهتداء الإنسان والتسبيح والتعظيم

له تعالى، ومن هذه الآيات: (٣-٦، ١٨، ٣١-٣٥، ٦١، ٥٥، ٦٥، ٦٨، ١٠٧).

وتشير السورة إلى أن كثيراً من الأمم لم تنتفع بالآيات المبثوثة في الكون

والتاريخ لينفعها إيمانها مثل قوم يونس، ومن الآيات التي تتناول هذا الأمر:

- قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾ (١٣).

- قوله تعالى: ﴿ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ﴾ (٢١).

- قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ (٢٣).

- قوله تعالى: ﴿ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقَوْنَ ﴾ (٣١).

- قوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣٣).

- قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٤٢).

- قوله تعالى: ﴿ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ ﴾ (٤٣).

- قوله تعالى: ﴿ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ

كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (٧٤).

— قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنَّا يَسْتَرْفِعُونَ ﴾ (٩٢).  
 — قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (٩٦-٩٧)، والملاحظ أن هاتين الآيتين تسبقان آية الاسم.

— قوله تعالى: ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْطَى الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠١).

— كما تعرض السورة إلى موقفين يؤمن فيهما الكفار بعد فوات الأوان وبآتي الاستفهام الاستنكاري بصيغة ﴿ ءَأَلْكَنَ ﴾. ولم تأت هذه الكلمة في القرآن الكريم إلا في هذين الموضعين وهما: قوله تعالى: ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَأَمْنُم بِهٖ ءَأَلْكَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ (٥١)، وقوله تعالى: ﴿ ءَأَلْكَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٩١)، في الرد على إعلان فرعون الإيمان عندما أدركه الغرق.

٤. قوانين الهداية والضلال: تتعرض السورة إلى قوانين الهداية والضلال، لتستفيد منها أية أمة تريد أن تسلك طريق الهداية كما اهتدى قوم يونس، وهذه القوانين هي:

— العلم والتقوى طريق إلى الهداية، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٥)، وقوله تعالى: ﴿ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ (٦)، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَأْمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ ﴾

(٩)، وفي المقابل فإن عدم استخدام العقل يؤدي إلى الضلال، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (١٠٠).

- الاطمئنان إلى الدنيا والرضا بها والغفلة سبب في الانحراف وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ أَلْثَارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٧-٨).

- الطغيان والغفلة سبب في الضلال في قوله تعالى: ﴿ فَذَرُّوا الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (١١).

- الإحرام سبب للضلال وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ تَجْرِي أَلْفَوْمًا الْمَجْرِمِينَ ﴾ (١٣)، وهو مانع للفلاح وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا يُفْلِحُ الْمَجْرِمُونَ ﴾ (١٧).

- الفسق طريق إلى الضلال وذلك في قوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣٣).

- اتباع الظن في مقابل الحق لا يوصل إلا إلى الضلال وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يَعْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ (٣٦)، وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ (٦٦).

- الاعتداء يوصل صاحبه إلى حالة القلب المطبوع الذي لا يهتدي، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَنْطَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٧٤)، وهذا الاعتداء يمنع من توفيق الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٨١).

هداية الاسم:

قصة يونس مع قومه تُمثل:

النجاة من العقوبة بعد نزلها،

وقد كانت نجاة قومه وانتفاعهم الدنيوي بسبب إيمانهم

## ( ١١ ) سورة هود

مكية عدد آياتها ١٢٣، وترتيبها ١١

يقول الأصفهاني: "الهود: الرجوع برفق ومنه التهويد وهو مشي كالديب، وصار الهود في التعارف التوبة، قال تعالى: ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ (الأعراف: ١٥٦) أي تبنا، قال بعضهم: يهود في الأصل من قولهم هدنا إليك... وهود في الأصل جمع هائد أي تائب، وهو اسم نبي عليه السلام".<sup>(١)</sup>

ويقول الحلبي في معنى هدنا: "وقيل سكتنا. ومنه الهوادة: وهي السكون والموادعة".<sup>(٢)</sup> ويقول ابن فارس: "والمهاودة: الموادعة".<sup>(٣)</sup>

إذاً تدور معاني الهود حول التوبة والموادعة، وهذان المعنيان يتوزعان في السورة بشكل واضح، كما في العرض الآتي:

أولاً: التوبة:

١. احتل موضوع التوبة موقعاً مركزياً في حديث الأنبياء المذكورين في السورة مع أقوامهم، فكان في بداية السورة الإعلان من خاتم الأنبياء عليهم السلام قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مِّنَّا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (٣)، كما جاء على لسان هود عليه السلام قوله تعالى: ﴿ وَيَنْقُومِ

(١) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (ص ٥٤٦)

(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف الحلبي (ج ٤، ٣٠٦)

(٣) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج ٢، ٥٩٣)

أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴿٥٢﴾، وعلى لسان صالح عليه السلام قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ (٦١)، وعلى لسان شعيب عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ (٩٠).

٢. ومن خلال استعراض قصص الأنبياء في القرآن الكريم نجد تفرد سورة هود في دعوة الأنبياء لأقوامهم للاستغفار والتوبة، باستثناء سورة نوح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ لَكُمْ أَنْهَرًا﴾ (نوح: ١٠-١٢).

٣. كما ذكرت السورة عن توبة الأنبياء عليهم السلام والمؤمنين، فعندما عاتب الله عز وجل نوحاً عليه السلام بقوله: ﴿قَالَ يَنْفُخُ فِيهِ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّيْ أَعْظَمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٤٦)، كان الاستغفار والتوبة من نوح عليه السلام بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٤٧)، ووصف الله إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ (٧٥)، والأواه هو كثير التوبة، والمنيب هو الراجع إلى الله تعالى.

٤. وعد الله تعالى المؤمنين بالمغفرة في بداية السورة ونهايتها في قوله تعالى:  
﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (١١)،  
وقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ  
السَّيِّئَاتِ﴾ (١١٤).

### ثانياً: المواعدة:

١. يظهر معنى المواعدة في وصف الله تعالى للمؤمنين بالإخبات في قوله تعالى:  
﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ  
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٣)، وتظهر المواعدة جلية في خطاب الأنبياء عليهم  
السلام أقوامهم ومن ذلك قوله تعالى في توجيه محمد ﷺ: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا فِإِنِّي  
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ (٣)، وقوله تعالى على لسان نوح عليه السلام:  
﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ (٢٦)، وفي مجادلة  
إبراهيم عليه السلام الملائكة في قوم لوط عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا  
ذَهَبَ عَن إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءتْهُ الْبَشْرَىٰ مُجْدِلَتًا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ (٧٤)، وفي وصف  
إبراهيم عليه السلام بالحلم.

٢. وعند استعراض مخاطبات الأنبياء لأقوامهم في القرآن الكريم نجد أن عبارة  
﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ (٢٦) تكررت ٦ مرات منها ثلاث في السورة،  
واللافت للنظر أن مرتين من الثلاث في غير السورة على لسان هود عليه

السلام وذلك في سورة الشعراء (١٣٥)، وسورة الأحقاف (٢١)، أما المرة الثالثة فكانت على لسان نوح عليه السلام في سورة الأعراف (٥٩).

أما محاورتهم أقوامهم فواضح في السورة اللين في كثير من الآيات التي تناولت قصصهم، ومن ذلك ابتداء المخاطبة بلفظ ﴿ قَالَ يَفْقَوْمَ ﴾ التي تحمل الموادعة والرفقة، ومنها قول هود عليه السلام لقومه: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ (٥٧)، وهذا الخطاب فيها ترقق أكثر من القول ﴿ وَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ (محمد: ٣٨)، فكلما زادت الكلمة في المبنى زادت في المعنى، ومنها قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿ قَالَ يَفْقَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَانِئِي رَحْمَةً مِّن عِندِهِ فَعُمِيتَ عَلَيْكُمْ أَنزَلْنَاكُمْ مَوْرًا وَأَنْتُمْ لَهَا كِذَّابُونَ ﴾ (٢٨)، وقوله تعالى على لسان صالح عليه السلام: ﴿ قَالَ يَفْقَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَانِئِي مِّنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن عَصَيْتُهُ ﴾ (٦٣)، وقوله تعالى على لسان شعيب عليه السلام: ﴿ قَالَ يَفْقَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (٨٨).

٣. كما ذكرت آيات السورة بعض مظاهر رافة الله بعباده ورعايته لأنبيائه واتباعهم، وبعض أسماء الله الحسنى التي تحمل معنى الرافة والحنان ومن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (٦).

- قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١٢).

- قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ رَحْمَةٌ مِّنْ عِنْدِهِ﴾ (٢٨).
- قوله تعالى: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (٣٧).
- قوله تعالى: ﴿قِيلَ يَتَنُوحُ أَهَيْطَ إِسْلَمِي مِنَّا وَبَرَكَتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ﴾ (٤٨).
- قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ (٥٧).
- قوله تعالى: ﴿بَنَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ (٥٨).
- قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (٦١).
- قوله تعالى: ﴿بَنَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ (٦٦).
- قوله تعالى: ﴿رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ (٧٣).
- قوله تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ (٨٨).
- قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ (٩٠).
- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِئَرِهِمْ جَنِيْمِينَ﴾ (٩٤).
- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ (١١٧).
- قوله تعالى: ﴿مَا نُنشِئُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ (١٢٠).

التوبة والرجوع إلى الله تعالى تستجلب من الله الرحمة والرفق

- تكرر في السورة بشكل ملفت التذكير بنعمة سرد قصص السابقين، وذلك في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُنْفِقِينَ ﴾ (٤٩)، وقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ (١٠٠)، وقوله تعالى: ﴿ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٢٠).

## (١٢) سورة يوسف (عليه السلام)

مكية عدد آياتها ١١١، وورقمها ١٢

سميت هذه السورة باسم يوسف النبي عليه السلام، مثل أخواتها التي سُميت بأسماء أنبياء، وهذه السورة هي أوضح السور في ارتباط اسمها مع بنية السورة، فلا يحتاج هذا الاسم إلى ربط مدروس، فقد استغرقت قصة يوسف عليه السلام كل السورة تقريباً، فالآيات الأخيرة (١٠٣-١١١) هي تعقيب على القصة، وهي القصة الوحيدة التي استغرقت سورة طويلة من القرآن الكريم، وهي القصة الطويلة الوحيدة التي جاءت في مكان واحد، ولم تتكرر في مكان آخر، حيث لم يذكر يوسف عليه السلام في غير هذه السورة إلا في موضعين دون التعرض لقصته، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ (غافر: ٣٤)، وفي معرض الحديث عن الأنبياء من ذرية إبراهيم عليه السلام في سورة الأنعام في الآية (٨٤).

وقد تكون تسمية السورة بهذا الاسم، واستعراضها بهذه الطريقة المطولة المتكاملة، للتنبيه على:

١. أهمية الفترة التي عاشها هذا النبي الكريم.
٢. أو أهمية هذه الشخصية كرمز للقائد المصلح وقدوة للمؤمنين في محطات عديدة.

٣. أو أنها تعرض لعناية الله بأحبابه وهيئة الظروف لهم، خاصة أنها نزلت في أواخر العهد المكي.

ويمكن الحديث عن المحاور الثلاثة السابقة من خلال العرض الآتي:

١. أما بالنسبة للفترة التي عاشها هذا النبي الكريم، فقد كانت نقطة تحول مهمة في التاريخ الإنساني، فإن السورة تتحدث عن نشأة بني إسرائيل كأمة وتوطنها في مصر، وهذه السورة ترسم العالم الصحيحة لهذه المرحلة، وتمثل في استقدام يوسف عليه السلام لأهله (بني إسرائيل) إلى مصر وتمكينهم فيها، على خلاف الرواية التي يرسمها العهد القديم، والتي تشير، فيما تشير، إلى أن يوسف عليه السلام هو الذي استعبد المصريين للفراعنة، فجاءت قصة يوسف عليه السلام (أحسن القصص) تصحيحاً للتاريخ المزور، وتشبيهاً للحقائق.

ومن الجدير بالملاحظة أن رقم السورة (١٢) موافق لعدد الأسباط الاثني عشر، وبنو إسرائيل يزعمون أنهم على خطى الأسباط، ويعدون يوسف عليه السلام من الآباء الكبار.

٢. رمزية شخصيته عليه السلام كقدوة للنبي وللمؤمنين، كشخصية متكاملة، خاضت تجربة ثرية ومتنوعة، ومن معالم هذه الشخصية في السورة:

- عفة يوسف عليه السلام: وهذه الصورة العظيمة التي ترسمها السورة للنبي الكريم، تقابلها الصورة السلبية التي ترسمها التوراة للأنبياء والرسل عليهم السلام، وتتجلى العفة في موقف يوسف عليه السلام وضبطه

لشهوته أمام إغراء امرأة العزيز ونسوة المدينة، وذلك في قوله تعالى:

﴿ وَرَوَدَتْهُ الْمَتَىٰ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۗ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ وَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجَا بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ﴿٣٣﴾ ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿ وَقَدْ رَوَدَتْهُ عَنِ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ (٣٢)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ (٣٣)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالَ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنِ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ النَّنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١-٥٠﴾ .

- الصبر: على الإلقاء في الحب، وعلى الشهوة (عن المعصية)، وعلى مسئوليات المنصب، وفي تبليغ الرسالة، وعلى السجن، وحين رفض الخروج من السجن حتى البراءة الحقيقية.

- الدعوة إلى الله: فقد تجلّى في السورة التركيز على شخصية يوسف الداعية خاصة في السجن وهو مع رفقائه في الآيات (٣٦-٤١)، وفي إدارته العادلة للدولة بعد رؤيا الملك، يقول د. نوفل في مقدمة كتابه سورة يوسف عليه السلام: "والدعوة.. هي الجانب الأهم في حياة الأنبياء جميعاً كان لها في قصة يوسف عليه السلام إبراز، وكان لها في

معالجتها شيء من الإبراز. وإن من شروط الدعوة والداعية هذا الرصيد الأخلاقي الضخم والسمعة التي لا يرقى إليها الشك، ولا تكون محلاً للمز أو غمز أو إشاعات، ومن هنا كان حرص يوسف على تبرة ساحتة قبل تسلّم سلطاته وصلاحياته. وهذا سر حملات الإشاعات التي تحاول تشويش صورة الداعية في ذهن مدعويه لهدم معنى الرمز في هذه الشخصية".<sup>(١)</sup>

- العلم: وبرز هذا المعلم في السورة في مواضع متعددة منها قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ (٦)، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (٢٢)، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ (٣٧)، وقوله تعالى: ﴿إِنِّي حَفِيفٌ عَلَيْهِ﴾ (٥٥)، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ (١٠١).

- الإكرام للوالدين: وقد تجلّى في السورة إكرام يوسف عليه السلام لأبويه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ (١٠٠)، وقوله تعالى: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَاَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ (٩٣)، وخطابه لوالده في أدب ورقة في قوله تعالى: ﴿يَتَأَبَّأُ﴾ (٤، ١٠٠).

(١) سورة يوسف عليه السلام، د. أحمد نوفل (المقدمة، ج).

- شففته على الضعفاء وتواضعه مع جلاله قدره وعلو منصبه: وتجلى ذلك في الصّح والمسامحة لإخوته في قوله تعالى: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومٌ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (٩٢)، والحلم عند الغضب وضبطه نفسه في قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ (٧٧)، كما خاطب الفتين المسجونين بتواضع وتجب وحادثهما في أمور دينهما ودنياهما في قوله تعالى: ﴿يَصْحَبِي السِّجْنِ﴾ (٣٩).

- الاستسلام لله تعالى ورد النعم إليه: وذلك في قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ (٣٧)، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَنِي مِنَ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (١٠١)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٣٣)، وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ (١٠٠)، وقوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (١٠١).

٣. عناية الله بأحبابه وهيئة الظروف والأجواء وتوجيههم بما يرفع شأنهم، ويلحظ المتأمل يد الله تعالى المتولية، التي جعلته يرى الرؤيا وتحقق له العلو في الآيات (٤٣-٤٩)، ومن الآيات الأخرى التي تدل على ذلك:

- ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا ﴾ (١٥).
- ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ﴾ (٢١).
- ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ﴾ (٢٤).
- ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ﴾ (٣٤).
- ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ ﴾ (٥٦).
- ﴿ وَلَا تَأْتِسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ﴾ (٨٧).
- ﴿ إِنَّهُ، مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٩٠).
- فالسورة تضع مقدمات النصر والتمكين من الصبر والعلم والخلق العظيم والاستسلام لله تعالى، وهي نموذج للاقتداء، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (١١١)، يقول الماوردي: "يعني في قصص يوسف وإخوته اعتبار لذوي العقول بأن من نقل يوسف من الحب والسجن عن الذل والرق إلى أن جعله ملكاً مطاعاً ونبياً مبعوثاً، فهو على نصر رسوله وإعزاز دينه وإهلاك أعدائه قادر، وإنما إمهال وإعذار".<sup>(١)</sup>

(١) تفسير الماوردي (النكت والعيون)، علي الماوردي (ج ٣، ٨٩)

يوسف عليه السلام شخصية متكاملة قدوة للنبي عليه السلام وللمؤمنين،  
ومثل أعلى في الصبر والعلم والحلم والعفة، وقصته فيها بشارة للنصر

- يلاحظ القارئ أن سورة يوسف اهتمت كثيراً ببيان صلة الوحي بالعلم، وأن الوحي مصدر من مصادره، فعلم تعبير الرؤيا وعلوم يوسف عليه السلام التي كانت سبب نجاته من محنة السجن وتمكينه في أرض مصر وسلطانها، وما علمه الله تعالى ليوسف بواسطة الوحي، ولهذا قال يوسف عليه السلام: ﴿ذَلِكُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ (٣٧)، وعلم يعقوب عليه السلام بواسطة الوحي، ولهذا قال عليه السلام: ﴿وَأَعَلَّمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٦)، ﴿إِنِّي أَعَلَّمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٩٦)، ووصفه سبحانه بقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ (٦٨)، وكل هذه العلوم جزء من علم الله تعالى الذي وسع كل شيء علماً، والذي قال: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٦).

## (١٣) سورة الرعد

مدنية عدد آياتها ٤٣، ورقمها ١٣

الرعد كما يقول الأصفهاني: "صوت السحاب.. وقيل رعدت السماء وبرقت وأرعدت وأبرقت ويكنى بهما عن التهديد.. والرعديد: المضطرب جُبناً، فيقال أُرعدت فرائضه خوفاً".<sup>(١)</sup> وعند سماع الإنسان لكلمة الرعد يتذكر الصوت الشديد المرعب، كما يتذكر المطر والخير.

وقد ورد الاسم في الآية (١٣) من السورة في قوله تعالى: ﴿وَيَسِيحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾، ولم ترد هذه الكلمة إلا في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَّرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ (البقرة: ١٩).

ويلاحظ في الآية أن الرعد يسبح لله تعالى، وهو الصوت الشديد المخيف، وتسبيح الرعد هو إعلان خضوعه لله تعالى الخالق، فمن يخضع لله فهو في تسبيح دائم.

والتسبيح هو تترية الله تعالى عن كل نقص وعن كل ما لا ينبغي، كما أن التسبيح فيه شهادة بالكمال الرباني، ويمكن أن نجد في السورة بيان مظاهر الكمال الرباني، وذلك على النحو الآتي:

<sup>(١)</sup> المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (ص ١٩٧)

١. قدرة الله تعالى من مقتضيات الكمال الرباني الذي يقتضي التسبيح، فهو الذي رفع السموات بغير عمد، وهو المستوي على العرش، ومسخر الشمس والقمر، وهو يدبر الأمر، وهو الذي مد الأرض وجعل فيها الرواسي العظام، وجعل من كل الثمرات زوجين، كما أنشأ جنات الأرض وما فيها من الثمار المختلفة، وذلك في الآيات (٢-٤). وهو ينشئ السحاب الثقال كما ورد في الآية (١٢).

٢. علم الله تعالى الواسع هو أيضاً مظهر من مظاهر الكمال الرباني، وهذا العلم فيه تهديد للكافرين الماكرين من جانب، وتطمين للمؤمنين من جانب آخر، كما أن الرعد فيه جانبا المطر والتخويف، وقد تعددت المواضع التي تتحدث عن علم الله تعالى ومن ذلك:

- ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزِدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَلَيْهِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿٨-١٠﴾.

- ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴿٣٣﴾.

- ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾.

- ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ﴿٤٢﴾.

٣. ومن مظاهر كماله سبحانه وتعالى سيطرته على كل المخلوقات، ويبرز ذلك في الآيات الآتية:

- ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾.

- ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ، مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (١١).
- ﴿يُرِيكُمْ الْبَرْقَ﴾ (١٢).
- ﴿وَيَسِيحُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ (١٣).
- ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (١٥).
- ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ (١٦).
- ﴿قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (١٦).
- ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ (٢٦).
- ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٤١).
٤. إرسال الرسائل مظهر من مظاهر الكمال الرباني، فهو الذي يراعي عباده وحاجاتهم (٣٠)، والذين يتفاعلون مع الرسائل (المهتدون) يسرون في اتجاه الإعلان الفعلي والقولي عن تزيه الله تعالى والشهادة له بالعظمة، والذين لا يتفاعلون إنما يسرون في عكس ذلك، وقد ورد ذلك في الآيات (٢٥-١٩)، (٢٧-٣٠).
- ويضيف أستاذنا تعقياً على هذه النقطة: "يمكن القول إن ذكر الأنبياء والمرسلين في الآيات (٣٢، ٣٨، ٤٣) فيه إشارة إلى أنهم أهل المعرفة الحقة والخضوع الكامل، فهم أهل التسبيح الكامل، ومن هنا يظهر بعض الحكمة لتوسط السورة للسور التي سُميت بأسماء الأنبياء عليهم السلام".

٥. الترغيب والترهيب قانون رباني يشهد على كمال الله تعالى، حيث إن البشر يحتاجون لدوام استقامتهم إلى الترغيب والترهيب، وبغير ذلك لا يصلح حالهم، وقد برز ذلك في الآيات (٣٤-٣٥).

٦. البعث: حيث أنه دون البعث لا يمكن للناس أن يفهموا حقيقة الحياة ويدركوا تجليات الحكمة الإلهية، وفي البعث تمام النعمة التي تليق بالكامل حيث يُدخل المؤمنين الجنة، ويعذب الكافرين، وقد ورد ذلك في الآيات الآتية:

- ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ﴾ (١٨).
- ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرُوا فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٣-٢٤).
- ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُمْ﴾ (٢٩).
- ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِهَدَايَاتِنَا لَوْ أَنَّا لَهَمَّ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (١٨).
- ﴿وَأُولَٰئِكَ الْأَعْلَىٰ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ (٥).
- ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (٢٥).
- ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ (٣٤).

٧. عقاب الله تعالى للأقوام السابقة وانتقامه من الكافرين: لأن التسبيح هو استسلام لله تعالى طوعي يضاف إلى الاستسلام الإجماعي، فالذين لا يسبحون الله تعالى ولا يستسلمون له يكونون في حالة تناقض مع حركة

الوجود، ومن هنا فإنهم يلقون العقوبة في الدنيا والآخرة، وقد ذكرت الآيات أن الله تعالى هو الذي أصابهم بالمثلات أي النقم التي تجعلهم مثلاً لمن بعدهم، قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٦)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ (١١)، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ (٣١). وهو الذي أخذ المسهزين بالرسول بأشد العقاب، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بُرْسِي مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (٣٢)، وهو يهدد الذين يمكرون بالدين وأهله فله المكر جميعاً، قال تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعَعِلَهُمُ الْكَفْرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٤٢).

وأما المؤمنون فيسبحون الله تعالى رب الرعد ويعظمونه ويخافونه ويطمئنون إليه، وقد ورد هذا الأمر بصيغ مختلفة فهم يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق، ويصلون ما أمر الله به أن يوصل، ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب، وفي الوقت نفسه يصبرون ابتغاء وجه ربهم (٢٠-٢٢)، كما أنهم تطمئن قلوبهم بذكر الله تعالى (٢٩)، ويتوكلون عليه (٣٠).

ويضيف البقاعي معنى جميلاً لاسم السورة فيقول: "مقصودها وصف الكتاب بأنه الحق في نفسه، وتارة يُتأثر عنه مع أن له صوتاً وإرعاباً وإرهاباً يهدي

بالفعل، وتارة لا يُتأثر به بل يكون سبباً للضلال والعمى، وأنسب ما فيها لهذا المقصد الرعد، فإنه مع كونه حقاً في نفسه يسمعه الأعمى والبصير والبارز والمستتر، وتارة يُتأثر عنه البرق والمطر وتارة لا، وإذا نزل المطر فتارة ينفع إذا أصاب الأراضي الطيبة وسلمت من عاهة، وتارة يخيب إذا نزل على السباخ الخوارة، وتارة يضر بالإغراق أو الصواعق أو البرد وغيرها والله أعلم".<sup>(١)</sup>

ومما يعزز المعنى الذي ذهب إليه البقاعي أنه قد وردت آية في السورة تبين أن الله تعالى لو أراد أن يجعل كلاماً تُسَيَّر به الجبال أو تُقَطَّع به الأرض أو يُكَلَّم به الموتى لكان هذا القرآن، وكأن هذه الآية تشير إلى عظمة القرآن الكريم، وأنه أعظم من الرعد المخيف الجالب للمطر والله أعلم.

هداية الاسم:

فهمُ التسبيح وتعمُّقه في النفس  
وممارسته عملياً من أعظم الطرق للارتقاء والاطمئنان

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (ج٤، ١١٧)

- خلاف العلماء في مكية السورة ومدنيتها، وترجيح بعضهم مكيتها على الرغم من تعدد الروايات والأقوال بمدنيتها، وذلك لما تحويه من إنذار وتحذير وبيان قوة الله وعظمته، فقد ذكرت السورة تهديداً بحلول قارعة بالكافرين (الآية ٣١)، والقارعة فيها صوت شديد كما أن الرعد فيه صوت شديد، والآية التي ورد فيها الاسم فيها تهديد أيضاً بقوله ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾.
- الرعد يحمل معنيين متضادين (الخوف والطمع)، وهذا التضاد يلاحظ في السورة بشكل كبير مثل: صنوان وغير صنوان، أسر القول وجهر به، الغدو والآصال، تغيض الأرحام وتزداد، الغيب والشهادة، مستخف بالليل وسارب بالنهار، الأعمى والبصير، الحق والباطل، يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، الظلمات والنور.

## (١٤) سورة إبراهيم (عليه السلام)

مكية عدد آياتها ٥٢ ورقمها ١٤

اسم هذه السورة باسم نبي من أنبياء الله تعالى، مثل سورة يونس وهود ويوسف ومحمد ونوح عليهم السلام، جاءت ضمن سلسلة متتابعة بعد سور يونس وهود ويوسف ابتدأت بالافتتاحية ﴿الرَّحْمَٰنُ﴾ ، لكن سبقها سورة الرعد والتي ابتدأت بـ ﴿الْمَرْءُ﴾ ، وهذا الترتيب يدعو إلى التدبر والتأمل كما يدعو اختيار هذه الأسماء إلى تدبر أيضاً، ولكن ما دلالة اختيار اسم إبراهيم عليه السلام لهذه السورة مع أنها لم تذكر أي جزء من حياته عليه السلام باستثناء دعائه عليه السلام في نهايات السورة في الآيات (٣٥-٤١)؟

إبراهيم عليه السلام هو والد إسماعيل وإسحاق عليهما السلام، وإسماعيل كان من ذريته محمد ﷺ ، وإسحاق كان من ذريته يعقوب (إسرائيل) الذي كان في عقبه الأنبياء. ومن ذرية إبراهيم عليه السلام كثير من الأنبياء عليهم السلام ومنهم يوسف وموسى وعيسى عليهم السلام، وقد ورد في سورة الأنعام ما يشير إلى أن الأنبياء بعد إبراهيم عليه السلام كانوا من ذريته، حيث ذكرت ١٦ نبياً من ذريته، في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَهُدَّيْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ (الأنعام: ٨٤-٨٦)، إذاً إبراهيم عليه السلام هو أبو الأنبياء، وينتمي إلى نسبه وشجرته كل أهل

الأديان الموحدة منذ بعثته عليه السلام إلى زماننا هذا، فلم يتم انقطاع للتوحيد بعد إبراهيم عليه السلام، ولم يزل من هم على دينه حتى مجيء محمد ﷺ الذي أعلن بوضوح أنه وأمه على ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين، وأمر بالصلاة عليه في كل صلاة للمسلم فيما يسمى بالصلاة الإبراهيمية.

ويواجه هذه المسيرة التي تحمل شعار التوحيد، الذي يُعتبر إبراهيم رمزاً له عبر تاريخها، الظالمون الذين يجتهدون في إطفاء نور الله تعالى، ولكن التاريخ أثبت على مر الأزمان انتصار فكرة التوحيد وزوال الظالمين.

وقد ورد ذكر إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم في ٦٩ موضعاً، برزت فيها شخصية إبراهيم عليه السلام الموحد، القانت، الشاكر، الصابر، المستسلم لله تعالى، ومنها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ آجِبْتَهُ وَهَدَيْتَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (النحل: ١٢٠-١٢١)، ومنها

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾ (هود: ٧٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (البقرة: ١٣٠-١٣١)، أما في سورة إبراهيم فقد ورد دعاء إبراهيم عليه السلام في نهايات السورة، وقد تناول هذا الدعاء في ثناياه ما يأتي:

١. محاربه للأصنام: ﴿ وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۝ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَا كَثِيرًا ۝ مِّنَ النَّاسِ ﴾ (٣٥-٣٦).

٢. حرصه على صلاح ذريته: ﴿ وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ (٣٥)،  
﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ (٤٠).
٣. حرصه على إقامة الصلاة: ﴿ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ (٣٧)، ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي  
مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ (٤٠).
٤. شكره لله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ (٣٩).
٥. بره لوالديه: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيْ ﴾ (٤١).
٦. تبتله وقنوته: ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (٣٩)، ﴿ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ (٤٠).
٧. حبه للمؤمنين: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾ (٣٥)، ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي  
وَلِوَالِدَيْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ (٤١)، ﴿ وَأَرْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ  
يَشْكُرُونَ ﴾ (٣٧).

والمعالم السابقة في شخصية إبراهيم عليه السلام وفي دعائه تناولتها السورة بشكل واضح كما في العرض الآتي:

١. إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء: ويبرز في السورة ذكر إسماعيل وإسحاق معاً، وهي المرة الوحيدة في القرآن التي يجتمعان فيها معاً في آية واحدة، في قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ (٣٩)، وهما الفرعان اللذان تولد منهما قيادات التوحيد بعد ذلك إلى أن خُتموا بمحمد ﷺ، ويرتبط بهذا المعنى المثل الذي ضربه الله في السورة للشجرة الطيبة والشجرة الخبيثة، في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً

طَيْبَةً كَشَجَرَةٍ طَيْبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ  
 حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ  
 كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ (٢٤-٢٦)،  
 يقول ابن عاشور: "وفي التوراة أن اسم إبراهيم إبرام وأن الله لما أوحى إليه  
 وكلمه أمره أن يسمى إبراهيم لأنه يجعله أباً لجمهور من الأمم، فمعنى  
 إبراهيم على هذا أبو أمم كثيرة". (١)

٢. إبراهيم عليه السلام رمز التوحيد والاستسلام لله تعالى: وقد ورد ذلك في  
 السورة في قوله تعالى: ﴿ بَلِّغْ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ ۖ وَيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَحِيدٌ  
 وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٥٢)، وهي الآية الأخيرة في السورة، وقوله تعالى:  
 ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ۗ ﴾ (٣٠)، وقد ورد تبرؤ الشيطان من  
 المشركين يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ  
 وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ  
 دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ۗ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا  
 أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي ۗ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ۗ ﴾ (٢٢). وأبرزت  
 السورة أن الظالمين المواجهين للتوحيد إلى زوال: قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ  
 كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُدُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ  
 رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ۗ ﴾ (١٣-١٤)،

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (م)، ج (١)، (٧٠١)

وقوله تعالى: ﴿ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ (٢٧)، وقوله

تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ

تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ (٤٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَنِ الَّذِينَ

ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴾ (٤٥)،

وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ مُخْلِفاً وَعْدِهِ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ (٤٧).

٣. إبراهيم عليه السلام الشاكر للأنعم: وقد ورد هذا المعنى في السورة في

مواضع متعددة منها قوله تعالى: ﴿ إِنِّي فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ

شَكُورٍ ﴾ (٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ

وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (٧)، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا

نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ (٢٨)، وقوله تعالى بعد استعراض

مجموعة من النعم في الأرض والسماء: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا

إِنَّا الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (٣٤).

هداية الاسم:

الحق نور والباطل ظلمات، ودعوة الحق شجرة مثمرة باقية في الدنيا والآخرة،

وإبراهيم عليه السلام القدوة والمثل الإنساني الأعلى والبيان المتصل الممتد

الذي لا انقطاع له

- في اسم إبراهيم عليه السلام لغات للعرب: إحداهما إبراهيم وهي المشهورة وقرأ بها الجمهور، والثانية إبراهيم في قراءة هشام عن ابن عامر حيثما وقع اسم إبراهيم، ولم يقرأ جمهور القراء العشرة إلا بالأولى، وقرأ بعضهم بالثانية في ثلاثة وثلاثين موضعاً، وإبراهيم تعني في اللغات القديمة الوالد الأكبر أو الأول.<sup>(١)</sup>

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١م، ج ٢، ٧٠٢)

## (١٥) سورة النحل

مكية عدد آياتها ١٢٨، ورقمها ١٦

النحل كما يقول الأصفهاني: "الحيوان المخصوص، قال: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾، والنَّحْلَةُ والنَّحْلَةُ عطية على سبيل التبرع، وهو أخص من الهبة... واشتقاقه فيما أرى من النحل نظراً منه إلى فعله، فكأنَّ نَحَلْتَهُ أعطيته عطية النحل... وبين الحكماء أن النحل يقع على الأشياء كلها، فلا يضرها بوجه، وينفع أعظم نفع، فإنه يعطي ما فيه الشفاء كما وصفه الله تعالى... ومنه نَحَلت المرأة قال تعالى: ﴿ وَآتَاوُا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ فَنَسَا فَاكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾ (٤)، والانتحال ادعاء الشيء... ونحل جسمه نحولاً صار في الدقة كالنحل".<sup>(١)</sup> ويقول المصطفوي: "عطاء بلا عوض، وبلا مطالبة شيء".<sup>(٢)</sup> ويضيف الرازي معنى آخر فيقول: "وفلان ينتحل مذهب كذا وقبيلة كذا إذا انتسب إليه".<sup>(٣)</sup>

والآية التي ورد فيها اسم السورة هي الآية (٦٨) في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾.

(١) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (ص ٤٨٥)

(٢) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج ١٢، ٦٢)

(٣) مختار الصحاح، محمد الرازي (٣٣٤)

ومن خلال اسم النحل ومن الآيتين اللتين ورد فيهما الاسم يجد القارئ دلالة ذلك في عدة أمور:

١. الإنعام والعطاء.

٢. الوحي الإلهي.

٣. البيت والسكن.

٤. بناء المجتمعات.

وبالنظر إلى آيات السورة نجد أنها تتناول هذه المحاور بشكل واضح، وذلك على النحو الآتي:

١. النعم والعطاء: تحدثت آيات كثيرة في السورة عن نعم الله تعالى على البشر، وقد تناولت الآيات عدة مجالات في هذه النعم شملت وسائل النقل والثمار وتسخير النجوم والبيوت والزواج، وهذه الآيات هي: (٣-١٦)، (٦٥-٧٢، ٧٨-٨١)، وأبرز آية في الموضوع قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ ﴾ (١٨)، وهذه النعم تمثل البنية التحتية المادية اللازمة لبناء المجتمعات.

٢. الوحي الإلهي: إضافة إلى آية الاسم التي ورد فيها قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ (٦٨)، نجد قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ ﴾ (٢)، وقوله: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ ﴾ (٩)، وقوله: ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ ﴾ (٣٠)، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْبِئُوا اللَّهَ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۗ ﴾ (٣٦)، وقوله:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ ﴾ (٤٣)، وقوله: ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (٤٤)، وقوله: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٦٤)، وقوله: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٨٩)، وقوله: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (١٠٢)، وقوله: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ (١٢٣).

ويعتبر هذا الوحي هو الطريق الأمثل للهداية، وقد ركزت آيات كثيرة في السورة على موضوع الطرق ووسائل النقل، إضافة إلى الآيات السالفة في موضوع الوحي، وذلك للدلالة على أهمية الوحي في الوصول إلى الهداية والخير، مثل النحل عندما سلك سبل ربه التي ذللها له والتزم بوحي الله وهدايته، يُخرج بعد ذلك شراباً فيه شفاء للناس، كما يبني بيوتاً جميلة منظمة رائعة يأوي إليها تحميه من المخاطر.

كما ذكرت آيات كثيرة في السورة موضوع الشرك وحال المشركين الذين ابتعدوا عن الوحي الإلهي من الخسارة في الدنيا والخزي في الآخرة، ومن ذلك الآيات (١، ٣، ٢٠-٢٩، ٣٣-٣٥، ٣٦-٣٨، ٤٥-٦٣، ٧٣-٧٦، ٨٣-٨٨، ١٠٠، ١٠٣-١٠٩، ١١٢-١١٣، ١١٦-١١٨، ١٢٠، ١٢٤).

٣. البناء والبيوت: تحدثت آيات السورة بشكل واضح عن البيوت والبناء،

وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ ﴾ (٢٦)، وقوله: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينٍ ﴾ (٨٠)، وقوله: ﴿ مِنْ الْجِبَالِ أَكَنَّا ﴾ (٨١).

٤. بناء المجتمعات: تركز السورة على بناء المجتمعات المادي والفكري، على

أساس من الوحي الرباني، وهذا هو سبيل سعادتها، وأساس إصلاحها وشفائها، وبغيره تصل إلى الشقاء والخسران، فقد ورد في السورة قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ﴾ (٩٧)، كما قال تعالى عن أثر الابتعاد عن الإيمان على المجتمعات: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (١١٢-١١٣).

وفي السورة آية عظيمة هي أجمع آية في الأمر والنهي، التي شملت الأسس الرئيسة في بناء المجتمعات، وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ

وإِنِّي ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَتَّخِذُ عَنِّي الْفَحْشَاءَ وَالْمُنْكَرَ وَابْتَغَىٰ بَعْضُكُمْ  
لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾.

كما ركزت الآيات التالية لها على الوفاء بالعهود، وهذا أمر مهم في علاقة  
المجتمع بنفسه وبغيره من المجتمعات، وذلك في الآيات (٩٠-٩١).

هداية الاسم:

نعم الله تعالى على البشر كثيرة، ومن أعظمها الوحي،

وهو طريق فلاح المجتمعات في الدنيا والآخرة

## (١٦) سورة الإسراء

مكية عدد آياتها ١١٥، وترتيبها ١٧

يقول الأصفهاني: "السرى سير الليل، يقال سرى وأسرى... وقيل إن أسرى ليست من لفظة سرى يسرى، وإنما هي من السراة وهي أرض واسعة... وقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ﴾ (١)، أي ذهب به في سراة من الأرض، وسراة كل شيء أعلاه". (١) ويقول الفيروزآبادي: "السرى، كاهدى: سير عامة الليل". (٢) ويقول الرازي: "وأسرى، أي: سار ليلاً". (٣)

ويقول المصطفوي: "والتحقيق أن الأصل الواحد في المادة: هو سير بلا تظاهر وإعلان وجهه، بل بالسر والخفاء، مادياً أو معنوياً". (٤)

ولكن يبدو أن إضافة الآية الكريمة كلمة ليلاً بعد ذكر الإسراء الذي يعني: السير في خفاء، وإذا أضيف إلى ذلك كونه في الليل فهذا يعني أنه سير في خفاءين، وهذا يحتاج إلى إضاءة وإرشاد أكثر.

وقد ورد اسم السورة في أول آية منها، التي تحدثت عن حادثة الإسراء بالنبي ﷺ من مكة إلى القدس، ولم تتناول السورة أية تفاصيل عن الحادثة في غير الآية الأولى، فما علاقة اسم (الإسراء). بموضوعات السورة؟

(١) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (ص ٢٣١)

(٢) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ص ١٣٠١)

(٣) مختار الصحاح، محمد الرازي (ص ١٦٣)

(٤) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج ١٣٩، ص ٥٠)

وللإجابة عن السؤال يمكن ربط معاني الإسراء في اللغة التي تدور حول معان ثلاثة هي: السير بالخفاء والاتساع والعلو بموضوعات السورة، حيث تتوزع هذه المعاني في السورة بشكل واضح كما في العرض الآتي:

١. السير بالخفاء: إن السير بالخفاء والليل يحتاج إلى إرشادات أكثر ما يحتاجه السير بالنهار، وقد يكون السير بالخفاء والليل إشارة إلى مراحل صعبة تمر على الأمة، وظروف مظلمة، والمثال الواضح في زماننا لهذا الظلام احتلال بني إسرائيل لمصرى النبي ﷺ، والمرحلة الحرجة التي يعيشها المسلمون نتيجة ذلك، ومن الإرشادات في السورة التي تعين المسلمين على السير للخروج من هذا الظلام:

• اتباع القرآن الكريم: تتكرر في السورة، وبشكل لافت للنظر، كلمة (القرآن)، حيث يبلغ عدد تكراراتها عشر مرات، وهو أعلى تكرار لهذه الكلمة في سور القرآن الكريم، كما وردت كلمات أخرى تدل على الوحي الإلهي والهداية الربانية، والمعروف أن القرآن الكريم هدى ونور، ومخرج للناس من الظلمات إلى النور، وأن من يترك الوحي سيكون في ضلال، وهو ما أكدته عدة مواضع في السورة ومنها:

- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ (٩).
- قوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨٢).
- قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ (٨٩).

- قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾ (٩٤).

- قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ كَانَتْ فِي هُدَاهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (٧٢).

- قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ ﴾ (٩٧).

• وفي السورة كثير من التوجيهات المباشرة، وهو الأمر الذي يحتاجه البشر أثناء مسيرتهم في الدنيا، ويحتاجونه أكثر إذا اشتدت الظلمات، وأصبح المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، وقد ذكرت هذه التوجيهات في الآيات (٢٢-٣٩)، وخُتمت بقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ﴾ (٣٩)، والأوامر الربانية خاصة في الأمور الاجتماعية هي أخفى ما تكون على البشر، خاصة في ظروف الهزيمة والانكسار، بل إن الإنسان أحياناً يتمنى أمراً يظنه الخير وهو الشر، كما قال الله تعالى: ﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ (١١)، كما ذكرت السورة أن علم الإنسان قليل خاصة فيما يتعلق بالروح وحاجاتها، قال تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٨٥).

• كما تكرر في السورة ذكر بعض السنن الاجتماعية التي تخفى على كثير من الناس، خاصة في مرحلة الضعف، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ (١٦)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٧٦) سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾ (٧٧-٧٦).

وما يؤكد هذا الأمر أن الآية الأولى في السورة والتي تحدثت عن الإسراء أشارت إلى تفضل الله على نبيه بهذه الرحلة ليريه من الآيات، وهو ما يجعله يثبت على الحق، ويثبت من خلفه، كما دُيِّلت بقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١)، واختيار هذين الاسمين للإشارة إلى أهم ما يحتاجه السائر في الليل.

• وجاء ذكر قصة إبليس في الآيات (٦١-٦٥)، والتركيز على سعيه لإضلال البشر، وذلك للتحذير من هذا العدو وما يمثله من كيد يهدف إلى إغراق الناس في الظلمات والتهيه، وأن اتباع النور الرباني عصمة للإنسان من كيده وشروبه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ (٦٥).

٢. الاتساع: ويمكن ملاحظة السعة في السورة من خلال الآتي:

• يظهر الاتساع في مباركة بيت المقدس وما حولها، والبركة فيها تركز الخير وانتشاره، وهذا ما أكدته أكثر من آية في القرآن الكريم مثل قوله

تعالى: ﴿الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ٧١).

• يعطي الله تعالى طالبي الدنيا والآخرة عطاءً غير محظور عن أحد في الدنيا بغض النظر عن صلاحه، أما أهل الآخرة فسعيهم مشكور في الآخرة، وهي كلمة تدل على عطاء ذي سعة هائلة غير محدودة، لأن الشاكر هو الله تعالى، وشكر الله لا حدود له، وهذا ما تحدثت عنه الآيات (١٨-٢١).

• الله قادر على بسط الرزق لمن يشاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٣٠).

• تكرر في السورة الحديث عن سعة عطاء الله تعالى للبشر، الذي يتمثل في إعطائهم القدرة على الحركة براً وبحراً، وتفضيلهم على كثير من الخلق، وتسخيره الليل والنهار ليستطيع البشر معرفة السنين والحساب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧٠).

• وأما الآية (٨٥) فتبين سعة علم الله تعالى، وهو العلم الذي يغدو أمامه علم

الإنسان قليلاً محدوداً، قال تعالى: ﴿وَمَا أوتيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

٣. العلو: ويمكن ملاحظة العلو في عدة محاور في السورة:

• علو الله تعالى: ويظهر ذلك من خلال التسييح في افتتاحية السورة، وهي السورة الأولى في السور التي تبدأ بالتسييح، والتسييح فيه تزيه لله عن كل

نقص، وفي الآيتين (٤٢-٤٣) نفي أي إله مع الله تعالى وتعالیه عن ذلك، بل واستخدام عبارة: ﴿سُبْحٰنَهُۥ وَتَعٰلٰى عَمَّا يَقُوْلُوْنَ عُلُوًّا كَبِيْرًا﴾ (٤٣)، كما تذكر الآيتان (٥٦-٥٧) أن أهل الطاعات يتنافسون للتقرب إليه رجاء رحمته وخوفاً من عذابه، وتؤكد الآية (٦٠) أن الله مسيطر على أمور الناس، وهو ما يؤكد علوه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾، ثم تأتي خاتمة السورة مؤكدة على علوه وبراءته من كل نقص، منتهية بدعوة المؤمن لتكبير الله تعالى، في قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنٰى وَلَا تَجْهَرُ بِصَلٰتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيْلًا﴾ (١١٠) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيْكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا وَكَبِيْرَةٌ تَكْبِيْرًا﴾ (١١١-١١٠).

وقد كانت حادثة الاسراء حرقاً لناموس الأسباب العادية التي تعود عليها البشر، ولفناً للأنظار لهذه القدرة الإلهية العجيبة التي لا تتقيد بناموس، فالله عز وجل هو الفعال لما يريد، وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، فالحادثة تقيم الدليل الذي لا يقبل الشك على قدرة الله تعالى أولاً، ثم ثانياً على أنه يخرق الأسباب التي يريد.

• علو بني إسرائيل في فلسطين: وهو محور مهم من محاور السورة، ويدل على ذلك الاسم التوقيفي الثاني للسورة (بني إسرائيل)، وآيات السورة تعلن بالعبارة الواضحة أن هذا الوجود الإسرائيلي علو كبير، في قوله تعالى: ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ عُلُوًّا كَبِيْرًا﴾ (٤)، كما تتحدث آيات السورة عن أهم

عناصر هذا العلو ومصيره في موضعين في بداية السورة وخاتمتها، وذلك في الآيات (٢-٨)، (١٠٤-١٠٩).

• العلو الفردي عبر العبادة: وهو الأمر الذي يظهر بشكل لافت من خلال الدعوة إلى الصلاة، بل وتحديد مواعيدها، وهو الموضع الوحيد في القرآن الكريم الذي تحدث عن هذا الموضوع، وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (٧٨)، وتؤكد الآية التي تليها على مركزية قيام الليل وأثره في الوصول إلى المقام المحمود، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (٧٩)، ثم تبين الآية التالية أن سلوك طريق العبادة تجعل للعبد مكاناً عالياً عند الله تعالى، حيث يدخله الله مُدخل صدق، ويُخرجه مُخرج صدق، والأهم أن له من الله سلطاناً نصيراً، في قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾ (٨٠).

ويمكن القول إن السورة بموضوعاتها ومعاني كلمة الإسراء الثلاثة يمكن أن تكون توجيهاً تفصيلياً للفترة التي تبدأ بقيام العلو الإسرائيلي في الأرض المباركة في عام (١٩٤٨) إلى نهايته التي يعلمها الله تعالى، وأن هذه الفترة ستكون أكثر الفترات في تاريخ المسلمين ظلاماً وحيرة وارتباكاً، وبالتالي فالأمة تحتاج فيها إلى مزيد من التوجيهات والإضاءات والإرشادات أكثر مما تحتاجه في أي فترة أخرى، ولأنها فترة فيها العلو المفسد فلا بد من مواجهته على مستوى العقل والقلب، بالتذكير

بالعلو الرباني، وما يعطيه لأوليائه من العز والتمكين والعلو. وبسبب ما يعانیه الناس في زمان العلو المفسد من ضيق، كانت السورة موجهة للعروج إلى الخالق من خلال الصلاة والعبادة والتسبيح، كما وجهت إلى الاهتمام باستمداد النور في ظلام هذه الفتنة من القرآن الكريم الذي يهدي للتي هي أقوم.

وكما كانت حادثة الإسراء والمعراج إكراماً من الله تعالى لعبده محمد ﷺ، حيث كان عليه السلام مدعوّاً ليشاهد من آيات القدرة والعظمة الإلهية ما يُطمئنه على مستقبل دعوته ونصرتة. فإن السورة فيها التطمين للرسول ﷺ والمسلمين على أن استفزاز عدوهم لهم ومحاولة إخراجهم من أرضهم، وخاصة في فلسطين، يؤدي إلى هلاك عدوهم وانتهاء أمره، وهو ما يمكن أن يفهم من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ۖ ﴿٧٦﴾ سُنَّةً مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ۖ ﴿٧٧ - ٧٦﴾، وقوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ۖ ﴿١٠٣﴾.

هداية السورة:

القرآن الكريم والتسبيح والصلاة،  
منارات تهدي الأمة للخروج من الظلمات والأزمات

## (١٧) سورة الكهف

مكية عدد آياتها ١١٠، وترتيبها ١٨

يقول ابن فارس: "الكاف والهاء والفاء كلمة واحدة، وهي غار في جبل، وجمعه كهوف".<sup>(١)</sup> ويقول ابن منظور: "الكهف: كالمغارة في الجبل، إلا أنه أوسع منها، فإذا صغر فهو غار".<sup>(٢)</sup> ويستخدمه الناس عادة للاحتماء والاختفاء والمسكن.

ورد الاسم في السورة بالصيغة نفسها في الآيات (٩، ١٠، ١١، ١٦)، كما ورد مضافاً إلى من سكن فيه بصيغة "كهفهم" في الآيتين (١٧، ٢٥)، ولم يرد هذا الاسم في القرآن الكريم في غير هذه السورة، وإنما وردت كلمة الغار في قصة الهجرة في سورة التوبة في قوله تعالى: ﴿إِلَّا نُنصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ (التوبة: ٤٠).

وقد ذكرت السورة أربع قصص أولها قصة أصحاب الكهف، وهم الفتية الذين فروا بدينهم إلى الكهف، فضرب عليهم النوم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً، ومن الواضح أن الكهف في القصة هو ملجأ يحقق الأمن والحماية، وكان مناسباً تماماً لنومهم الطويل مما يعني وجود إعداد رباني لأوضاع الكهف، ولعلّ التجاءهم إليه كان بإشارة من نبي لهم، أو بإلهام من الله، قال تعالى: ﴿وَإِذِ

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج ٢، ٤٢٧)

(٢) لسان العرب، ابن منظور (ج ٩، ٨٧٠)

اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْرَأُ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴿١٦﴾ .

وبناءً على ما سبق يمكن القول إن الدلالة الظاهرة والمباشرة لاسم السورة: الملجأ الذي يوفر الأمن والحماية المادية والمعنوية، ومما يؤكد ما وصلنا إليه اعتبار الرسول ﷺ سورة الكهف عاصماً لقارئها من الفتن والمخاطر، كما ورد عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قوله: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال".<sup>(١)</sup>

والسؤال المهم : هل مواضيع السورة ومحاورها تؤكد هذه المعاني لاسم السورة؟

تؤكد الآيات الأولى من السورة (١-٥) أن الملجأ الحقيقي هو القرآن الكريم الذي لا عوج فيه، وعلى أنه المرشد والهادي والعاصم من الغواية، فهو نعمة عظيمة تستوجب الحمد، وأن الفوز والبشارة بالخير والأجر الدائم لأولياء الله وعباده المؤمنين، وأن أي شيء سوى الله تعالى يُعتقد أنه ملجأ، فإنما هو في الحقيقة ملجأ متوهّم.

ثم تأتي القصص الأربع لتؤكد المعاني نفسها، حيث سنستعرضها واحدةً واحدةً للتدليل على ما ذهبنا إليه:

---

(١) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري (حديث ٨٠٩، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي).

١. القصة الأولى هي قصة أصحاب الكهف في الآيات (٩-٢٦)، التي تُبين أنهم لجأوا إلى الكهف هرباً من قومهم وطلباً للأمن والحماية، وهم يدركون أن الذي سيتكفل بهم حقاً هو الله تعالى: ﴿ فَأَوْأُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴾ (١٦).

وتعقب الآيات التالية للقصة بالتركيز على أهمية اللجوء إلى الله تعالى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَنْ نَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ (٢٧)، وقوله تعالى: ﴿ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ (٢٦)، كما تُظهر الآيات أيضاً مصير اللاجئين إلى الله: ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ﴾ (٣١)، وأما الآخرون فمصيرهم: ﴿ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ﴾ (٢٩).

٢. أما القصة الثانية في الآيات (٣٢-٤٤): وهي قصة صاحب الجنتين فتبين أن المال والغنى ليسا سبيل الأمان، فالمؤمن الذي لم يشرك حفظه الله تعالى، والمشرك الغني الذي توهم أن ماله أمان له في الدنيا والآخرة أصبح معدماً نادماً على اعتقاده الفاسد، فالقصة فيها تحصين للمؤمن في مواجهة الإغراء المادي والاعتزاز بالدنيا.

وتأتي الآيات المعقبة (٤٥-٥٩) مؤكدة على سرعة زوال الدنيا بما فيها، وأنه عند زوال الدنيا ستتجلى الحقيقة للمجرمين، كما تُذكر بقصة خلق آدم عليه السلام وما جرى فيها من عصيان إبليس لله تعالى، وتستنكر على من يتخذ

إبليس العدو ولياً من دون الله تعالى مع أنه عدو، وتبين أن ولايته وولاية غيره من دون الله تعالى واهنة.

٣. ثم تأتي القصة الثالثة في الآيات (٦٠-٨٢): وهي قصة موسى والعبد الصالح موضحة من خلال أحداثها تأمين الله تعالى للضعفاء والصالحين، وهيئة الأسباب لحمايتهم، دون أن ينتبه البشر وحتى الأنبياء إلى يد الله الحانية، بل قد يظنون الشر فيما هو خير، أو العيب فيما هو حكمة، ففي القصة تثبت للمسلم عندما يخفى عليه وجه الحكمة.

٤. أما القصة الأخيرة في السورة في الآيات (٨٣-٩٨): فهي قصة ذي القرنين المتحرك بأمر الله تعالى وتوجيهاته، يرمى مصالح الشعوب والقبائل، ويحمي المستضعفين في مشارق الأرض ومغاربها، ويؤمنهم من أعدائهم المعتدين، وفي القصة إشارة إلى أن الحكم العادل المرتبط بالوحي أمان للناس.

وتختتم السورة في الآيات (١٠٢-١١٠) بإظهار مصير الذين اتخذوا من دون الله تعالى ولياً، وفي المقابل مصير الموالين لله تعالى.

يقول الشيخ الندوي تعقيباً على السورة واسمها: "ورأيت نفسي تتوق إلى معرفة سر هذا التخصيص، والصلة المعنوية بينها وبين هذه العصمة التي أخبر عنها الرسول ﷺ، ففي القرآن سور من القصار المفصل، وسور من الطوال، عدل عنها النبي ﷺ إلى هذه السورة، وخصها بهذه الخاصية العظيمة، واقتنعت إجمالاً، بأن هذه السورة القرآنية الفريدة، التي تحتوي على أكبر مادة وأغزرها فيما يتصل بفتن العهد الأخير التي يترعّمها الدجال، ويتولى كبرها، ويحمل رايتها، وتحتوي

على أكبر مقدار من الترياق الذي يدفع سموم الدجال ويُبرئ منها، وأن من يتشرب معاني هذه السورة ويمتلئ بها يعتصم من هذه الفتنة المقيمة المقعدة للعالم، ويفلت من الوقوع في شباكها، وإن في هذه السورة الكريمة من التوجيهات والإرشادات، والأمثال والحكايات ما يبين الدجال ويشخصه في كل زمان ومكان، وما يُوضح الأساس الذي تقوم عليه فتنته ودعوته، وتُهيئ العقول والنفوس لمحاربة هذه الفتنة ومقاومتها، والتمرد عليها، وإن فيها روحاً تعارض التدجيل وزعماءه، ومنهج تفكيرهم، وخطة حياتهم في وضوح وقوة".<sup>(١)</sup>

كما يقول قطب في الظلال: "أما المحور الموضوعي الذي ترتبط به موضوعاتها، ويدور حوله سياقها، هو تصحيح العقيدة، وتصحيح منهج النظر والفكر، وتصحيح القيم بموازين العقيدة".<sup>(٢)</sup> وفي هذا التصحيح حماية للمسلم من الانحراف، لأن الفوز في الدنيا والآخرة يقوم على سلامة العقيدة والمنهجية الصحيحة. ومن الآيات التي تشير إلى ذلك:

- قوله تعالى في افتتاحية السورة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ (١) قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۗ (٢) مَلَائِكَةٍ فِيهِ أَبْدًا ۗ (٣) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ (٤-١)﴾، وفي ختام السورة قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ

(١) المدخل إلى الدراسات القرآنية، أبو الحسن الندوي (ص ١١٠-١١١)

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج ٤، ٢٢٥٧)

يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾، وفي ذلك إشارة واضحة إلى إعلان التوحيد وإنكار الشرك وإثبات الوحي.

— قوله تعالى على لسان فتية الكهف: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوهُ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَتُوْلَاءِ قَوْمًا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً ﴿١٤-١٥﴾، وقوله تعالى: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾، وقوله على لسان المؤمن الذي كان يعظ صاحبه صاحب الجنة: ﴿أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَنَكُنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٧-٣٨﴾.

— ﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِابَائِهِمْ ﴿٥﴾.

— ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَنٍ بَيِّنٍ ﴿١٥﴾.

— ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ ﴿٢٢﴾.

— ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ. وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾.

- ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ أَمْالٌ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا ﴿٤٦﴾. (٤٥-٤٦).

- ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ صَدَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾. (١٠٣-١٠٤).

وبناءً على ما سبق فإن دلالة اسم الكهف التي تتمثل في الحماية والأمن من الانحراف والفتن يستدعي من أهل التدبر للقرآن الكريم استخراج المعاني والقيم التربوية من السورة، والتركيز على نشرها والتذكير بها.

وخلاصة القول في دلالة اسم السورة: إن اللجوء الحقيقي يجب أن يكون إلى من هياً الكهف للفتية قبل وجودهم في الدنيا، واستمرت رعايتهم قرونًا طويلة وهم في حالة من العجز، ولمن حفظ المساكين والأيتام وأهل الإيمان، كما يتمثل الملجأ الحقيقي في الدين القيم الذي لا عوج فيه والولاية الربانية وجماعة المؤمنين، وأما المال والجاه والولاية الشيطانية فهي ملجأ وهمي.

هداية الاسم:

الأمان الحقيقي للإنسان هو في مولاة الله تعالى والاعتصام بكتابه

## (١٨) سورة الأنبياء

مكية عدد آياتها ١١٢، وترتيبها ٢١

يقول ابن منظور: "قال الفراء: النبي هو من أنبأ عن الله فترك همزه. قال: وإن أخذ من التّبوة والتّباوة، وهي الارتفاع عن الأرض، أي أنه أشرف على سائر الخلق، فأصله غير الهمز... والرسول أخص من النبي لأن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً".<sup>(١)</sup>

ويقول ابن فارس: "النون والباء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على ارتفاع في الشيء عن غيره".<sup>(٢)</sup>

هذه السورة سميت باسم الأنبياء جميعاً ولم تُسمَّ باسم نبي كما كانت سور أخرى، ولم يرد ذكر الاسم في السورة بشكل مباشر وإنما استعرضت السورة جزءاً من مسيرة الأنبياء عليهم السلام في الآيات (٤٨-٩١)، وقد تلا الحديث عنهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾<sup>(٩٢)</sup>، فلماذا سميت السورة بهذا الاسم؟

(١) لسان العرب، ابن منظور (ج ١، ١٩٦)

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج ٢، ٥٣٩)

قد تكون السورة استعراضاً لطبيعة الدعوة والمدعويين ومواصفات القادة والأتباع، ويظهر ذلك من خلال العرض الآتي:

١. الآيات (٦-١) تشير إلى الهدف الأهم من إرسال الأنبياء عليهم السلام، وهو إخراج الناس من لهُوم ولعبهم، وتذكيرهم باليوم الآخر ومركزيته، كما تحدثت عن موقف المدعويين من الأنبياء عليهم السلام، حيث بينت هذه الآيات اتهام المدعويين للأنبياء بالسحر والافتراء وأن كلامهم أضغاث أحلام أو أقوال شعراء، كما يستغرب المدعوون بشرية الرسل ويطلبون منهم المعجزات، وفي الآيات (٣٦، ٣٨، ٤١) تأكيد على موقف المدعويين المستهزئ بالرسول، كما تناولت السورة في مواضع متعددة الحديث عن يوم القيامة وذلك في الآيات (٣٨-٤٠، ٤٧، ٩٥-١٠٤)، وفي المقابل عند البدء بالحديث عن الأنبياء عليهم السلام ذكر الله تعالى الذين ينتفعون بدعوة الأنبياء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذَكَرْنَا لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

٢. الآيات (٧-٨)، تبين أن مشيئة الله اقتضت أن يكون الرسل كلهم من البشر: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ﴿٧﴾﴾، وهم غير خالدين ويحتاجون الأكل، وقد أعاد التأكيد على هذا المعنى في الآية (٣٤) في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ﴿٣٤﴾﴾، وفي الوقت ذاته فهم رحمة مهداة من الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾.

٣. وهؤلاء الرسل عليهم السلام هم أحباب الله تعالى، فهو وليهم ومنجيهم والحافظ لهم من كيد أعدائهم والمستجيب لدعائهم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْتَهُمُ الْوَعْدَ فَأُجِجْنَهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ (٩)، وقد تكرر ذلك في السورة بشكل واضح كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٤١)، كما تجلّى عند سرد قصص الأنبياء عليهم السلام، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٦١) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَجَعَلْنَاهُ لُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٦٩-٧١﴾، وتحدث الآيات (٧٢-٩١) عن ولاية الله لأنبيائه وتأييده لهم.

٤. أما الدعوة فهي واحدة وإن تعدد الرسل على مدار الزمان فهي قائمة على توحيد الله تعالى ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢٥)، وفي ختام الحديث عن الأنبياء عقب الآيات بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (٩٢)، وقد تناولت الآيات (٢١-٢٩، ٤٣، ١٠٨) الحديث عن وحدانية الله تعالى ونفي الولد والشريك له سبحانه، كما وصف الله تعالى ما أنزل إلى رسله بالفرقان والضياء والذكر (الرفعة والمترلة العالية) والرحمة والبركة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٤٨)، وقوله: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ (١٠).

٥. ولقد عرضت السورة سنن الله في الدعوات التي لا تتخلف، ومن هذه السنن أن يغلب الحق في النهاية وأن يُزهق الباطل، وأن يحل الهلاك بالظالمين المكذبين، وأن تكون النجاة للرسول والمؤمنين، وأن يرث الأرض عبادة الله الصالحون، ومن الآيات التي تناولت هذه السنن قوله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ (١١)، وقوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ (١٨)، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ (٩)، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (١٠٥).

٦. كما ذكرت السورة صفات الأنبياء عليهم السلام لبيان فضلهم وتميزهم للاقتداء بهم، فهم راشدون وعلماء وعابدون وصالحون وخاشعون وصابرون، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾ (٥١)، وكان واضحاً رشده وحكمته في دعوته وقومه وحواره معهم في الآيات (٥٢-٥٧، ٦٢-٦٧)، وقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۗ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (٧٢-٧٣)، وقوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ۗ إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٧٥) في معرض إخباره عن لوط عليه السلام، وقوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۗ وَكُلًّا آتَيْنَا

حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ﴿٧٩﴾، وقوله تعالى:  
﴿وَلِإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي  
رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾، وقوله تعالى في ختام الحديث عن  
الأنبياء عليهم السلام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا  
رِعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾.

٧. تناولت الآيات (٣٠-٣٣، ٣٧، ٤٢، ٤٤) بعض مظاهر خلق الله في الكون وبيان  
نعم الله على البشر، حيث أن هذه المظاهر والنعم دالة على فضل الله على  
عباده، وقدرته سبحانه على نصر أوليائه.

وبناءً على المعنى اللغوي المذكور الذي ذكره الرازي أن النون والباء والحرف  
المعتل تدل على ارتفاع في الشيء عن غيره، يلاحظ أن السورة التي أظهرت  
مكانة الأنبياء ذكر فيها بركة فلسطين في الآيتين (٧١، ٨١)، كما أشارت الآية  
(٥٠) إلى بركة القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ ﴿٥٠﴾،  
وقد يكون في ذلك إشارة إلى مركزية القرآن الكريم وفلسطين في مسيرة أتباع  
الأنبياء بعد محمد ﷺ، كما يصفها بعض المفكرين بالعالمية الثانية.

يقول قطب: "ومن ثم يستعرض السياق أمة الرسل الواحدة في سلسلة طويلة  
استعراضاً سريعاً، يطول بعض الشيء عند عرض حلقة من قصة إبراهيم عليه  
السلام، وعند الإشارة إلى داود وسليمان، ويقصر عند الإشارة إلى قصص نوح

وموسى وهارون ولوط وإسماعيل وإدريس وذو الكفل وذو النون وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام.

وفي هذا الاستعراض تتجلى المعاني التي ذكرت في سياق السورة، في صورة وقائع في حياة الرسل والدعوات، بعدما تجلت في صورة قواعد عامة ونواميس.

إن هذه الرسالة حق وجد، كما أن هذا الكون حق وجد، فلا مجال للهو في استقبال الرسالة ولا مجال لطلب الآيات الخارقة، وآيات الله في الكون وسنن الكون كله، توحى بأنه الخالق القادر الواحد، والرسالة من لدن ذلك الخالق القادر الواحد".<sup>(١)</sup>

والخلاصة كما يقول أستاذنا: "إن السورة قد نوعت في الحديث عن الأنبياء، حيث تناولت الحديث عن (١٧) نبياً ورسولاً، فتحدثت عن أنماط مختلفة منهم، حيث تحدثت عن أنبياء تعرضوا للاستهزاء والتعذيب من أقوامهم، كما تحدثت عن أنبياء كانوا ملوكاً لأقوامهم، ولم تتطرق للحديث عن حال أنبياء مع أقوامهم، وكأنها تستعرض مسيرة الأنبياء بكافة ظروفهم وأحوال أقوامهم، ولكنها تركز على بشريتهم ووحدة رسالتهم وعبوديتهم لله تعالى وعناية الله بهم".

هداية الاسم:

اتباع طريق الأنبياء يخرج الناس من غفلتهم عن الآخرة،  
وهو الموصِلُ للرفعة في الدنيا والآخرة.

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (٤)، (٢٣٦٥)

• جاء ذكر الأنبياء عليهم السلام في السورة بالنصب، بتقدير واذكر، لبيان تشریفهم وبيان مكانتهم عليهم السلام.

• يلفت النظر أن الآيات التي تتحدث عن الأنبياء في السورة بدأت بحديث سريع عن موسى عليه السلام في آية واحدة، وسورة الأنبياء جاءت بعد سورة طه التي أطالت الحديث عن موسى عليه السلام، كما أن الآيات ختمت الحديث عن الأنبياء بذكر عيسى وأمه عليهما السلام بشكل سريع أيضاً ولكن الحديث كان مطولاً في سورة مريم التي سبقت سورة طه.

## (١٩) سورة الحج

مدنية عدد آياتها ٧٨، وترتيبها ٢٢

الحج لغة كما يقول الحلبي: "وأصل الحج لغة القصد، وجعل في الشرع قصداً مخصوصاً لمكان مخصوص في زمان مخصوص على هيئات مخصوصة".<sup>(١)</sup>

فريضة الحج هي ركن من أركان الإسلام، ولم تُسمَّ سورة أخرى باسم أي ركن أو فريضة أخرى، وقد يكون ترتيبها بعد سورة الأنبياء فيه إشارة إلى أن الأنبياء عليهم السلام كلهم قد أدى عبادة الحج إلى بيت الله الحرام الذي بناه آدم عليه السلام، كما كان لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام شرف إعادة بناء الكعبة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ (البقرة: ١٢٧)، وتشير الآية (٢٦) من السورة إلى هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (٢٦)، وتتضمن فريضة الحج عدة معان بارزة وهي: الإخلاص في القصد، والتعظيم والاستسلام، والعالمية، والمجاهدة، وإذا تدبرنا آيات السورة سنجد أنها تتوزع بين هذه المعاني وتتضمنها، وذلك على النحو الآتي:

١. القصد (إخلاص النية): يتجلى هذا المعنى بشكل واضح في السورة، فُتَشَنَعُ أمر الشرك وتؤكد على التوحيد، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَبَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ (٢) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ

(١) عمدة الحفاظ، الحلبي، (ج ١، ٤٣٢)

فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ، وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٣-٤﴾، ﴿يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ﴾ (١٢)، وقوله: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ (٢٦)، وقوله: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَىٰ بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَجِيءٍ﴾ (٣١)، ﴿فَاللَّهُكُمُ إِلَهٌُ وَحْدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾ (٣٤)، ﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَتَىٰ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ (٦٢)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ (٧٣).

٢. التعظيم والاستسلام: وهو من مقاصد الحج وأهدافه التربوية، حيث يقطع المسلم المسافات من أجل هذه العبادات، وكذلك القيام بشعائر تحمل هذا المعنى، ومن الآيات التي تحمل هذا المعنى في السورة قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (٣٢)، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمِ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ (٣٠)، ومن مقتضيات التعظيم الاستسلام وهو أن يفعل الإنسان أوامر الله تعالى من غير معرفة لقصدتها وحكمتها، وهذا مطلوب من المسلم خاصة في العبادات، وقد قال العلماء سابقاً: إن العبادات لا تعلق، فمثلاً من شعائر الحج تقبيل الحجر الأسود أو الإشارة إليه، وقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله، فقال: "إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت

النبي ﷺ يُقبلك ما قبلتك" (١) ومن الآيات التي تفيد هذا المعنى في السورة قوله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا وَلَكِنَّ بِنَايِهِ النَّفْسَ مِنَكُمْ﴾ (٣٧)، وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا إِتْرَافًا فَهُمْ عَدُوٌّ وَإِنَّ ظُفُرَهُمْ لَمِي سَامَةٌ ۗ وَالْيَهُودُ سَمَاءُ نَارٍ وَبُيُوتُهُمْ كَسُبُوحِ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٤)، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَدْوَهُمْ وَلِيَطَوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَرَبِيِّ﴾ (٢٩)، والملاحظ أن الطواف ليس المقصود منه الطواف حول البناء المادي، بل هو إعلان للطواف حول أوامر الله تعالى، وعقد العهد معه سبحانه وتعالى أن المؤمن سيجعل حياته تدور حول أوامره ونواهيه، وفيه إعلان بالاستسلام كما هو الكون، لأن الطواف انسجام في الحركة مع حركة الكون.

٣. العالمية: ابتدأت السورة بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، وقد تكرر هذا النداء في السورة (١٥ مرة)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ﴾ (٥)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا كَارِهُنَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٤٩)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ﴾ (٧٣)، وقد كان الطلب من إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ

(١) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (حديث ١٥٩٧، كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود)

كُلِّ ضَامِرِيَانِيَتٍ مِنْ كُلِّ فَجِّ عَمِيْقٍ ﴿ (٢٧) . كما كانت خاتمة السورة معلنة ارتباط

المسلمين بإبراهيم عليه السلام كما قال الله تعالى: ﴿ قَلَّةٌ أَيْكُمْ إِتْرَاهِيْمَ ۗ ﴾ (٧٨).

٤ . المجاهدة: الحج عبادة شاقة يتحمل فيها الحاج كثيراً من المشاق ابتغاء مرضاة

الله تعالى، وزيارة ذلك الموقع تُذكر الحاج بما لاقاه الرسول ﷺ في بداية نشره

للدعوة ومجاهدته لأعداء الله الذين كانوا يصدون عن المسجد الحرام ويحاربون

أولياءه ويمنعون من التوجه إلى الله تعالى، ومن الآيات التي تشير إلى هذا المعنى

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي

جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْبِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ۗ ﴾ (٢٥)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ

عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ ﴾ (٣٨)، وقوله: ﴿ أذنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ

نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۗ ﴾ (٣٩)، ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا

الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ ﴾ (٤١)، ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي

سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۗ ﴾ (٥٨)،

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَتَّىٰ جِهَادِهِ ۗ ﴾ (٧٨).

ومما يلفت النظر ويحتاج للتدبر أنه بعد الإجابة في سورة البقرة عن تساؤل

حول الأهله في قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ

وَالْحَجِّ ۗ ﴾ (البقرة: ١٨٩) كان الحديث مباشرة عن القتال في سبيل الله في الآيات

(١٩٥-١٩٥)، ثم عاد للحديث عن أحكام الحج في الآيات (١٩٦-٢٠٣).

ويضيف أستاذنا لدى مراجعته للبحث تعقيباً على دلالة اسم السورة بقوله:

"الحج هو القصد إلى معظم، ويبدو أن مقصود السورة التعظيم لله تعالى، وما الحج (العبادة المعروفة) إلا صورة من صور هذا التعظيم له سبحانه، بل إن مقصد الحج الوصول إلى تعظيم الخالق وشعائره، وهذا الأمر مبثوث في السورة من أولها إلى آخرها، فابتداءً بالنداء الذي تستهل به ويتكرر في السورة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ خلافاً للمعهود في السور المدنية، ومروراً بمشاهد القيامة العظيمة حيث تتجلى عظمة الله لكل الخلق، أما موضوع الجهاد فهو أيضاً لجعل كلمة الله هي العليا، وفي السورة بيان أن المؤمنين عندما يمكنهم الله في الأرض سيقومون شعائر الله تعالى، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، كما أن الله العظيم يدافع عن أوليائه الذين يجاهدون في سبيله.

كما تتحدث آيات متفرقة في السورة عن آيات الله في الكون التي تدل على عظمته وملكوته وغناه سبحانه، وكان واضحاً خلال الحديث عن قصص السابقين التركيز على الأخذ والإهلاك المدّمّر من الله العظيم.

أما المثل الذي ضربه الله تعالى في ختام السورة فبيّن ضعف غيره سبحانه من الآلهة والأولياء، وجاء الختام موحياً بأن من أراد العظمة والعزة فلله العزة والعظمة جميعاً، ومن اصطفاه الله تعالى وأكرمه وكان مولاه وناصره فهو الفائز والمعصوم، وهو في حماية الله العظيم".

هداية الاسم:

تعظيم الله سبحانه والاستسلام له وحده طريق العزة والتمكين والعالمية

## (٢٠) سورة المؤمنون

مكية عدد آياتها ١١٨، وترتيبها ٢٣

يقول الأصفهاني: "والإيمان يُستعمل تارة اسماً للشيعة التي جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالصَّابِرِينَ﴾ (البقرة:٦٢)، ويوصف به كل من دخل في شريعته مقراً بالله وبنبوته، قيل وعلى هذا قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (يوسف:١٠٦)، وتارة يستعمل على سبيل المدح ويراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق القلب، وإقرار اللسان، وعمل بحسب ذلك بالجوارح"،<sup>(١)</sup> ويقول الفيروزآبادي: "وآمن به إيماناً: صدقه، والإيمان: الثقة، وإظهار الخضوع، وقبول الشريعة".<sup>(٢)</sup>

ذكر اسم هذه السورة (المؤمنون) في الآية الأولى بإعلان الفلاح لهم في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١)، ثم استعرضت الآيات (٢-٩) صفاتهم التي كانت سبب هذا الفلاح، وحثمت هذه الصفات ببيان مآلهم في الفردوس الأعلى في الآيتين (١٠-١١)، وتمضي الآيات تتناول موضوعات متعددة، فما علاقة بقية السورة مع اسم (المؤمنون) وصفاتهم؟

(١) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (ص ٢٦)

(٢) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (ص ١١٨٦)

يقول قطب: "هذه سورة (المؤمنون)، اسمها يدل عليها. ويحدد موضوعها. فهي تبدأ بصفة المؤمنين. ثم يستطرد السياق فيها إلى دلائل الإيمان في الأنفس والآفاق. ثم إلى حقيقة الإيمان كما عرضها رسل الله صلوات الله عليهم من لدن نوح عليه السلام إلى محمد خاتم الرسل والنبیین، وشبهات المكذبين حول هذه الحقيقة واعتراضاتهم عليها، ووقوفهم في وجهها، حتى يستنصر الرسل برهم، فيهلك المكذبين، ويُنجي المؤمنين.. ثم يستطرد إلى اختلاف الناس بعد الرسل في تلك الحقيقة الواحدة التي لا تتعدد.. ومن هنا يتحدث عن موقف المشركين من الرسول ﷺ، ويستنكر هذا الموقف الذي ليس له مبرر، وتنتهي السورة بمشهد من مشاهد القيامة يلقون فيه عاقبة التكذيب، ويُؤثَّبون على ذلك الموقف المريب، يختم بتعقيب يقرر التوحيد المطلق والتوجه إلى الله بطلب الرحمة والغفران.. فهي سورة (المؤمنون) أو هي سورة الإيمان، بكل قضاياها ودلائله وصفاته، وهو موضوع السورة ومحورها الأصيل".<sup>(١)</sup>

وبناءً على هذا الربط الرائع نستعرض الآيات التي تتناول هذه الموضوعات بصورة مفصلة وعلاقتها باسم السورة:

١. صفات المؤمنين: تستعرض الآيات (١-١١) صفات المؤمنين وإعلان فلاحهم في الدنيا والآخرة، وتبدأ هذه الصفات بالخشوع في الصلاة، وتنتهي بالمحافظة على الصلاة، للدلالة على أهمية الصلاة في تحقيق الإيمان والدلالة عليه. وتعود الآيات (٥٧-٦٢) لتعرض صفات المؤمنين بطريقة أخرى تُركِّز على أثر

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج٤، ٢٤٥٢)

الإيمان في القلب من الخشية والوجل والتسابق إلى الخيرات، كما يقول قطب: "إن قلب المؤمن يستشعر يد الله عليه. ويحسّ آلاءه في كل نفس وكل نبضة.. ومن ثم يستصغر كل عباداته، ويستقلّ كل طاعاته، إلى جانب آلاء الله ونعمائه. كذلك هو يستشعر بكل ذرة فيه جلال الله وعظمته، ويرقب بكل مشاعره يد الله في كل شيء من حوله.. ومن ثم يشعر بالهيبة، ويشعر بالوجل، ويشفق أن يلقي الله وهو مقصّر في حقّه، لم يوفّه حقّه عبادة وطاعة، ولم يقارب أياديه عليه معرفة وشكراً".<sup>(١)</sup>

٢. دلائل الإيمان في الأنفس والآفاق: تتناول الآيات (١٢-٢٢) آيات الله تعالى في النفس والكون، مذكرة بقدرته ونعمه سبحانه، ولقد بدأت بالحديث عن أطوار خلق الإنسان، يقول قطب: "كما أن في عرض تلك الأطوار بهذا التابع الدقيق المطرّد، ما يشير إلى أن الإيمان بالخالق المدبر، والسير على نهج المؤمنين الذي بينه في المقطع السابق.. هو وحده الطريق إلى بلوغ الكمال المقدر لتلك النشأة في الحياتين: الدنيا والآخرة".<sup>(٢)</sup> ثم تتابع الآيات الحديث عن دلائل الخلق في الكون، كما يعلق قطب على الآيات بقوله: "إن السياق يمضي في استعراض هذه الدلائل، وهو يربط بينها جميعاً. يربط بينها بوصفها من دلائل القدرة، ويربط بينها كذلك بوصفها من دلائل التدبير، فهي متناسقة في تكوينها، متناسقة في وظائفها، متناسقة في

(١) المصدر السابق (ص، ٢٤٧٢)

(٢) المصدر السابق (ج٤، ٢٤٥٧)

اتجاهها. كلُّها محكومة بناموس واحد، وكلُّها تتعاون في وظائفها، وكلُّها محسوب فيها لهذا الإنسان الذي كرّمه الله حساب".<sup>(١)</sup>

٣. حقيقة الإيمان كما عرضها الرسل الله عليهم السلام: حيث تستعرض الآيات (٥٣-٢٣) مسيرة بعض الأنبياء ودعوتهم أقوامهم إلى عبادة الله وحده، ذُكر بعضهم باسمه، واكتفت آيات أخرى بذكر قصته، كما بيّنت الآيات موقف غير المؤمنين من الرسل وتكذيبهم لهم، وإهلاك الله لهم، وكأن الآيات تشير إلى فلاح المؤمنين على مر العصور، كما تربط المؤمنين بالعمق التاريخي لأهل الإيمان لتزيد من رفع شأنهم وتكريمهم وخاصة الأمة الخاتمة، يقول قطب: "وهذه الأمة التي جاء لها الإسلام كانت أولى الأمم باتباع الحق الذي تتمثل فيه، ففوق أنه الحق هو كذلك مجد لها وذكر وما كان لها من ذكر لولاه في العالمين، قال تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ (٧١)".<sup>(٢)</sup>

وإن هذا الاستعراض السريع لمسيرة النبوات والرسل والمواقف المقابلة لهم، هو أجلى صور الإيمان والثبات عليه.

٤. موقف المشركين من الرسول ﷺ : تتناول الآيات (٦٣-٩٢) موقف المشركين، وتُحاوِرُهُم بأسئلة استنكارية، وتلفت أنظارهم إلى الحقائق الكونية، وتسرد الأدلة الواقعية على نبوته ﷺ ، وهي بذلك تكشف عن حقيقة هذا الفكر المتهالك وترسم صورة مخزية لحملة، فتعمل على تحصيل

(١) المصدر السابق (ج٤، ٢٤٦٠)

(٢) المصدر السابق (ج٤، ٢٤٧٥)

المؤمنين من شبهاتهم التي قد تعلق ببعض القلوب المؤمنة فتعيق ارتقاءها  
الإيماني.

٥. تتناول الآيات (٩٩-١١٤) من السورة مشهداً من مشاهد القيامة، يلقي فيه  
المكذبون عاقبة تكذيبهم، ويُؤنَّبون على مواقفهم في الدنيا.

٦. وتختتم السورة في الآيات (١١٥-١١٨) بتثبيت حقائق أساسية في الإيمان، كما  
تدعو إلى التوجه إلى الله واستمطار رحمته، يقول قطب (ج٤، ٢٤٨٢): "وتنتهي  
سورة الإيمان بتقرير القاعدة الأولى للإيمان.. التوحيد.. وإعلان الخسارة لمن  
يشركون بالله، في مقابل الفلاح في أول السورة للمؤمنين.. وبالتوجه إلى الله  
في طلب الرحمة والغفران وهو أرحم الراحمين".

ويلخص أستاذنا لدى مراجعته للبحث مقصود الاسم بقوله: "إن القرآن يصف  
للمؤمن مواصفات الإيمان، كما يصف أحوال المكذبين ليتعد عن صفاتهم،  
وبالتالي تكتمل صورة الإيمان".

هداية الاسم:

الالتزام بمواصفات الإيمان والابتعاد عن أحوال المكذبين طريق الفلاح

## (٢١) سورة النور

مدنية عدد آياتها ٧٦، وترتيبها ٢٤

يقول الزبيدي: "النور: الضوء أياً كان أو شعاعه".<sup>(١)</sup> ويضيف أيضاً: "النور يُبين الأشياء ويُري الأبصارَ حقيقتها". ويقول الأصفهاني: "النور الضوء المنتشر الذي يعين على الإبصار، وذلك ضربان دنيوي وأخروي، فالدنيوي ضربان: معقول بعين البصيرة وهو ما انتشر من الأمور الإلهية كنور العقل ونور القرآن، ومحسوس بعين البصر وهو ما انتشر من الأجسام النيرة كالقمرين والنجوم والنيترات... وسمى الله تعالى نفسه نوراً من حيث إنه المنور".<sup>(٢)</sup>

والنور ليس الضوء فقط، إنما الضوء هو شكل من أشكال النور، وبه يمكن رؤية بعض الأمور، بل إن أكثر ما يستخدم النور في غير الضوء المعروف، فالعلم نور، والقرآن نور، والرسول نور، فكل ما يبين الأشياء وينير الطريق لمعرفة هو نور.

جاء اسم السورة في الآيتين (٣٥)، (٤٠)، وابتدأت الآية الأولى بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وانتهت الآية الثانية بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾، فلماذا سُميت السورة بهذا الاسم؟

يجيب ابن عاشور عن السؤال بقوله: "وأسعد إطلاقات النور في اللغة بهذا المقام أن يراد به جلاء للأمور التي شأهما أن تخفى عن مدارك الناس وتلتبس فيقلُّ

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي (ج٧، ٥٦٣)

(٢) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (٥٠٨)

الاهتداء إليها"،<sup>(١)</sup> كما يقول عن هذا النور: "ويميز الحق من الباطل، ويزيل من الأذهان اشتباه الصواب بالخطأ، فيتعلم الناس طرق النظر الصائب والتفكير الصحيح".<sup>(٢)</sup>

كما يقول قطب في مقدمة السورة: "يذكر فيها النور متصلاً بذات الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ويذكر فيها النور بآثاره ومظاهره في القلوب والأرواح، ممثلة هذه الآثار في الآداب والأخلاق التي يقوم عليها بناء هذه السورة. وهي آداب وأخلاق نفسية وعائلية وجماعية، تنير القلب، وتنير الحياة، ويربطها بذلك النور الكوني الشامل أما نور في الأرواح، وإشراق في القلوب، وشفافية في الضمائر، مستمدة كلها من ذلك النور الكبير".<sup>(٣)</sup>

والتأمل للسورة يجد أن الله العليم هو الذي يُجَلِّي الأمور التي تخفى في العادة أو الغالب ويقبُلُ الاهتداء إليها خاصة في العلاقات الاجتماعية بين الذكر والأنثى، كما يقول ابن عاشور: "من أكبر الأغراض في هذه السورة تشريع نظام المعاشرة والمخالطة العائلية في التجاور".<sup>(٤)</sup>

ومن خلال النظر في الفكر الإنساني نجد أن البشر يتفقون بسهولة على العلوم الطبيعية، ولكن العلوم الإنسانية وبالذات في تنظيم العلاقة بين الذكر والأنثى

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٨م، ج١٨، ٢٣١)

(٢) المصدر السابق (٨م، ج١٨، ٢٢٨)

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب (٤، ٢٤٨٥)

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٨م، ج١٨، ١٩٦)

حيث يتدخل الهوى والمصالح، فتصبح الأمور ملتبسة على الكثيرين، كما أن هذه الأمور لا تخضع لتجارب مادية يمكن ملاحظتها، وبالتالي يصعب ضبطها، ولا يصل فيها الإنسان إلى الحقائق، ولا يميز بين إلهامات العقل ونزوات العواطف، مع أن هذه الأمور غاية في الخطورة على أمن المجتمع وسلامته، وبالتالي يعيش على نور أو في ظلام، وبالتالي جاء الدين ليتحدث فيها بشكل واسع.

ولتوضيح علاقة اسم السورة بهذا الأمر نستعرض معكم تقسيماً لموضوعات السورة:

١. موضوع العلاقة بين الذكر والأنثى وما يصح منها وما لا يصح، وما ينبغي أن تحاط به هذه العلاقة من حمايات خاصة عند وقوع الفواحش أو الاتهام بها، وقد عاجلت هذه السورة الكريمة مسألة الأسرة، وما يحفها من مخاطر، وما يعترض طريقها من عقبات ومشاكل تؤدي بها إلى الانهيار ثم الدمار، وما يتعلق بذلك من قضايا مثل الاستئذان وغض البصر وزينة المرأة، وذلك في الآيات (٢-٣٤)، (٥٨-٦١)، وهذا يعادل ٥٦% من السورة.

ويعقب قطب على سياق الآيات الأولى بقوله: "عالج السياق أغلظ ما في الكيان البشري، ليرققه ويظهره ويرتفع به إلى آفاق النور، عالج عرامة اللحم والدم، وشهوة العين والفرج، ورغبة التجريح والتشهير، ودفعة الغضب والغيظ. وعالج الفاحشة أن تشيع في النفس وأن تشيع في الحياة، وأن تشيع في القول. عاجلها بتشديد حد الزنا وحد القذف، وعالجها بعرض نموذج شنيع فظيع من رمي المحصنات الغافلات المؤمنات. وعالجها بالوسائل الواقية

بالاستئذان على البيوت وعضُّ البصر وإخفاء الزينة، والنهي عن مشيرات  
الفتن وموقظات الشهوة. ثم بالإحصان، ومنع البغاء، وتحرير الرقيق.. كل  
أولئك ليأخذ الطريق على دفعات اللحم والدم، ويهيئ للنفوس وسائل العفة  
والاستعلاء والشفافية والإشراق".<sup>(١)</sup>

٢. الآيات (٣٥-٤٠) تتحدث عن مثل النور، وقد كان موضعها منتصف السورة  
تقريباً، وتجيب الآيات عن هداية الله للناس، وعن محضن الهداية والنور، وهو  
بيوت الله تعالى، ومصير المعرضين عن الهداية الربانية من التخبط والسعي إلى  
سراب وظلام دامس.

وقد تضمنت الآيات مثالين، الأول لنور الله تعالى الذي تقوم به السموات  
والأرض، ولا نستطيع إدراك كنهه أو مداه، لكن من يفتح قلبه لهذا النور  
يراه حيثما توجه إليه، وحيث تطلع إليه الحائر هداه، فكل هداية موجودة في  
الكون هي من هبة الخالق سبحانه نور السموات والأرض، يقول البقاعي:  
"لأنه مظهرهما بإيجادهما وإيجاد أهلهما وهاديهم بالتنوير بالعلم الجاعل  
صاحبه بهدأيته إلى الصراط المستقيم كالماشي في نور الشمس لا يضع شيئاً في  
غير موضعه، كما أن الماشي في النور لا يضع رجلاً في غير موضعها اللائق  
بها".<sup>(٢)</sup>

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج٤، ٤٠١٨)

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (ج٥، ٢٦٣)

وهذا النور العظيم يتجلى في بيوت الله تعالى التي تتصل فيها القلوب بالله تعالى، تتطلع إليه وتذكره وتخشاه، وتتجرد له وتؤثره على كل مؤثرات الحياة، وهذه البيوت (المساجد) تعتبر المحضن للتربية والتوجيه والتعليم وهي التي تعمق شعور المؤمن بالنور، وتسهم في إنارة الحياة.

أما المثال الثاني فينقسم إلى مشهدين: الأول صورة السراب حيث لا يصل المنحرف عن منهج الله تعالى إلى شيء ولا يهتدي إلى ما يصلحه، وكلما ظن أنه قد وصل إلى علاج لمشاكله وجد نفسه يتخبط أكثر ويُفاجأ بالخيبة، والمشهد الثاني صورة الظلام الدامس للذين لم يجعل الله لهم نوراً، أو الذين لم يستلهموا النور من الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ (٤٠).

ويأتي المثال بين الآيتين (٣٤، ٤٦): الأولى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣٤)، والآية الثانية قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٤٦)، وهذا ما استهلته به السورة في قوله تعالى: ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١).

يقول قطب معلقاً على هذه الآيات: "فآيات الله مبينة كاشفة تجلو نور الله، وتكشف عن ينابيع هداة. وتحدد الخير والشر، والطيب والخبث. وتبين منهج الإسلام في الحياة كاملاً دقيقاً لا لبس فيه ولا غموض، وتحدد أحكام

الله في الأرض بلا شبهة ولا إهمام، فإذا تحاكم الناس إليها فإنما يتحاكمون إلى شريعة واضحة مضبوطة، لا يخشى منها صاحب حق على حقه، ولا يلبس فيها حق بباطل، ولا حلال بحرام".<sup>(١)</sup>

٣. الآيات (٤٧-٥٧)، (٦٢-٦٣) تبين وجوب طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ، وتبين جزاء الطائعين ومصير العاصين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (٥٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ (٥٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٥٦)، وقوله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٦٣).

ويأتي هذا التركيز إضافة إلى كثرة ذكر صفة العليم لله تعالى في السورة، والآيات التي تشير إلى عظمة الله تعالى وقدرته وخبرته، لأن القضايا والأحكام الواردة في السورة مشتبهة على كثير من الناس لتعلقها بالشهوات، ويصعب إدراك حكمة التشريع فيها، ويكثر التفلت من الالتزام بها، فكان لا بد من التشديد على الطاعة والالتزام، وبيان أن الفلاح والنجاح يكون باتباع منهج الله ورسوله، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١٩)، وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (٤)، (٢٥٢٥)

تَكْتُمُونَ ﴿ (٢٩)، وقوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ  
حَكِيمٌ ﴿ (٥٨)، وقوله تعالى في ختام السورة: ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿ (٦٤).

ومن خلال العرض السابق يتبين لنا أن السورة سميت بالنور لأنها ترشد البشر في أكثر الأمور التباساً، وهو العلاقة بين الذكر والأنثى، وضوابط هذه العلاقة، حيث إن الالتزام بهذه الضوابط يؤدي إلى الفلاح في الدنيا والآخرة، ويُكوّن المجتمع العفيف الطاهر المنور، كما أن مخالفة هذه الضوابط يؤدي إلى الظلمات الدامسة، واستمرار حالة التخبط، وعدم الوصول إلى حلول للمشاكل الاجتماعية.

ويعقب أستاذنا لدى مراجعته للبحث على اسم السورة بقوله: "تبدأ هداية المجتمعات وصلاحها بإصلاح العلاقات الاجتماعية وضبطها ورسم معالمها من خلال الوحي الإلهي، وإذا فسدت هذه العلاقات يصعب علاج المجتمعات مهما ملكت من عوامل مادية، وهذا هو حال الغرب اليوم".

هداية الاسم:

### صلاح المجتمعات يبدأ من

تنظيم العلاقة بين الذكر والأنثى وبناء الأسرة على هداية النور الرباني

## ( ٢٢ ) سورة الفرقان

مكية عدد آياتها ٧٧، ورقمها ٢٥

يقول الأصفهاني: "الفرق يقابل الفلق لكن الفلق يقال اعتباراً بالانشقاق والفرق يقال اعتباراً بالانفصال... والفرقان أبلغ من الفرق، لأنه يستعمل في الفرق بين الحق والباطل... وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ (الأنفال، ٤١) أي اليوم الذي يفرق فيه بين الحق والباطل، والحجة والشبهة، وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَشَاءُ اللَّهُ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ (الأنفال: ٢٩)، أي نوراً وتوفيقاً على قلوبكم يفرق به بين الحق والباطل، فكان الفرقان ههنا كالسكينة والروح في غيره... والفرقان كلام الله تعالى، لفرقه بين الحق والباطل في الاعتقاد، والصدق والكذب في المقال، والصالح والطالح في الأعمال، وذلك في القرآن والتوراة والإنجيل".<sup>(١)</sup>

ويقول ابن فارس: "الفاء والراء والقاف أصل صحيح يدل على تمييز وتزييل بين شيئين".<sup>(٢)</sup>

ورد اسم السورة في الآية الأولى من السورة في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (١)، وواضح من الآية أن معنى الفرقان في السورة التي سُميت به هو القرآن الكريم، ولم تُسمَّ سورة أخرى باسم القرآن الكريم.

(١) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (٣٧٧)

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج ٢، ٣٥٠)

والفرقان هو صفة لكتاب الله تعالى، وتعني التفريق بين الحق والباطل والغواية والضلال، فهو من جهة يُظهر هذا الفرق، ومن جهة أخرى يعطي تاليه المنهجية الصحيحة والقدرة على التفريق بين الحق والباطل، وقد وردت كلمة الفرقان في القرآن ٧ مرات، خمس منها في وصف الرسالات ومنها القرآن الكريم، وهذه الآيات هي: قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان، ١)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة، ٥٣)، وقوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ (البقرة، ١٨٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۗ ﴿٣﴾ مِّن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ (آل عمران، ٣-٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (الأنبياء، ٤٨)، أما المرتان الأخريان فقد وردتا في سورة الأنفال: الأولى في وصف يوم بدر في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّفْيِ الْجَمْعَانِ ﴾ (الأنفال، ٤١)، والمرة الثانية وعد للمؤمنين أن يجعل الله لهم فرقاناً ثواباً على تقواهم في قوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَشْقُوا لَنَجْعَلَنَّ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾ (الأنفال، ٢٩).

والقرآن الكريم الذي هو الفرقان، بركة للعالمين، مصدره مالك السموات والأرض، بوساطة أشرف الخلق محمد ﷺ، وهذه هي العناصر الأربعة في عملية الاتصال: المرسل، الرسول، الرسالة، المرسل إليه، فكأنَّ السورة جاءت لتُزيل كل لبس يتعلق بالعناصر الثلاثة الأولى لتقييم الحجّة على البشر جميعاً، وتُزيل الاختلافات التي تمنع الناس من تلقي الرسالة بشكل صحيح، ثم تبين موقف

المرسل إليهم من هذه الرسالة الواضحة النقية، وتبين أن السبب الرئيس في عدم وصول الرسالة هو خلل في المستقبل لها، مع أنها تُسطرّ في نهايتها نموذجاً رائعاً لبعض المستقبلين لهذه الرسالة وكيف أثرت عليهم، وكأنها بذلك تعتبرهم خلفاً للرسول عليه السلام في توصيل الرسالة، ويظهر تركيز السورة على العناصر الأربعة السابقة من خلال ما يأتي:

١. المرسل: ركزت السورة على توحيد الله عز وجل وبيان قدرته وإظهار آياته ونعمه سبحانه وتعالى في الكون، والذي أنعم بهذه النعم هو الذي أنزل الفرقان، وقد ورد ذلك في آيات عديدة منها قوله تعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ۝٢﴾ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢-٣﴾، وقوله تعالى: ﴿نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيرًا ۝٦١﴾، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ۝٦١﴾، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِنْ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ۝٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَيْلَ لِيَأْسَوا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بِيَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسٍ كَثِيرًا ﴿٤٩-٥٠﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ۝٥٣﴾

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴿٥٣-٥٥﴾، وقوله تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ (٥٩).

٢. الرسالة: بينت السورة أن القرآن الكريم مترل من عند الله تعالى، وبينت بعض مقاصده، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٦)، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ (٣٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ (٥٠)، وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ (٥٢).

٣. الرسول: ركزت السورة على إثبات نبوة محمد ﷺ، وفندت مزاعم المشركين حول نبوته، كما بينت أن رسالته عامة للعالمين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُتُبُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ صَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَل فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴾ (٧-١٠)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ

وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ﴿٢٠﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا  
وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ  
سَبِيلًا ﴿٥٦-٥٧﴾.

٤. المرسل إليهم: تناولت السورة الحديث عن المرسل إليهم وبينت موقف  
المستهزئين من الرسالة، واستعرضت بشكل سريع بعض الأقوام السابقة التي  
كذبت الرسل عليهم السلام وذلك في الآيات (٣٥-٤٠)، كما ذكرت على  
لسان الرسول ﷺ شكواه لله من إهمال قومه للرسالة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ  
الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنِّي قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾. وظهر من السورة  
بيان وجود خلل لديهم يمنع المكذبين من استقبال الرسالة بشكل صحيح،  
ويتمثل الخلل في عدم إيمانهم بالآخرة، واستكبارهم واتباعهم الهوى، ومن  
ذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ  
سَعِيرًا ﴿١١﴾، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا  
الْمَلَكُوتُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾، وقوله  
تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٣١﴾، وقوله تعالى:  
﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَنْخُذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِنَّ كَادَ  
لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنَّ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يُرُونَ الْعَذَابَ  
مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾  
أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ

سَيِّئًا ﴿ (٤١-٤٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرْتَهُ  
 وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا اسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ  
 أَكْتَبَهَا فِيهِ نُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿ (٤-٥).

أما الآيات (٦٣-٧٦) فتتحدث عن القسم الثاني من المرسل إليهم، فهم يؤمنون  
 بالآخرة متواضعون لا يشهدون الزور تفاعلوا مع آيات الله (الرسالة) تفاعلاً  
 إيجابياً متوازناً، وتمثلوا هذه الرسالة سلوكاً في حياتهم، كما كان قدوتهم محمد  
 ﷺ خلقه القرآن. وكانوا حملة الرسالة بعد الرسول ﷺ، وأعطتهم الآيات لقب  
 عباد الرحمن تشریفاً لهم، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا  
 بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿ (٧٣)، بل إنهم يطلبون من ربهم أن  
 يجعلهم أئمة هداة للبشر في قوله تعالى: ﴿ وَأَجْعَلْنَا الْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿ (٧٤).

وكان السورة بهذا تُمايز بين أهل الكفر والإيمان، في مواقفهم وتصوراتهم  
 ومصائرهم، والفرقان تمايز يؤدي إلى تمييز، من هنا لا بد من معرفة الباطل ليتميز  
 الحق ويظهر في الذهن والسلوك والمصير.

وتلتقي خاتمة السورة مع افتتاحيتها في بيان ما يرفع الشأن عند الله ويمنع من  
 عقابه، وهو القيام بالدعوة إلى الله تعالى وإلى كتابه الفرقان الذي جاء لهداية  
 الخلق وإنذارهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْجُبُكُمْ بِكُرِّي لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ فَقَدْ  
 كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿ (٧٧).

يميز القرآن بين الحق والباطل  
ويعطي لتاليه ومتدبره القدرة على التفريق بينهما

- استهلال السورة بكلمة تبارك يشير إلى أهمية القرآن الكريم في مباركة الحياة البشرية، وتدلل هذه الكلمة على استمرار ودوام الفضل والإحسان وامتداد البركة، وقد ورد وصف القرآن الكريم بالمبارك في مواضع متعددة منها قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ (الأنعام: ٩٢)، وقوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ (الأنعام: ١٥٥)، وقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ (ص، ٢٩).

## (٢٣) سورة الشعراء

مكية عدد آياتها ٢٢٧، ورقمها ٢٦

ورد اسم السورة في الآيات الأربع الأخيرة من السورة في قوله تعالى:  
﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ  
مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ  
بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ۗ وَسِعَعَهُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٤-٢٢٧﴾، ولم يرد في  
السورة ذكر للشعراء إلا في هذه الآيات، ولكن المتأمل لهذه الآيات يجد أن لها  
علاقات وثيقة مع موضوعات السورة، وتظهر هذه العلاقة في الأمور الآتية:

١. (الشعراء) هم أشخاص يمتلكون قدرة عالية على تشكيل الكلمات، أو كما  
يقال "التلاعب فيها"، فهم فرسان الكلمة، ويمكنهم أن يوظفوا هذه القدرة  
في التأثير على الآخرين، ومعظم السورة تنقل لنا حوارات الأنبياء عليهم  
السلام مع أقوامهم، والأنبياء هم أشخاص يُوحى إليهم بكلمات من الله  
تعالى، ويحاولون من خلالها التأثير على أقوامهم من أجل تغيير تصورات  
باطلة باتجاه الحق، ولم تُسمَّ السورة بالأنبياء مع أنهم فرسان الكلمة الحق،  
لأن ذهن الإنسان المتدبر لن يتجه إلى هذا الجانب عند الأنبياء.

وقد ركزت السورة على أئمة الغواية من الأمم، كما أنها أطالت أحياناً في  
ذكر بعضها، للإشارة إلى أنه كلما كانت الأمم أعلى فكرياً وأكثر حضارة  
يكون تأثير الكلمة عليهم أكثر، وبالتالي يجتهد أئمتهم في الرد على الأنبياء  
والإطالة في مناقشتهم من أجل محاولة إبطال كلمة الحق، وقد كان ذلك

واضحاً في طول الحوار بين سيدنا موسى مع فرعون حيث دار حوار طويل في الآيات (١٦-٣٧)، فقد كان الفراعنة أصحاب حضارة، أما قصة سيدنا لوط فقد انعدم الحوار من طرف قومه، ولم يذكر التاريخ أنهم أصحاب حضارة، وكان ردهم بالتهديد والوعيد، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَه يَلُوطَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴾ (١٦٧).

٢. الآيات التي ورد فيها اسم السورة تعمل على توضيح منهج الشعراء، أي المنهج المقابل لمنهج الحق (منهج الأنبياء)، ويتصف منهج الشعراء بالسلمات الآتية:

- أتباعهم (الغاوون)، فأسلوب الشعراء يتفاعل معه الغاوون والمنحرفون، ويجدون فيه متنفسهم، وليس بالضرورة أن يكونوا هم القادة، وأهل الضلال يوظفون الكلمة في التأثير لمواجهة الحق، والملاحظ أن هذه اللفظة تكررت في السورة ٣ مرات ولم ترد في غير هذه السورة.

وقال الشنقيطي: "ما ذكره الله تعالى في هذه الآية الكريمة في قوله ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ يدل على تكذيب الكفار في دعواهم أن النبي ﷺ شاعر، لأن الذين يتبعهم الغاوون لا يمكن أن يكون النبي ﷺ منهم".<sup>(١)</sup>

- الشعراء يهيمون في كل واد، وهذا يدل على أن استخدامهم للكلمات هو استخدام زحرفي إضلالي، ويقوم كلامهم على المبالغة والكذب،

(١) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي (ج٦، ١٠٤)

واستخدام كلمة (واد) فيه إشارة إلى أنهم لا يدركون أين تقودهم كلماتهم، وأنهم غير مستبصرين للمآلات، فهم في نزول وانحدار.

• ومن صفات الشعراء الخطيرة: أنهم ﴿ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٢٢٦)، أي أن كلامهم غير مطابق للواقع، سواء في حديثهم عن الماضي أو الحاضر أو المستقبل، وهذا يتعارض مع منطق الدين القائم على الموضوعية والصدق الذي تؤكد آيات كثيرة في كتاب الله تعالى منها قوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ ﴿٢﴾ كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿ (الصف، ٢-٣).

٣. استنتجت الآيات المذكورة من الذم الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون من ذكر الله تعالى، ويكون أكثر أشعارهم في التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته، وإن استخدموا الهجاء فإنما يريدون به الانتصار ممن هجا المسلمين، ومن هؤلاء الشعراء المؤمنين: عبد الله بن رواحة، وحسان بن ثابت، والكعبان، وقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان: "إن روح القدس لا يزال يؤيدك، ما نافحت عن الله ورسوله".<sup>(١)</sup> وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لحسان: "اهجهم أو هاجهم، وجبريل معك".<sup>(٢)</sup>

(١) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري (حديث ٢٤٩٠، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل حسان بن ثابت).

(٢) صحيح البخاري، محمد اسماعيل البخاري (حديث ٣٢١٣، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم).

وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب أن كعب بن مالك حين أنزل الله تبارك وتعالى في الشعر ما أنزل أتى النبي ﷺ فقال: إن الله تبارك وتعالى قد أنزل في الشعر ما قد علمت ؛ وكيف ترى فيه؟ فقال النبي ﷺ: "إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه"<sup>(١)</sup>.

ويأتي استثناء شعراء العقيدة والفكر لأن الآيات تريد أن تؤسس لقاعدة مهمة وهي أن المشكلة لا تكمن في الملكات التي وهبها الله للإنسان، وإنما في كيفية توظيف هذه الملكات، فالملكات يمكن توظيفها في الأمور الإيجابية أو السلبية، فإما أن تكون غواية وإضلالاً، أو أن تكون هداية وإصلاحاً.

يقول قطب في تعليقه على الآيات: "فالإسلام لا يحارب الشعر والفن لذاته، كما قد يُفهم من ظاهر الألفاظ. إنما يحارب المنهج الذي سار عليه الشعر والفن. منهج الأهواء والانفعالات التي لا ضابط لها، ومنهج الأحلام المهومة التي تُشغل أصحابها عن تحقيقها. فأما حين تستقر الروح على منهج الإسلام، وتنضح بتأثيراتها الإسلامية شعراً وفناً، وتعمل في الوقت ذاته على تحقيق هذه المشاعر النبيلة في دنيا الواقع، ولا تكتفي بخلق عوالم وهمية تعيش فيها، وتدع واقع الحياة كما هو مُشوَّهاً مُتخلفاً قبيحاً. وأما حين يكون للروح منهج ثابت يهدف إلى غاية إسلامية، وحين تنظر إلى الدنيا فتراها من زاوية الإسلام، ثم تُعبّر عن هذا كله شعراً وفناً. فأما عند ذلك فالإسلام لا يكره الشعر ولا يحارب الفن، كما يفهم من ظاهر الألفاظ. ولقد وجه القرآن

(١) السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الألباني (حديث ١٦٣١).

العقول والقلوب إلى بدائع هذا الكون، وإلى خفايا النفس البشرية. وهذه وتلك هي مادة الشعر والفن. وفي القرآن وقفات امام بدائع الخلق والنفس لم يبلغ إليها شعر قط في الشفافية والنفاز والاحتفال بتلك البدائع وذلك الجمال".<sup>(١)</sup>

٤. تبدأ السورة بالإشارة إلى آيات الكتاب المبين، ثم تطلب من النبي ﷺ ألا يهلك نفسه غمًا بسبب إعراض الكفار واستهزائهم، وأن الله تعالى لو أراد لأنزل آية - كما كان للسابقين - تبهرهم، ولكن الحكمة الربانية اقتضت أن تكون معجزة الإسلام هذا القرآن العظيم معجزة فكرية أقوى تأثيراً من المعجزات المادية التي كانت للرسول عليهم السلام، وقد تناولت آيات كثيرة في السورة الحديث عن القرآن الكريم وبيان بطلان مزاعم الكافرين عنه، كما قال البيضاوي: "وكأنه لما كان إعجاز القرآن الكريم من جهة اللفظ والمعنى، وقد قدحوا في المعنى بأنه مما تنزلت به الشياطين، وفي اللفظ بأنه من جنس كلام الشعراء، تكلم في القسمين وبين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول ﷺ لحال أرباهما".<sup>(٢)</sup>

فقد اتهم المشركون النبي عليه السلام بأنه شاعر في قوله تعالى نقلاً عنهم: ﴿بَلِ أَفْتَرْتَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ (الأنبياء ٥)، وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آيَاتُنَا لَنَارِكُوهَا أَلْهَتَنَا لِشَاعِرٍ تَجْتُنُومِ﴾ (٣٦) ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الصافات، ٣٦-٣٧)،

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج ٥، ٢٦٢١)

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (ج ٢، ١٦٩)

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّبَّيْنَا بِهِ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (الطور، ٣٠)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا نُنُومُونَ ﴾ (الحاقة، ٤١)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴾ (يس، ٦٩)، وكثير من المفسرين حملوا هذه الآيات على أنهم رموه بكونه آتياً بشعر منظوم مُقَفَّى، وقال بعضهم لم يقصدوا هذا المقصد بما رموه به وذلك أنه ظاهر من الكلام أنه ليس على أساليب الشعر، وإنما رموه بالكذب، والشاعر هو الكاذب، وقد قيل: أحسن الشعر أكذبه.

كما كان سائداً في الجاهلية الاعتقاد بوجود شيطان يُلهم الشعر وهو ما يسمى (شيطان الشعر)، فجاءت الآية الكريمة (٢١٠) لتنفى هذا الاعتقاد عن القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَزَّلْنَا بِهِ الشَّيْطَانُ ﴾، وفي المقابل ذكرت السورة أن الشياطين لها علاقة بالمنحرفين من الشعراء وغيرهم، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ هَلْ أُنبِئُكُمْ عَلَىٰ مَن نَّزَّلُ الشَّيْطَانُ ﴿٣١﴾ نَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾.

فالسورة كما يقول الرازي: "ذكر في هذه السورة ما يزيل الحزن عن قلب الرسول ﷺ من الدلائل العقلية وأخبار الأنبياء المتقدمين، ثم ذكر الدلائل على نبوته عليه السلام".<sup>(١)</sup>

(١) التفسير الكبير، الرازي (ج ١٢، ١٧٧)

ويقول البقاعي: "وتسميتها بالشعراء أدل دليل على ذلك بما يفارق القرآن الشعر من علو مقامه، واستقامة مناهجه، وعز مرامه، وصدق وعده ووعيده، وعدل تبشيريه وتهديده".<sup>(١)</sup>

٥. تكرر في السورة التركيز على السحر واستخدامه في عداء الدين واتهام الرسل به وقد ورد ذلك في قصص (موسى، وشعيب، وثمود)، والشعر يقوم على الخيال كالسحر.

ولقد كان المشركون عندما يسلم أحدهم يقولون: سحرك محمد، وكأنهم يعتبرون تأثير القرآن كالسحر.

وأضاف أستاذنا لدى مراجعته للبحث معنى إضافياً من الآيات التي ورد فيها اسم السورة: "إن الشعراء المؤمنين يوظفون شعرهم في الحق، كما يمكن لهم في لحظة الانتصار من الظالمين الهجاء بطريقة تشبه فعل الشعراء، أو السفه عند الرد على الظلم، وذلك بناءً على قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ (النساء، ١٤٨)".

هداية الاسم:

التنبية إلى خطورة الكلمة ووسائل الإعلام وأثرها في الناس

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (ج، ٥، ٣٤٤)

## (٢٤) سورة النمل

مكية عدد آياتها ٩٣، ورقمها ٢٧

يقول ابن فارس: "النون والميم واللام كلماته تدل على تجمع في شيء وصغر وخفة. منه النمل: جمع نملة".<sup>(١)</sup> ويقول الحلبي: النملة واحد النمل، وهو هذا الحيوان المعروف يقع على الذكر والأنثى".<sup>(٢)</sup> ويقول الأصفهاني: "تنمل القوم تفرقوا للتجمع تفرق النمل، ولذلك يقال أجمع من نملة".<sup>(٣)</sup>

واسم هذه السورة العظيمة هو باسم حشرة صغيرة، وهي آية من آيات الله تعالى، ومن عجائب خلقه سبحانه، وقد ورد ذكر اسم السورة في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمَلَةٌ يَتَأْتِيهَا النَّمْلُ أُدْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٨)، وكأن الله عز وجل يريد أن يلفت النظر إلى آياته، صغيرها وكبيرها، التي تهدي إلى الله الخالق، والملاحظ أن السورة كما يقول أستاذنا: "تركز على فكرة الهداية، فما حول الإنسان إما مهتد كالنمل والهدهد والدابة التي تخرج من الأرض، أو يهدي إلى الله تعالى من الخلق والآيات المبتوثة في الكون"، كما يلفت اسم السورة النظر إلى هذا المجتمع المنظم حيث قال الحلبي: "يسمى بيت النملة قرية".<sup>(٤)</sup>

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٥٨٤)

(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف الحلبي (ج٤، ٢٥٧):

(٣) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (٥٠٦)

(٤) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف الحلبي (ج٤، ٢٥٧)

أما الدلالة الأولى لاسم السورة: وهي الاهتداء بآيات الله إلى الخالق سبحانه فتظهر في العرض الآتي للسورة:

١. بدأت السورة بالحديث عن الكتاب المبين الموضح لآيات الله في النفس والكون، وهو من لدن حكيم عليم أتقن وأبدع هذه الآيات المقروء منها والمنظور.

٢. ثم تحدثت السورة عن قصة موسى عليه السلام وكان التركيز فيها على الآيات التي أعطاهها الله لموسى عليه السلام لتكون هداية للناس، ولكن فرعون وقومه جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً (الآيات ٧-١٤).

٣. ثم تناولت السورة قصة سليمان عليه السلام الذي ورث أباه داود عليه السلام وقد آتاهما الله العلم، وتستعرض القصة آيات الله سبحانه ونعمه على سليمان عليه السلام، فكان الشاكر والذاكر والداعي إلى الهداية إلى الله عز وجل، لتنتهي القصة بإسلام بلقيس وقومها مع سليمان عليه السلام لله رب العالمين، بعد أن أدركوا أن الشمس والقمر التي كانوا يعبدونها هي آيات دالة على وجوده سبحانه، وكان ذلك في الآيات (١٥-٤٤).

٤. ثم تحدثت السورة في الآيات (٤٥-٥٨) عن نموذجين من الأقوام السابقة من الذين لم يهتدوا إلى الله تعالى، وصفهم الله في بداية السورة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَتًا لَّهُمْ أَعْمَلُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٤)، فتحدثت عن قتل قوم ثمود للناقاة التي هي آية الله التي جاء بها صالح عليه السلام، كما تحدثت عن قوم

لوط الذين يخالفون الفطرة البشرية بما يفعلون، وفي القصتين كان الإنجاء للمؤمنين وتدمير الظالمين.

٥. وقد تناولت الآيات (٥٩-٦٥) عبر أسئلة استنكارية إظهار قدرة الله تعالى من خلال خلق السموات وإنزال الماء، وإجابة الدعاء وهداية السائلين وغيرها من عجائب الخلق والقدرة، وأن ذلك كله بحوله وقوته سبحانه وحده ولا شريك له.

٦. وقد تناولت الآية (٨٢) من السورة الحديث عن آية من آيات الله وعلامة كبرى من علامات الساعة، وهي الدابة التي تخرج من الأرض تكلم الناس مستنكرة إعراضهم عن آيات الله، وأياً كانت هذه الدابة التي لم يرد نص صحيح في وصفها، وإن كنا نظن أنها قد تكون نملة، لوجود هذه الآية في سورة النمل والتي تحدثت فيها نملة، ولبیان الآية أن هذه الدابة من الأرض، والله أعلم.

٧. وتُختتم السورة بخاتمة مؤكدة على كل ما سبق، وأن آيات الله ستتوالى للبشر مقيمة الحجة عليهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٩٣).

أما الدلالة الثانية من الاسم وهي: الإشارة إلى البناء المجتمعي السليم، فتظهر في الآتي:

١. قصة النملة الحارسة، التي تراقب الطريق وتبعث برسالة واضحة إلى مجتمعها تحذرهم، فهم مجتمع متعاون منظم، كما يظهر في القصة أن للنمل مساكن يبنونها تصلح للاحتماء والبعد عن المخاطر.

٢. تركز السورة على العلم بشكل واضح، فالعلم هو أساس بناء المجتمعات وتنظيمها، وقد ورد ذكر العلم بشكل لافت في السورة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَلتَّلَقَى الْقُرْآنَاتِ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (٦)، فالقرآن أساس لبناء المجتمعات فهو من الله العليم الحكيم، كما تشير الآيات إلى علم سليمان وداود عليهما السلام: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ (١٥)، وقوله تعالى على لسان سليمان عليه السلام: ﴿وَقَالَ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾ (١٦)، وفي وصف الآيات للقادر على نقل عرش بلقيس بأنه: ﴿الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ (٤٠)، كما ذكرت آيات أخرى قلة علم الكفار كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ يَّجْهَلُونَ﴾ (٥٥)، وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦١)، وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ (٦٦)، وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا﴾ (٨٤)، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (٧٤-٧٥).

٣. وقد ورد في السورة ذكر مجتمع سبأ المتعاون القائم على البناء المؤسسي والتشاور، وكان ذلك من أسباب قوتهم فقد وصفهم الله تعالى بقوله على

لسان الهدهد: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمَلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٣)، وقالوا عن أنفسهم: ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَيِّ شَيْءٍ﴾ (٣٣).

٤. كما تطرقت الآيات للحديث عن قوم ثمود بقوله تعالى: ﴿فَتَلَّكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِبَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾ (٥٢)، مع أنهم تعاونوا معاً على الشر كما قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ (٤٨) قالوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ (٤٨-٤٩)، فكان تعاونهم على الظلم والفساد سبباً في تدمير الله تعالى لهم.

وهناك لفظة لطيفة لأستاذنا لدى مراجعته للبحث في التفريق بين النمل والنحل في القرآن الكريم فيقول: "واضح من ذكر النمل والنحل أن النمل أكثر إدراكاً من النحل، فقد ورد في النحل ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ (النحل: ٦٨)، فما يفعله النحل هو بإرشاد مباشر من الله تعالى، ولكن في قصة النملة التي عرضها القرآن الكريم في سورة النمل لم تُشر الآيات إلى الوحي المباشر، بل إنها تُشير بوضوح إلى مستوى عالٍ من الفهم حيث أدركت النملة أن هذا سليمان وأن هؤلاء جنود، وهي تتوقع أنهم سيحطمون النمل خارج مساكنه وهم لا يشعرون، فهي قد أدركت أنهم لا ينوون الإيذاء ولا يقصدونه، ثم هي تتصرف بطريقة اجتماعية راقية حيث تهتم بمجتمعها وتحرص عليه، وقد ذكرت النملة مُنكرةً للدلالة على أنها ليست ملكة القرية، وإنما نملة عادية".

هداية الاسم:

الاهتداء بآيات الله تعالى إلى الخالق، وبناء المجتمع المنظم المتعاون

## (٢٥) سورة القصص

مكية عدد آياتها ٨٨، وترتيبها ٢٨

يقول الأصفهاني: "قصص: القص تتبع الأثر، يقال قصصت أثره والقصص الأثر، قال: ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ (الكهف، ٦٤)، ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهٗ﴾ (القصص، ١١)، ومنه قيل لما يبقى من الكلا فَيُتَّبَعُ أثره قصيص، وقصصت ظفره، والقصص الأخبار المتبَّعة، قال: ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ (آل عمران، ٦٢)، ﴿فِي قِصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾ (يوسف، ١١١)، ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ (القصص، ٢٥)، والقصاص تتبَّع الدم بالقود".<sup>(١)</sup>

ويقول ابن فارس: "القاف والصاد أصل صحيح يدل على تتبع الشيء. ومن ذلك قولهم اقتصصت الأثر، إذا تتبعته، ومن ذلك اشتقاق القصاص في الجراح، وذلك انه يُفعل به مثل ما فعل بالأول فكأنه اقتص أثره، ومن الباب القصة والقصص كل ذلك يُتَّبَعُ فيذكر".<sup>(٢)</sup>

ويقول المصطفوي: والتحقيق أن الأصل الواحد في المادة: هو رواية واقعة جارية مضبوطة بأي وسيلة كانت، قراءة أو سماعاً، على ما طابق الواقع. وإلى هذا الأصل يرجع مفاهيم- الخبر، الحديث، الأمر، الرواية، التتبع، الإيراد، الأثر، الشأن، الذكر".<sup>(٣)</sup>

(١) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (ص ٤٠٤)

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج ٢، ٣٦٣)

(٣) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج ٩، ٣٠٤)

ورد اسم السورة في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۗ نَجَّوْتَهُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢٥)، فالقصص المقصود بها في السورة على ما يبدو هي ما حدث مع موسى عليه السلام مما ذكرته السورة قبل هذه الآية، وتمثل في قصة ولادته، ونجاته من فرعون، ووجوده في القصر حتى بلغ أشده، ثم قتله للفرعوني عند نصره للذي استغاثه من شيعته، وقصة خروجه خائفاً من مصر باتجاه مدين. وعلى الرغم من كثرة الحديث عن موسى عليه السلام في القرآن الكريم فإن هذه القصص لم تُذكر بهذا التفصيل إلا في هذه السورة، وقد ذكرت في غير هذه السورة فقط في سورة طه بشكل مختصر في سياق تذكير موسى عليه السلام بنعم الله تعالى عليه، في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ، وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ، فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ وَقَلَّتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسَّىٰ ﴿٤٠﴾ وَأَصْطَنَعَكَ لِنَفْسِي ﴾ (طه: ٣٧-٤١).

وقد استغرقت قصة موسى عليه السلام في المراحل المختلفة معظم السورة وذلك في الآيات (١-٤٦)، كما كانت قصة قارون التي ترتبط بموسى عليه السلام بشكل أو بآخر في الآيات (٧٦-٨٤).

وتتضمن الآية التي ورد فيها الاسم تحقق الأمن لموسى عليه السلام من أعدائه وانفتاح الأبواب أمامه بشكل كريم ورعاية ربانية، كما أن القصص الواردة في السورة، المذكورة قبل الآية، تتضمن الرعاية الربانية والتهيئة الإلهية لأنبيائه.

يقول قطب في التعقيب على قصة موسى عليه السلام في السورة: "فساق الله إليهم في هذه السورة قصة موسى وفرعون، تبين لهم أين يكون الأمن وأين تكون المخافة، وتعلمهم أن الأمن يكون في جوار الله، ولو فقدت كل أسباب الأمن الظاهرة التي تعارف عليها الناس، وأن الخوف إنما يكون في البعد عن ذلك الجوار ولو تظاهرت أسباب الأمن الظاهرة التي تعارف عليها الناس. وساق لهم قصة قارون تقرر هذه الحقيقة في صورة أخرى تؤكدتها".<sup>(١)</sup>

فيبدو أن السورة تدور حول فكرة أن اتباع هدي الله يستجلب عناية الله ومعيته، وتكون له العاقبة الطيبة في الدنيا والآخرة، وأن الإفساد والطغيان سبب للهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة.

أولاً: مظاهر عناية الله ومعيته والعاقبة الطيبة في السورة:

١. الآيات (٣-١٣) التي تروي قصة نجاة موسى عليه السلام من فرعون، بل وإكرام فرعون له في قصره سنوات طويلة. كما تروي الآيات إرجاع الله تعالى موسى لحضن أمه التي امتلأت خوفاً عليه لتكون كافلة له ومرضعة مدفوعة الأجر من فرعون. ويعقب قطب على هذه الافتتاحية لقصة موسى

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج٥، ٥٥، ٢٦٧٥)

عليه السلام بقوله: "ولا تبدأ مثل هذا البدء في أية سورة أخرى من السور الكثيرة التي وردت فيها. ذلك أن الحلقة الأولى من قصة موسى، والظروف القاسية التي ولد فيها، وتجرده في طفولته من كل قوة ومن كل حيلة، وضعف قومه واستذلالهم في يد فرعون.. ذلك كله هو الذي يؤدي هدف السورة الرئيسي، ويبرز يد القدرة سافرة متحدية تعمل وحدها بدون ستار من البشر".<sup>(١)</sup>

٢. الآية (١٤) تذكر بوضوح عناية الله تعالى لموسى عليه السلام وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَسْتَوَىٰ ۖ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝﴾.

٣. الآيات (١٥-٢٢) تذكر قصة قتل موسى عليه السلام للفرعوني، وفي ثنايا القصة مغفرة الله لموسى عليه السلام، وهيئة الرجل الذي جاءه من أقصى المدينة ليخبره بتأمر الملأ عليه، كما تبرز استعانة موسى عليه السلام بربه وطلب المغفرة والهداية.

٤. الآيات (٢٣-٢٨) تذكر هروب موسى والتجائه إلى مدين، ويتضح خلال سرد القصة التهيئة الربانية لنبيه موسى عليه السلام، وتأمينه له وتنجيته من القوم الظالمين، وهيئة أهل بيت صالح يقيم معهم، وانخراطه عليه السلام في العمل ورعي الغنم لسنوات عديدة، لتكون هذه الفترة بمثابة تهيئة وإعداد للرسالة. يقول قطب معقباً على الآيات: "فشاءت القدرة التي تنقل خطى

(١) المصدر السابق (ج ٥، ص ٢٦٧)

موسى عليه السلام أن تخفض مما اعتادته نفسه من تلك الحياة، وأن تزجَّ به في مجتمع الرعاة، وأن تجعله يستشعر النعمة في أن يكون راعي غنم يجد القوت والمأوى، بعد الخوف والمطاردة والمشقة والجوع، وأن يترع من حسه روح الاشمزاز من الفقر والفقراء، وروح التأفف من عاداتهم وأخلاقهم وخشونتهم وسذاجتهم، وروح الاستعلاء على جهلهم وفقرهم وورثاة هيتهم ومجموعة عاداتهم وتقاليدهم. وأن تلقي به في خضم الحياة كبيراً بعد ما ألفت به في خضم الأمواج صغيراً، ليمرن على تكاليف دعوته قبل أن يتلقاها".<sup>(١)</sup>

٥. الآيات (٢٩-٣٥) تتحدث عن لحظة التكليف بالرسالة خلال عودة موسى عليه السلام من مدين، ويبرز في الآيات تطمين الله تعالى لموسى عليه السلام، وتأييده بالآيات الباهرة ودعمه له بهارون مسانداً، ووعدته لنيبه بالغلبة والتمكين والرعاية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَمْوَسَّىٰ أَقِيلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مُدْبِرٌ مِّنَ الْأَمِينِ﴾ (٣١)، وقوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ مَلَأْنَا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيْدِينَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ (٣٥).

٦. بيان تأمين الله تعالى لأهل مكة في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ (٥٧).

(١) المصدر السابق (ج٥، ٢٦٩١)

٧. الآيات (٨٥-٨٨) تطمين بالنصر والتمكين، والتوجيه للثبات على منهج الله تعالى فهو الموصل إلى المبتغى والخير في الدنيا والآخرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ (٨٥)، ففي الآية وعد للرسول ﷺ بالنصر والرجوع إلى مكة، حيث نزلت هذه الآية وهو في طريقه مهاجراً إلى المدينة.

ثانياً: المواضع في السورة التي تبين هلاك المفسدين والطغاة:

١. الآيات (٣٦-٤٢) تستعرض بشكل موجز مرحلة المواجهة مع فرعون، وتبين النتيجة التي آل إليها فرعون وجنوده ونهاية الظلم والإفساد، وهذا الإيجاز فيه إشارة لهوان أعداء الله تعالى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (٣٧)، وقوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاظْمُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ (٤٠)، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ (٤١).

٢. الآيتان (٥٨-٥٩) تظهران قانون التدمير للقوى بسبب ظلم أهلها واستنكافهم عن آيات الله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَنَلِكْ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيْلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ (٥٨) وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا ينلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون.

٣. الآيات (٧٦-٨٤) قصة قارون، والقصة إضافة إلى أهدافها التربوية العميقة في موازين التفاضل والقيم، فهي تؤكد بشكل واضح على أن المال والغنى مهما بلغ ليس هو سبيل الأمان والحماية، بل إن دوام هذا المال مرتبط بقدر ما يشكر الإنسان لربه المنعم، ويؤدي حق الله فيه، ولا يستخدمه في الطغيان. وجاء في القصة على لسان المتمنين لمثل غنى قارون بعدما رأوا نهايته:

﴿ وَيَكَاَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٨٢)، كما عقب الله على قصة قارون بقوله:

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ (٨٣).

ولتأكيد المعنى الذي تدور حوله السورة وهو أن اتباع هدي الله يستجلب عناية الله ومعيته، وتكون له العاقبة الطيبة في الدنيا والآخرة، وأن الإفساد والطغيان سبب للهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة، فإن آيات عديدة من السورة تؤكد على أن الله سبحانه وتعالى هو وحده الذي يملك مطلق التصرف في هذا الكون، وهو وحده القادر على حماية أوليائه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (٥٦)، وقوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾ (٦٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٦٨-٧٠).

وتأتي خاتمة السورة منسجمة مع مطلعها للتأكيد على أن الله تعالى اليد المطلقة في الكون ومصائر الخلق وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٨٨).

ويضيف أستاذنا لدى مراجعته للبحث بناءً على المعنى اللغوي للقص وهو التتبع فيقول: "إن السورة فيها تتبع لمسيرة موسى عليه السلام من ميلاده إلى نهاية علاقته مع المدعويين، وجاءت الأحداث فيها متتابعة مرتبة في حلقات مترابطة، وهذا الأمر غير ملحوظ في القصص القرآني بشكل عام وقصة موسى عليه السلام في القرآن، فالعادة يكون التركيز على مرحلة ما للعبارة والفائدة بما يتناسب مع سياق السورة والآيات التي وردت فيها، أو تُذكر القصة مع كثير من ترك مساحات دون الحديث عنها، وقد ركزت المواضع الأخرى التي ذكرت قصة موسى عليه السلام على علاقته مع الأتباع من بني إسرائيل، كما فصلت في الحوار الذي جرى مع فرعون.

وقد يكون في ذلك أن هذه السورة تكاد تكون المركزية في الدروس والعبر التي يمكن الاستفادة منها، وأن في قصة موسى عليه السلام عناصر يمكن تطبيقها في عصرنا في التعامل مع الطغاة".

كما يشير أستاذنا إلى "أن تجربة موسى عليه السلام مع قومه كانت تجربة مختلفة عن السابقين، حيث كانت الدعوة فيها موجهة ابتداءً إلى الدولة، وعندما كان الهلاك كان لهذه الدولة ولم يكن هلاكاً عاماً، وبالتالي فقد يكون أثرها متتابعاً في الأمم يمكن الاستفادة منه".

التاريخ يؤكد أن من كانت قوة الله معه فلا خوف عليه،  
ولو كان مجرداً من كل مظاهر القوة، ومن تمثل قيم الإيمان فله الخير كله

## (٢٦) سورة العنكبوت

مكية عدد آياتها ٦٩، ورقمها ٢٩

العنكبوت هي الحشرة المعروفة، وقد ورد اسم السورة في الآية (٤١) في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ أَخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾. وقد تناولت السورة مواضيع عدة، فما علاقة الاسم بمواضيع السورة؟ وما دلالاته؟

عند دراسة الآية التي ورد فيها الاسم يلاحظ أن المثل الذي ضربه الله تعالى يشير إلى ضعف العلاقات القائمة على غير الدين، وأن بناء المشركين الاجتماعي واه عرضة للتمزق، ويعود سبب ضعف البناء الذي يقوم على موالة غير الله تعالى إلى أن الارتباط فيه مصلحي، كما أنه يقوم على اعتقادات باطلة، فالكفار يظنون أولياءهم أقوىاء مدركين للحقائق ويملكون لهم الرزق، ولكنهم في الحقيقة ضعاف ليس لهم من ذلك شيء.

والناظر لمواضيع السورة يجد أن معظمها يشير إلى أن النجاح والقوة في موالة الله، والضعف والخسران في موالة غير الله، ويظهر ذلك من خلال العرض الآتي:

١. الآيات (١-١٣) استهلّت بقانون الفتنة للمؤمنين لتمييز الصادقين والصابرين

والموالين لله بقوله تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ

﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (٢-٣)،

كما طمأنت الآيات المؤمنين الموالين لله بتحقيق وعد الله تعالى والجزاء الحسن

لهم، ونهت عن طاعة الوالدين في معصية الله تعالى، فالطاعة صورة من صور الموالاة.

٢. تحدثت الآيات (١٥-٤٠) عن قصص السابقين، وذكر فيها دروس من المحن والابتلاء للأنبياء عليهم السلام وما لاقوه من شدة وأهوال في سبيل تبليغ رسالة الله تعالى، حيث ركزت قصة نوح عليه السلام المختصرة (١٤-١٥) على طول الفترة الزمنية التي دعا فيها قومه ثم كان مصيرهم الهلاك للإشارة إلى عناد المشركين، كما ركزت قصة إبراهيم عليه السلام (١٦-٢٧) على دعوته قومه لعبادة الله تعالى الرازق المنعم المبدئ للخلق، وأن ما يعبدون من دون الله تعالى لا يملكون شيئاً، كما أشارت إلى مكر الكافرين به وإنجاء الله له، ثم كانت قصة لوط عليه السلام (٢٨-٣٥) مع قومه التي ركزت على إهلاك قومه وإنجائه من العذاب باستثناء زوجته التي لم ترتبط معه برباط العقيدة، ثم تحدثت الآيات (٣٦-٤٠) باختصار عن إهلاك الله لمدين وعاد وثمود وقارون وفرعون وهامان.

ويبدو أن الآيات تُشير إلى أن من ارتبط بالله عز وجل وكان منسجماً مع الحق نجحاً حتى لو كان فرداً، وأن من ارتبط بغير الله تعالى وقامت علاقته على الباطل اندثر ولو كان أمة قوية كعاد وثمود وفرعون وجنوده، وأما في الآخرة فقد ورد في السورة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ (٢٥).

٣. تناولت آيات السورة بعد المثل المسوغات التي تستوجب موالاته المؤمن لربه، وأن ذلك هو طريق النجاة والفلاح، ومن هذه المسوغات:

• الله تعالى هو مثل الكتاب هداية للبشرية، وذلك واضح في الآيات (٤٥-٥١)، ومنها قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يَكْفِيهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥١).

• الله الرازق، وذلك في الآيات (٥٦، ٦٠، ٦٢، ٦٧)، كقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ (٦٠)، وقد سبق في حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ (١٧).

• الله الخالق المسيطر على الكون بعلمه وقدرته، في الآيات (٢٠، ٤٤، ٤٥، ٥٢-٥٥، ٥٧، ٦١-٦٣، ٦٥-٦٦)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٠)، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُم مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ سَخِرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لِقَوْلِ اللَّهِ فَإِنِّي يُوقِفُونَ﴾ (٦١)، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٥٧)، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٦٢).

• الآخرة هي معيار السعادة والفلاح وهي الحياة الحقيقية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٦٤).

• وكانت خاتمة السورة متناسقة مع افتتاحيتها حيث بينت النتيجة الحيرة التي يصل إليها الناجحون في الامتحان، والوعد لهم بالمعية في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦٩).

يقول ابن عاشور عن السورة: "أغراض هذه السورة تثبيت للمسلمين الذين فتنهم المشركون وصدوهم عن الإسلام أو عن الهجرة مع من هاجروا. ووعد الله بنصر المؤمنين، وخذل أهل الشرك وأنصارهم وملقنهم من أهل الكتاب. والأمر بمحافة المشركين والابتعاد عنهم ولو كانوا أقرب القرابة. ووجوب صبر المؤمنين على أذى المشركين، وأن لهم سعة في الأرض ما ينجيهم من أذى أهل الشرك. ومجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن ما عدا الظالمين منهم للمسلمين. وأمر النبي ﷺ بالثبات على إبلاغ القرآن وشرائع الإسلام. والتأسي في ذلك بأحوال الأمم التي جاءتها الرسل، وأن محمداً ﷺ جاء بمثل ما جاؤوا به...".<sup>(١)</sup>

هداية الاسم:

ولاية الله تعالى فيها القوة والفلاح في الدنيا والآخرة، وما عداها واه وزائل

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (م)، ج ٢٠١، ٢٠١.

• ورد في مواضع كثيرة في القرآن الكريم الإشارة إلى ضعف الآلهة التي يتخذها  
المشركون من دون الله تعالى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا  
يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا  
دُشُورًا﴾ (الفرقان: ٣)، وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ  
نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِتْنَا يُصْحَبُونَ﴾ (الأنبياء، ٤٣)، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ أَدْعُوا  
شُرَكَاءَ كُمُ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١١٥﴾ إِنَّ إِلَهِي اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١١٦﴾  
وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَبْصُرُونَ ﴿١١٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ  
إِلَى الْهَدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ١٩٥-١٩٨).

## (٢٧) سورة الروم

مكية عدد آياتها ٦٠، وترتيبها ٣٠

السورة في ظاهرها ليست تعريفاً بالروم، أو تاريخاً لماضيهم، وإنما هي تذكر هزيمتهم على يد الفرس، والذين لم يُذكروا في السورة، وأنهم سينتصرون على أعدائهم خلال سنوات معدودة، ولم تتحدث السورة عن الروم وقصتهم بعد الايات الأولى منها، فلماذا تسمى السورة بالروم؟

عند استعراض الآية (٢) التي ورد فيها اسم السورة، وهي المرة الوحيدة التي يُذكر فيها الروم في القرآن الكريم، فس نجد أنها تتكون من كلمتين ﴿غَلِبَتِ الرُّومُ﴾ ، وهذا ما قد يشير إلى أن السورة تدور حول فكرة انهزام الروم، وبعبارة أخرى قد تكون تحليلاً للعوامل التي أدت أو تؤدي إلى انهزام الروم، أو أنها تشير إلى عوامل انتصار المؤمنين على الروم.

ويلفت النظر أن الآيات التي تناولت الحدث وعدت بغلبة الروم على الفرس، ولكنها وعدت بالنصر للمؤمنين، والذي كان في بدر كما تؤكد الدراسات التاريخية، وفرق بين الغلبة والنصر، فالغلبة محدودة، ولكن الانتصار هو الأشمل والأعظم، فالانتصار هو علو الفكرة، بينما الغلبة فتقتصر على غلبة في معركة عسكرية.

ومن خلال استعراض السورة نجد أنها تتناول المحاور الآتية:

١. الحديث عن الآخرة: تركز السورة بشكل واضح على موضوع الآخرة بصيغ متنوعة، وذلك في الآيات (٧-٨)، (١١-١٦)، (٤٣-٤٥)، (٤٧-٥٠)، (٥٥-٥٧)، والمعروف أن ضعف الإيمان بالآخرة يؤدي إلى انكباب الإنسان على الدنيا، وحرصه على ملذاتها وشهواتها، وخوفه المبالغ من الموت، وكل هذه عوامل لا تساعد على الانتصار في أية معركة، لأن المعارك تحتاج إلى توضيحات.

كما تحدثت عدة آيات في السورة عن تأكيد فكرة البعث، مثل قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ (١٩)، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةَ مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرَجُونَ﴾ (٢٥)، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (٢٧).

٢. قدرة الله تعالى: تذكر آيات كثيرة في السورة مظاهر قدرة الله تعالى ومشيبته المطلقة، حيث أن اضطراب التصور البشري حول الله يمكن أن يؤدي إلى التشكك في عوده لعباده بالنصر، ومن الآيات التي تناولت هذا الأمر الآيات (١٨-٢٧) والتي بدأ معظمها بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ آيَاتِهِ﴾، وقد عرضت صوراً رائعة داعية إلى التفكير وتعظيم الخالق سبحانه.

ومن الآيات الأخرى قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُنِجٍ لِّلْمُتَّقِينَ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٥٠)، وقوله

تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ (٥٤).

٣. الاقتصاد: تناولت السورة موضوع المال والرزق في عدة آيات، حيث أكدت ارتباط الرزق بمشيئة الله تعالى، وانه هو المعطي سبحانه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٧)، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَمْ مِثْرَ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٤٠). وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْيَيْنَاهُ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٤٦). وشجعت الآية (٣٨) على الإنفاق على الآخرين خاصة المحتاجين منهم، كما جاءت الآية (٣٩) لتبين أن الربا مذموم وضار بالمجتمعات.

إذا يمكن القول: إن ما سبق يُظهر السبب الأساس في هزيمة الروم، وهو ضعف الإيمان بالآخرة، وضعف الإيمان بقدرة الله تعالى، وهذا يؤدي إلى تعاضم الماديات في النفوس، والتكالب على الدنيا، وهذا يولد أمراضاً متنوعة عبرت عنها آيات في السورة، وإذا أجرينا تحليلاً معمقاً للمجتمعات الغربية سنجد أن هذه الأمراض التي تتحدث عنها السورة موجودة فيها. ويمكن حصر هذه الأمراض فيما يأتي:

١. اقتصار العلم على الدنيا، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦) يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿٦-٧﴾.

٢. اتباع الهوى غير المستند إلى أي معرفة أو حقيقة، وذلك في قوله تعالى: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (٢٩).

٣. الاعتداد بالرأي وهو ما يؤدي إلى الانقسام إلى فرق وأحزاب، وذلك في قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (٣٢).

٤. ضعف التوازن النفسي في حالة الضر والرحمة، حيث يميل الناس إلى القنوط في حالة الضيق، وفي حالة السعة والرحمة فإنهم يفرحون وينسب بعضهم الفرغ لغير الله تعالى، وهذا ما عبرت عنه الآيات (٣٣-٣٦).

٥. شيوع الربا: وهو أمر يدل على قلة الثقة بالآخرة، ويدل على أن المال له المكانة العليا في المجتمع، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِّيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾ (٣٩).

ومع أن السورة تحدثت عن مواطن الضعف التي تؤدي إلى الهزائم، إلا أنها لم تُغفل الإشارة إلى مواطن القوة التي تؤدي إلى الغلبة، ومن ذلك:

١. الدعوة إلى التسيح والذكر والصلاة، وذلك في عدة مواضع منها قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْنَا اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٧-١٨﴾، وقوله تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾.

٢. الدعوة إلى جعل الدين محور الحياة ومنهاجها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴿٣٠﴾، وقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ﴿٤٣﴾.

٣. الحث على الصدقة والنفقات لما في ذلك من أثر في فلاح المجتمعات والأفراد، في قوله تعالى: ﴿فَتَاتِذَا الْقُرْآنِ فَحَقَّهُ، وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ حَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبِّا لِيَرْبُؤَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُؤُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾.

٤. الحث على الصبر وعدم التأثر بمقولات الغافلين عن حقائق الإيمان، في قوله تعالى في ختام السورة: ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾.

يقول قطب في مقدمة سورة الروم: "وفي ظل ذلك التصور المرتفع الواسع الشامل تتكشف عالمية هذه الدعوة وارتباطها بأوضاع العالم كله من حولها، حتى وهي ناشئة في مكة محصورة بين شعابها وجبالها، ويتسع مجالها فلا تعود مرتبطة بهذه الأرض وحدها، إنما هي مرتبطة كذلك بفطرة هذا الكون ونواميسه الكبرى، وفطرة النفس البشرية وأطوارها، وماضي هذه البشرية ومستقبلها. لا

على هذه الأرض وحدها، ولكن كذلك في العالم الآخر الوثيق الصلة بها والارتباط".<sup>(١)</sup>

ويقول أيضاً: "وجو السورة وسياقها معاً يتعاونان في تصوير موضوعها الرئيسي، وهو الكشف عن الارتباطات الوثيقة بين أحوال الناس وأحداث الحياة، وماضي البشرية وحاضرها ومستقبلها، وسنن الكون ونواميس الوجود".<sup>(٢)</sup>

فليس الحديث إذاً في السورة وذكرها لهذا الحدث يخص ما حصل بين الفرس والروم، فإن الملاحظ تاريخياً أن الفرس بعد غلب الروم لهم وهزائمهم أمام المد الإسلامي لم تقم لهم قائمة، وانخرط كثير منهم في الإسلام وحضارته، فتخصيص هذه السورة وتسميتها بالروم للإشارة إلى أن دولة الروم ستبقى مغلوبة إلا عندما يضعف أهل الإسلام، أو عندما تتجنب أسباب هزائمها وغلبتها.

هداية السورة:

الغلبة والهزيمة في الأمم ترتبط بسنن وأسباب، والمسلم يستخلص من أحوال الأمم ما يدفع عنه الهزيمة وما يجلب له النصر والبقاء

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج ٥، ص ٢٧٥٥).

(٢) المصدر السابق (ج ٥، ص ٢٧٥٦)

## ( ٢٨ ) سورة لقمان

مكية عدد آياتها ٣٤ ، ورقمها ٣١

لقمان اسم رجل حكيم صالح، وأكثر الروايات في شأنه، التي يعضد بعضها، وإن كانت أسانيدها ضعيفة تشير إلى أنه كان رجلاً أسود، قيل هو من بلاد النوبة، وقيل من الحبشة.

إن الحكمة تقوم على العلم الصحيح والتصور الدقيق للأمور، فكلما زاد علم الإنسان زادت حكمته، ولذلك نقول (حكمة الكبار) لأنهم خاضوا تجارب جعلت علمهم بالحياة أصح، وتصورهم للأمور أكثر دقة.

ورد اسم السورة في الآيتين (١٢، ١٣) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ﴾ ، ومن خلال الآيتين يتضح التركيز على الحكمة، فالآية الأولى تعبر بصراحة عن امتلاك لقمان الحكمة بفضل الله تعالى، والآية الثانية هي افتتاحية لوصايا لقمان لابنه حيث تتضح الحكمة البالغة في هذه الوصايا، ولم تُسمَّ السورة بالحكمة ولكن سميت (لقمان) وهو رمز للحكمة، وذلك للدلالة على أهمية الحكمة المتمثلة بالإنسان أكثر من الحكمة المجردة الموجودة في بطون الكتب.

والملاحظ الآخر: إن الأنبياء عليهم السلام جاؤوا لتعليم الحكمة للبشر، فلماذا كانت التسمية باسم شخص ليس نبياً، وإنما هو رجل مؤمن؟

يبدو أن هذا الأمر للإشارة والدلالة على إمكانية حصول الدعاة إلى الله تعالى على الحكمة، إذا استفادوا من الوحي، وأخذوا بأسباب العلم والفهم الصحيح، وأن الأمر ليس مقتصرًا على الأنبياء عليهم السلام.

وبناءً على ما سبق فإن السورة تهدف إلى تعريف المسلم بما يوصله للحكمة والعلامات الدالة عليها، كما تُعرِّفه بموانع التوصل للحكمة، ويتضح ذلك من خلال العرض الآتي:

أولاً: علامات الحكمة والطرق الموصلة إليها:

١. التواصل مع القرآن الكريم: فالذين يتفاعلون مع آيات الكتاب الحكيم سينالون الحكمة، وقد ورد وصف الله تعالى لكتابه بالحكمة في افتتاحية السورة في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٧). وهذا الكتاب من الله تعالى العليم، وبالتالي فمن المنطق أن يكون كتابه هو الحكمة العليا لكل طالب حكمة، لأن أساس الحكمة هو العلم، فتذكر السورة سعة علم الله تعالى وإحاطته في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٣٤).

٢. الاستقامة النفسية والسلوكية: تؤكد السورة من جهة أن الإنسان يُحصَل من  
 حكمة كتاب الله تعالى بمقدار استعداداته النفسية مع عدم التقليل من شأن  
 الاستعدادات العقلية. لذا نجد السورة تمدح الذين استقاموا قلباً وسلوكاً كما  
 في قوله تعالى: ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ  
 وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ (٣-٤)، وتبين الآية (٣١) أن المستفيد من الآيات  
 المبثوثة هو كثير الصبر والشكر: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (٣١).  
 ومن جهة أخرى تركز السورة على السلوكيات السوية للدلالة على ضرورة  
 الاستقامة السلوكية والنفسية لتلقي الحكمة وتمثلها، ومن ذلك قوله:  
 ﴿ ءَامِنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ (٨)، وقوله تعالى: ﴿ أَنْ أَشْكُرَ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ  
 فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ ﴾ (١٢)، والآيات (١٤-١٥، ١٧-١٩) التي وردت في بيان  
 مواضع لقمان الحكيم لابنه.

٣. توحيد الله تعالى: فالحكمة كل الحكمة في توحيد الله وعدم الشرك به، فهو  
 سبحانه وحده الخالق المنعم الرازق، وكل من يتخذهم الناس أنداداً من دون  
 الله ما يملكون من قطمير، ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا نصراً، لذا  
 كانت أول وصايا لقمان لابنه: ﴿ يَبْنِي لَّا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ  
 عَظِيمٌ ﴾ (١٣). وقد بينت الآية (٢٢) أن الذي يستسلم لله وحده فإنه على  
 هدى وحكمة: ﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ  
 الْوُثْقَى ۗ ﴾

وفي السورة آيات عديدة تعرف الإنسان بخالقه ليتعمق توحيده له واستسلامه إليه، ومن ذلك الآية (١٦) التي تؤكد على الإحاطة الكاملة علماً وقدرة في قوله تعالى: ﴿يَبْنِيْ اِيَّهَا اِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِيْ صَخْرَةٍ اَوْ فِي السَّمٰوٰتِ اَوْ فِي الْاَرْضِ يٰۤاَتِ بِهَا اللّٰهُ اِنَّ اللّٰهَ لَطِيْفٌ حَبِيْرٌ﴾، (١٦)، وقوله تعالى: ﴿لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ اِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيْدُ﴾ (٢٦)، وقوله تعالى: ﴿ذٰلِكَ بِاَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْحَقُّ وَاَنَّ مَا يَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِهِ الْبٰطِلُ وَاَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيْرُ﴾ (٣٠).

٤. التفكير في خلق السموات والأرض: نجد في السورة توجيهاً للإنسان أن يفكر في السموات والجبال والمخلوقات المبتوثة والماء النازل والنبات الكريم (١٠) - (١١)، وأن يفكر في هذا العالم المذلل له المضبوط لمصلحه، في قوله تعالى: ﴿اَلَمْ تَرَوْا اَنَّ اللّٰهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَاَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةً وَّبٰطِنَةً﴾ (٢٠)، وقوله تعالى: ﴿اَلَمْ تَرَ اَنَّ اللّٰهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيْ اِلَىٰ اَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (٢٩)، وقوله تعالى: ﴿اَلَمْ تَرَ اَنَّ الْفَلَكَ تَجْرِيْ فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللّٰهِ لِيُرِيْكُمْ مِّنْ اٰيٰتِهِۦ﴾ (٣١)، والآية (٢٨) التي تبين قدرة الله الهائلة على الخلق في قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ اِلَّا كَنَفْسٍ وَّحِدَةً﴾.

## ثانياً: موانع الوصول للحكمة:

١. مرض القلوب واعوجاج السلوك: تبين السورة سلوكيات سلبية عدة، وفي هذا تأكيد على خطورة هذه السلوكيات على القلوب وبالتالي القدرة على استقبال الحكمة وانتاجها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ﴾ (٧)، وقوله تعالى: ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (١١)، وقوله تعالى: ﴿ إِنِ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَسِيرِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ (١٨-١٩)، أما الآية (٣٢) فتكشف عن أعماق الإنسان الذي يؤمن بالله ويتوجه إليه في ساعات الشدة والخطر الداهم، ثم ينساه في وقت الرخاء، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ (٣٢).

٢. فساد مناهج التلقي والبحث: حيث نجد في السورة أن بعض الناس لا يتدبرون كتاب الله الحكيم، بل يعارضون حكمة كتاب الله وآياته باللهو والاستهزاء، ويواجهونها بغير علم دون استخدام أداة علمية صحيحة، وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ﴾ (٦)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ

فِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾، ويعتبرون ميراث الآباء  
 فيصل الحق وميزانا لحكمة، كما أخبرت عنهم الآية (٢١) في قوله تعالى:  
 ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾، والبعض  
 يعتمد على الكهانة والخرص للغيب، وهذا ما ذكرت الآية الأخيرة أنه مختص  
 بالله تعالى، ولا يخضع للتجربة والبحث العلمي، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ  
 اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا  
 تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾.

٣. اتباع الشيطان والاعتزاز بالحياة الدنيا: إن اتباع الشيطان لا يمكن أن يقود  
 للحكمة، والاعتزاز بالدنيا يقف حاجزاً بين الإنسان والحكمة، لأن كليهما  
 يعظم العاجلة ويلهي عن الآجلة ويصغرها في نفس الإنسان، لذا كان  
 التحذير في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا تَجْزِي وَالِدٌ عَنْ  
 وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ  
 الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٣﴾. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا  
 مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى  
 عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾.

وباختصار فإن السورة باسمها تريد أن تقول: من أراد الحكمة، وأراد أن يكون  
 حكيماً، فعليه أن يوثق علاقته مع الله، وأن يوثق علاقته مع كتابه، وأن يستقيم  
 سلوكاً وقلباً، وسيجد نفسه إن صبر وشكر من أهل الحكمة.

توحيد الله تعالى، والتفاعل مع كتابه، والاستقامة في السلوك،  
إذا اجتمع ذلك كله في الإنسان توصل إلى الحكمة الحقيقية

## (٢٩) سورة السجدة

مكية عدد آياتها ٣٠، وترتيبها ٣٢

يقول ابن فارس: "السين والجيم والداد أصل واحد يدل على تطامن وذل، يقال سجد، إذا تطامن، وكل ما ذل فقد سجد".<sup>(١)</sup> ويقول الرازي في معنى سجد: "خضع، ومنه السجود في الصلاة، وهو وضع الجبهة على الأرض".<sup>(٢)</sup> ويقول الأصفهاني: "السجود أصله التّطامن والتذلل، وجعل ذلك عبارة عن التذلل لله وعبادته، وهو عامّ في الإنسان والحيوانات والجمادات، وذلك ضربان: سجود باختيار وليس ذلك إلا للإنسان وبه يستحق الثواب... وسجود تسخير وهو للإنسان والملائكة والحيوان والنبات... وخُصّ السجود في الشريعة بالركن المعروف من الصلاة، وما يجري مجرى ذلك من سجود القرآن وسجود الشكر، وقد يُعبّر به عن الصلاة بقوله تعالى: ﴿وَأَذْبَرَ السُّجُودَ﴾ (ق: ٤٠)، أي أدبار الصلاة... والمسجد موضع الصلاة، اعتباراً بالسجود"،<sup>(٣)</sup> ومن خلال النظر في القرآن الكريم يمكن أن نضيف إلى كلام الأصفهاني أن الجن يدخل مع الإنسان في التخيير والتسخير، ويظهر ذلك مثلاً في قوله تعالى: ﴿يَمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ (الأنعام: ١٣٠).

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج ١، ٥٨٦)

(٢) مختار الصحاح، محمد الرازي (١٧٥)

(٣) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (٢٢٣)

والمعروف أن الآيات التي يُسنّ عندها سجود التلاوة في القرآن الكريم كما أثبتتها العلماء في مصحف المدينة ١٥ آية في ١٤ سورة، ولكن السورة الوحيدة التي سُمّيت بالسّجدة هي هذه السورة، كما لم يرد اسمها في السورة بشكل مباشر، وإنما ورد ذكر سجود المؤمنين في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (١٥)، فما الحكمة من تسمية هذه السورة بالسّجدة؟

من خلال دراسة آيات السّجدة في القرآن الكريم قد يتضح للمتدبر سرّ اختيار هذه السورة باسم السّجدة، وهو التّكريم للمؤمنين الذين يخرون لله سجّداً، لأن آيات السّجدة الأخرى إنما كانت إمّا عامة لكل الخلق بمن فيهم الإنسان، أو كان فيها ذكر سجود الملائكة وخضوعهم لله تعالى، أو ذكر ما فعله بعض المصطفيين من الأنبياء، أو ذكر إعراض الكافرين عن السجود لله عز وجل، أو جاء فيها الأمر بالسجود، وهذه الآية هي الوحيدة التي تتحدث عن المؤمنين الذين يقومون بالسجود طواعية وخضوعاً لله تعالى وتقديراً لعظمته.

أما علاقة اسم السورة بموضوعاتها فقد يكون من خلال العرض الآتي:

١. تبتدئ السورة بالحديث عن القرآن الكريم الذي هو كتاب هداية وإنذار، فهو الذي يهدي المؤمنين إلى التذلل لله والخضوع له، وينذر المستكبرين والمعرضين والغافلين (الآيتان ٢-٣).

٢. ثم تتحدث الآيات (٤-٩) عن عظمة الله تعالى وتفضله على الإنسان، فهو الخالق والملك والمدبّر وعالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم، وقد خلق

الإنسان على أحسن صورة ونفخ فيه من روحه وأعطاه من النعم ما يجعل حياته سهلة متطورة، وهذا الإله العظيم مستحق للسجود من الإنسان الضعيف المتفضل عليه من ربه الكريم.

٣. يلي ذلك تناول الآيات (١٠-١٤) لموقف المستكبرين والمنكرين للبعث، ظناً منهم أن الله تعالى لا يقدر على بعثهم وحسابهم، وتبين الآيات موقفهم المهين يوم القيامة عندما تتجلى لهم قدرة الله تعالى وعظمته، ويكون جزاؤهم العذاب المقيم في جهنم بسبب استكبارهم عن السجود لله تعالى.

٤. أما الآيات (١٥-١٧) فتتحدث عن أهل الإيمان والخضوع لله تعالى، الذين دفعهم إيمانهم وتعظيمهم لله إلى السجود والتواضع له، وهم يدعون ربه خوفاً وطمعاً لعلمهم أن الله تعالى قادر على كل شيء ويده ملكوت كل شيء، كما أنهم ينفقون مما رزقهم الله ابتغاء الأجر والثواب، وهذا الأجر تذكره الآيات بشكل مختصر، ولكن بطريقة تترك للخيال أن يسبح في تصور التكريم الذي يكون للمتواضعين لله تعالى، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧)، وقد ورد قول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" (١)، ويعلق قطب على هذا الجزاء والتكريم بقوله: "تعبير عجيب يشي بحفاوة الله سبحانه بالقوم، وتولييه بذاته العلية إعداد المذخور لهم عنده من الحفاوة والكرامة مما تقر به

(١) صحيح البخاري، محمد اسماعيل البخاري (حديث ٤٤٧٩، كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة السجدة)

العيون، هذا المذخور الذي لا يطلع عليه أحد سواه، والذي يظل عنده خاصة مستوراً حتى يُكشف لأصحابه عنه يوم لقائه! عند لقيائه! وإنها لصورة وضيئة لهذا اللقاء الحبيب الكريم في حضرة الله".<sup>(١)</sup>

٥. ثم تعود الآيات (٢٠-١٨) للمقارنة بين مصير الفريقين، حيث الإكرام من الله تعالى للمؤمنين الذين يعملون الصالحات، أما الفاسقون (الخارجون عن طاعة الله تعالى) فلهم النار الخالدة جزاء تكذيبهم واستكبارهم.

٦. وتحدث الآيات (٢٣-٢٥) عن حلقة سريعة من تاريخ الرسالات، وتركز على إظهار تشريف الله تعالى للطائعين وجعلهم أئمة للإشارة إلى أن الله تعالى يرفع المتذللين له.

٧. أما الآية (٢٧) فتعود لتذكّر بفضل الله تعالى على البشر وقدرته سبحانه على إحياء الأرض الجُرُز (التي انقطع نباتها من أصله)، فأثبت بها زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم، ولعل في ذلك إشارة إلى أن السجود والتواضع لله تعالى يجيي القلب ويجعله مثمراً بالخير والعطاء.

٨. وتختتم السورة في الآيات (٢٨-٣٠) بالتهديد للمكذبين بيوم الفتح، ولم يرد هذا الاسم ليوم القيامة في موضع آخر للإشارة إلى أنه في ذلك اليوم تزول الحواجز عن رؤية الحقائق العظمى التي تستوجب السجود والخضوع لله تعالى، فهم في ذلك اليوم وجميع الخلائق سيبلغون منتهى التعظيم لله تعالى.

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج٥، ٢٨١٣)

ويضيف أستاذنا لدى مراجعته للبحث في معنى الاسم ودلالته قوله: "لقد سُميت السورة بالسجدة وليس السجود، وفي ذلك تنبيه إلى آية السجدة في السورة التي تبين لنا السجود الحقيقي حيث: المسارعة إلى الخضوع إلى براهين الخالق ﴿إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾، وتنزيه الله الخالق وحمده ﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾، وعدم الاستكبار ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، فالمؤمن الحقيقي هو الذي إذا ذكر بآيات الله تعالى التي في القرآن وفي الكون والخلق سارع إلى السجود والتسبيح بالحمد ولم يستكبر عن عبادة ربه".

كما يلفت النظر إلى ذكر موسى عليه السلام في السورة بقوله: "ورد في السورة قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾ (٢٣)، وقد حصل اللقاء بموسى عليه السلام في ليلة المعراج وكان منه المشورة في موضوع الصلاة التي فرضت على المسلمين في تلك الليلة، كما اقتصر ذكر قومه في السورة على مدحهم وجعلهم أئمة بسبب إيمانهم بآيات الله تعالى".

هداية الاسم:

التدلل والخضوع لله علامة الإيمان وطريق التكريم

- ورد في السورة وصف الكافر بالفاسق، لأن الفاسق كما يقول الأصفهاني: "أخل بحكم ما ألزمه العقل واقتضته الفطرة".<sup>(١)</sup>
- آخر آية من آيات السجود في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا نُطِيعُكَ وَأَسْجُدُ وَأَقْتَرِبُ﴾ (العلق، ١٩) للإشارة إلى أن السجود سبب رئيس للقرب من الله تعالى، وقد ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قوله ﷺ: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثرُوا الدعاء".<sup>(٢)</sup>
- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ في ختام آية السجود في سورة الحج الآية (١٨)، يشير إلى أن السجود لله تعالى طريق الرفع والتكريم.

(١) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (ص ٣٨٠).

(٢) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري (حديث: ٤٨٢)، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود.

## (٣٠) سورة الأحزاب

مدنية، عدد آياتها ٧٣، ورقمها ٣٣

يقول ابن فارس: "الحاء والزاي والباء أصل واحد وهو تجمع الشيء، فمن ذلك الحزب: الجماعة من الناس، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (المؤمنون، ٥٣)، والطائفة من كل شيء حزب، يقال قرأ حزبه من القرآن".<sup>(١)</sup>

ورد اسم السورة في قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٢٠)، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (٢٢)، وتوسط الآيتين قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٢١).

واسم هذه السورة يقودنا إلى غزوة الأحزاب في السنة الخامسة للهجرة، حيث تحزب الكفار بأطيافهم المختلفة (كفار مكة، اليهود، القبائل العربية، المنافقون في المدينة وخارجها)، وكان هدفهم الأساس اجتثاث الدين وأهله والانتهاه من الفكرة الجديدة. وقد هزم المتحزبون في هذه المعركة وهربوا، بعد محاصرتهم المدينة، قال تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْطِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج ١، ٢٩١)

أَلْفِتَالٌ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾، وقال النبي ﷺ بعد الغزوة: "الآن نغزوهم ولا يغزونا" (١).

وقد تحدثت السورة عن الغزوة في الآيات (٩-٢٧)، ولكنها تناولت مواضيع متعددة، فما علاقة هذه المواضيع بغزوة الأحزاب؟

عند دراسة السورة نجد أن موضوعاتها ترتبط بشكل واضح مع عرض السورة لأحداث غزوة الأحزاب، حيث كان التجمع الكافر الذي تحزّب ضد المدينة يُشكّل أعلى حشد للطاقت في مواجهة الدين في تلك الفترة، وقد كان هذا الحشد (الأحزاب) كفيلاً بتدمير بنية المجتمع المسلم، وقد ساهم مع هذا الحشد في المعركة (الطابور الخامس المتمثل بالمنافقين واليهود داخل المدينة)، فكان سورة الأحزاب تبين العوامل التي ساعدت المجتمع المسلم في المدينة على الصمود والانتصار ضد تحزّب الكفار، فما هي هذه العوامل؟

١. اتباع المنهج الرباني بعيداً عن مناهج أهل الكفر والنفاق: وهذا الأمر ابتدأت به السورة موجهة الخطاب للنبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣-١﴾، كما ركزت السورة على هذا الأمر في عدة مواضع منها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ

(١) صحيح الجامع، الألباني (٢٧٥٤)

الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وقوله تعالى:  
﴿ وَلَا تُطِيعِ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ  
وَكَيْلًا ﴾ (٤٨)، وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا  
أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴾ (٦٦)، وقوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ  
وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٧٠-٧١).

٢. ترسيخ مكانة النبي ﷺ كمصدر للتشريع، وكأسوة للمؤمنين: ومن الآيات  
التي تناولت هذا المحور قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن  
رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (٤٠)، وقوله تعالى:  
﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ  
وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ (٤٥-٤٦)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ  
اللَّهِ ﴾ (٥٣)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٥٦)، وقوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا  
تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ (٦٩).

٣. الحرص على نقاء بيوت القيادات وسلامة أسرهم، وتنقية محيط هذه القيادات  
من كل شائبة أو تشويه، وعدم السماح لأسر القيادات أن تستغل علاقتها  
مع القائد لتحقيق مكاسب شخصية، بل ينبغي التشديد عليها أكثر: وهذا ما  
ظهر في تركيز السورة على بيوت وزوجات النبي ﷺ، برز فيها التشديد

على نساء النبي ﷺ ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَّازِوَجِكَ إِن كُنْتَن تَرُدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنْتَهَا فَنَعَالَيْكَ أُمْتَعَكُنَّ وَأَسْرَحَكُنَّ سَرَلًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنْتَن تَرُدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٨-٢٩﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴿٥٣﴾، وقوله تعالى لنساء النبي ﷺ: ﴿وَأَتَقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾، وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَّازِوَجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلْبِيهِنَّ ذَلِكُ أَذْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ ﴿٥٩﴾. وأظهرت السورة أن الهدف من كثير من التشريعات هو ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾.

وفي هذا السياق نستذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تشديده على نفسه وعائلته بعد تسلمه للخلافة، والمواقف التي تذكر في هذا المقام كثيرة، من أبرزها تهديده لهم بالتنكيل إذا خالفوا التعليمات الصادرة لعامة المسلمين، وكذلك الخليفة الراشد الخامس عمر بن عبد العزيز رحمه الله الذي رد كل ما يملك هو وزوجته إلى بيت مال المسلمين، وعاش حياة الكفاف.

٤. تقوية العقيدة والثقة بالله تعالى من خلال كثرة الذكر والتوجه لله تعالى: حيث يلاحظ وصف المتأسين برسول الله ﷺ بأنهم كثيرو الذكر في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ

وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا ﴿٢١﴾، كما ذكرت السورة آخر وصف للمؤمنين المغفور لهم ﴿وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴿٣٥﴾، كما أمر الله المؤمنين بقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهُ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢-٤١﴾. وقد برز في تدليل الآيات في الحديث عن الغزوة التركيز على بيان قدرة الله في مثل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾، كما ورد إظهار ثقة المؤمنين بالله في اللحظات الصعبة فوصفهم تعالى بقوله: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ ءِلاَءَ اِيْمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾.

٥. الاهتمام بالأسرة وجعل ذلك أولوية لإصلاح المجتمع ذكوراً وإناثاً، فصلاح المجتمع يجعله محصناً و متماسكاً أمام التحديات، وقد ركزت السورة على التأسيس لعلاقات سوية بين الذكور والإناث وحماية الأعراس وقد برز ذلك في الأمرين الآتيين:

- اعتبار الأسرة القائمة على الرحم المشترك هي اللبنة التي يقوم عليها بناء المجتمع، والعقيدة السوية هي الجامع والمظلة، وذلك من خلال تحريم التبني وإلغاء هذه الظاهرة من المجتمع المسلم، وتأكيد هذا الإلغاء بأمر الله للنبي ﷺ بالزواج من زينب زوج متبناه زيد، ليكون هذا الفعل محمواً لهذه الظاهرة، وقد تناولت الآيات (٤-٦، ٣٧-٣٨) إبطال آثارها الشرعية



مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لَيْسَتِ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٧-٨﴾، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ (١٥)، وقوله تعالى: ﴿مَنْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (٣٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴿٢٣-٢٤﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (٧٢).

٧. أهمية التنبيه إلى الدور الخطير للمنافقين والمتخاذلين في إضعاف الجبهة الداخلية للمجتمع المسلم في مواجهة العدو الخارجي: للمنافقون وأمثالهم يشكلون خطراً كبيراً على المجتمع نظراً لأن خطرهم من الداخل، لذا لا بد من التنبيه لما يقومون به من إرجاف وتثبيط، وقد ذكرت السورة هذه الفئة بتفصيل في الحديث عن أحداث الغزوة، وذلك في الآيات (١٢-٢٠)، وجاء التهديد لهم في نهاية السورة في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٦٠) ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخْدُوا وَقَتِلُوا قَتِيلًا﴾ (٦١).

يقول قطب في مقدمة السورة (ج، ٥، ٢٨١٨): "ولهذه الفترة التي تناولتها السورة في حياة الجماعة المسلمة سمة خاصة، فهي الفترة التي بدأ فيها بروز ملامح الشخصية المسلمة في حياة الجماعة وفي حياة الدولة، ولم يتم استقرارها بعد ولا

سيطرتها الكاملة، كالذي تم بعد فتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجاً. واستتباب الأمر للدولة الإسلامية وللنظام الإسلامي.

والسورة تتولى جانباً من إعادة تنظيم الجماعة المسلمة وإبراز تلك الملامح وتثبيتها في حياة الأسرة والجماعة، وبيان أصولها من العقيدة والتشريع، كما تتولى تعديل الأوضاع والتقاليد أو إبطالها، وإخضاعها في هذا كله للتصور الإسلامي الجديد".

هداية السورة:

المجتمع المسلم مستهدف من قوى شتى (الأحزاب) باعتباره  
الحامل للواء الحق، وضخامة الاستهداف تقتضي التسليح بالمحصّنات

- ابتدأت السورة بنداء ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ وهذا النداء ابتدأت به سورة التحريم التي تشترك مع السورة في الموضوع الأساس وهو بيوت النبي ﷺ وأزواجه، كما افتتحت به سورة الطلاق والتي تحدثت عن شؤون الأسرة، أما الآيات التي افتتحت بهذا النداء فهي (١٣ آية)، وقد ورد منها في سورة الأحزاب (٥ مرات)، والملاحظ أنها جميعاً تتحدث في موضوعين اثنين هما: الأسرة، الجهاد.
- قد يستفاد من تأخير علاج قضية التبني بعد غزوة الأحزاب، التوجيه لأهل التربية والإصلاح بتأخير بعض القضايا المتأصلة في المجتمعات حتى استقرار المجتمع وانتهاء مرحلة الدفاع والتوتر النفسي خشية الهجوم. كما أن المجتمعات في مرحلة الجهاد والدفاع تكون غالباً منضبطة لانشغالها في حماية أهدافها وكيانها، أما في مرحلة الرخاء فتكون بحاجة إلى توجيهات إضافية لعملية البناء.

## (٣١) سورة سبأ

مكية عدد آياتها ٥٤، وترتيبها ٣٤

ورد اسم السورة في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ﴾ (١٥)، وقد ذكرت سبأ في سورة النمل ببيان إسلام ملكتهم وقومها لسليمان عليه السلام، ووضح في الموضعين أن هذه المملكة كانت وافرة الحضارة والإمكانات والخيرات، ولكن سورة سبأ تذكر انتهاء هذه المملكة وذهاب عزها وحضارتها بسبب كفرهم وظلمهم أنفسهم، وذلك في الآيات (١٥-٢١).

فما العلاقة بين قصة سبأ في السورة وباقي موضوعاتها؟

يلاحظ أن قصة سبأ تُختم بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ (٢١)، وهذه الخاتمة تُظهر السبب الحقيقي لهذا الانهيار الحضاري، وهو التشكك بالآخرة والاعتزاز بالدنيا وما ينتج عن ذلك من سلوكيات، ويمكن ملاحظة الحشد الكبير للآيات التي تتحدث عن الآخرة في السورة، وهذه الآيات هي: (٣-٩، ٢٣-٢٦، ٢٩-٣٣، ٣٨، ٤٠-٤٢، ٤٦، ٥١-٥٤)، ومن خلال دراسة السورة تتضح السلوكيات التي تنتج عن التشكك بالآخرة وهي:

١. عدم شكر الله على نعمه: حيث أن التشكك بالآخرة يؤدي إلى قلة أو انعدام أداء الحقوق المترتبة على النعم، والتي تعتبر أهم مظهر للشكر، لذلك قال الله تعالى: ﴿اعْمَلُواْ ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ (١٣)، ولقد كان

السبب الرئيس للسبيل الذي اجتاحت سبأ هو كفران النعمة واتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ مَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْرَىٰ إِلَّا الْكَفُورُ﴾ (١٧)، بعد أن كانوا أمروا بالشكر: ﴿وَأَشْكُرُوا لَهُ﴾ (١٥)، كما بينت السورة أن الشكر لله تعالى يجعل الإنسان يستفيد من الآيات ويتعظ بها، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (١٩).

٢. الاعتداد بالأموال والأولاد: حيث أن غياب الإيمان لآخرة يؤدي إلى تعظيم القيم المادية والاعتزاز بها، وقد بينت السورة أن الذين يقفون أمام الدعوات هم المترفون الذين يعتقدون أن كثرة أموالهم وأولادهم تجعل الصواب إلى جانبهم، وأن ذلك دليل على نجاحهم من العذاب، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (٣٤-٣٥)، ولذلك كان الرد الإلهي ببيان أن الأموال والأولاد ليست هي معيار القرب منه سبحانه: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ (٣٧)، وكذلك بالتذكير أن الله تعالى هو مصدر النعم المختلفة وأنه هو الذي يقسمها بين البشر، في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ (٢٤)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ (٣٩)، والآية (٣٦) بألفاظ متقاربة، وختمت السورة ببيان حسرة الكافرين عندما يحال بينهم وبين ما عظموه وعملوا من أجله في حياتهم الدنيا، قال تعالى:

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّبِينٍ ﴾ (٥٤).

٣. اتباع الشيطان: هنالك تلازم بين التشكك بالآخرة وبين اتباع كفره الجن الذين يعملون جاهدين لقذف الشبهات في القلوب، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِلَيْسَ ظَنُّهُ، فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٠)، كما أن أهل الشبهات يتبعون الجن ظناً منهم أنهم يعلمون الغيب، لذا أشارت السورة إلى أن البشر أكثر قدرة من الجن ويمكن أن يستخرهم البشر لخدمتهم، كما كان لسليمان عليه السلام في الآيات (١٢، ١٣)، كما أشارت السورة إلى عدم علم الجن بالغيب في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ (١٤)، وعلى الرغم من كل ما سبق فإن بعض البشر يتخذون من الجن آلهةً تُعبد، كما قال الله تعالى: ﴿ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرَهُمْ مَّبْعُوثُونَ ﴾ (٤١).

٤. اتخاذ شركاء من دون الله: فالذين لا يرجون اليوم الآخر ولا يحسبون له الحساب ويغترون بالدنيا وملذاتها، يكثر منهم اتخاذ الشركاء من دون الله، وقد ركزت السورة على بيان أحوال الشركاء وتخليهم عن بعضهم يوم القيامة، وكان أبرز موضع في هذا المقام الحوار الذي يدور بين المستضعفين والمستكبرين في الآيات (٣١-٣٣)، وقوله تعالى: ﴿ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُم لِبَعْضٍ نَّفَعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تَكْتُمُونَ ﴾ (٤٢)،

وبينت الآيات ضعفهم وعجزهم وقلة حيلتهم، في مثل قوله تعالى:  
﴿ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ  
وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾ (٢٢)، وقوله تعالى:  
﴿ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢٧).

٥. قلة التفكير والاعتبار: فمن تفكر سيصل يقيناً إلى حقيقة الخلق والمخلوق والمصير، لذا برز في ختام السورة الدعوة الحارة للتفكير في قوله تعالى: ﴿ قُلْ  
إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَجْهِ اللَّهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِزْفٍ وَمَنْ يُنْفَكِرْهُمَا  
كَمَا نَعَتِ السُّورَةُ عَلَى الْكَافِرِينَ بِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ دُونَ تَحْقِيقِ وَتَسْجِيدِ وَدُونَ  
مَصْدَرٍ يُمْكِنُ الْإِعْتِمَادُ عَلَيْهِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ  
بَعِيدٍ ﴾ (٥٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا  
إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴾ (٤٤)، وبينت السورة أن الهداية الحقة هي بالاعتتماد  
على الوحي، في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَهْتَدَيْتُمْ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيْ رَبِّ ﴾ (٥٠).

هداية السورة:

### التشكك بالآخرة معول هدم للحضارات والمدنيات

- قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَجْهِ اللَّهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِزْفٍ وَمَنْ يُنْفَكِرْهُمَا  
كَمَا نَعَتِ السُّورَةُ عَلَى الْكَافِرِينَ بِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ دُونَ تَحْقِيقِ وَتَسْجِيدِ وَدُونَ  
مَصْدَرٍ يُمْكِنُ الْإِعْتِمَادُ عَلَيْهِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ  
بَعِيدٍ ﴾ (٥٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا  
إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴾ (٤٤)، وبينت السورة أن الهداية الحقة هي بالاعتتماد  
على الوحي، في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَهْتَدَيْتُمْ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيْ رَبِّ ﴾ (٥٠).

## (٣٢) سورة الزخرف

مكية عدد آياتها ٨٩، ورقمها ٤٣

الزخرف كما يقول الأصفهاني: "الزينة المزوّقة، ومنه قيل للذهب زخرف، وقال: ﴿أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ (يونس، ٢٤)، وقال ﴿بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ﴾ (الإسراء، ٩٣) أي ذهب مزوق، وقال: ﴿وَزُخْرُفًا﴾ وقال: ﴿زُخْرَفَ الْقَوْلِ غَمُورًا﴾ (الأنعام: ١١٢) أي المزوقات من الكلام"،<sup>(١)</sup> ويقول الرازي: "الزخرف: الذهب ثم يشبه به كل ممّوه مزورّ، والمزخرف: المزين"،<sup>(٢)</sup> ويقول المصطفوي: "الأصل الواحد في هذه المادة هو ما يكون خارجاً عن متن الموضوع الحق اللازم، لزينة فقط وهي غير لازمة أو لتزوير وتمويه. والزينة أعم منه: فإن الزينة قد تكون صحيحة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ (الصفات: ٦)... فمطلق الزينة ليس من مصاديق الزخرف، بل ما يكون غير لازم في العرف المعقول. وكذلك الذهب إذا أخذ زينة زائدة عما هو المعروف. وهكذا الزخرف من الكلام. فالقيد مأخوذ في مفهومه. قال تعالى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غَمُورًا﴾ (الأنعام: ١١٢)، أي الكلام الباطل وما لا يحتاج إليه في متن العيش المعروف".<sup>(٣)</sup>

(١) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (٢١٢)

(٢) مختار الصحاح، الرازي (١٤٩)

(٣) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج٤، ٤٤، ٣٣٤)

وقد ورد اسم السورة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِصَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرَرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ الآيات (٣٣-٣٥)، والزخرف في الآية بمعنى الزينة الزائدة من الذهب والجواهر وغيرها.

والمتأمل للسورة يجد آياتها، إضافة إلى آيات الاسم، تتحدث بشكل واضح عن الزينة والترف ومن ذلك:

- ﴿أَوْ مَنْ يُنشِئُوا فِي الْحَلِيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾.

- ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴿٢٣﴾.

- ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هُنُلُوءًا وَعِبَادَةًهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾.

- ﴿قَالَ يَنْقَوْمِ الْإِنْسِ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ﴿٥١﴾.

- ﴿فَلَوْلَا أَلْفِي عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ ﴿٥٣﴾.

- ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴿٧١﴾.

وبناءً على المعنى اللغوي والآيات التي ورد فيها الاسم فقد يكون تسمية السورة بالزخرف للدلالة على أن الزينة وإن كانت مما سخره الله للإنسان وأباحه له، لكنها قد تكون عاملاً رئيساً في غوايته وانحرافه ومعاداته للدين، وبالتالي فإن

الدين يربي النفوس بطريقة لا تسمح للزخرف بالتأثير السلبي عليها، ويمكن ملاحظة ذلك في العرض الآتي:

١. المترفون هم الأكثر امتناعاً عن إجابة الرسل، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴾ (٢٣)، وقد كان اغترار فرعون بزينته كبيراً حتى جعله يعتبر نفسه خيراً من موسى عليه السلام وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ (٥٢) فَلَوْلَا أَلْفَىٰ عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ (٥١-٥٣)، كما استغرب كفار مكة نزول هذا القرآن على محمد ﷺ وهو ليس من كبار القوم مالا وزينة في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ (٣١)، وفرعون استخف قومه فأطاعوه، وهذا الاستخفاف هو نتيجة للاستغراق في الزينة والفسق كما قال الله تعالى: ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴾ (٥٤).

٢. الزخرف وسيلة مهمة من وسائل الشياطين للإغواء كما ورد في قوله

تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (الأنعام: ١١٢)، وقد ورد في السورة أن الشيطان يصد الناس عن الحق وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ

عَدُوِّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِصَّ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهُتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَتَسَّ الْقَرِينُ ﴿٣٦-٣٨﴾، كما ورد في السورة بيان اغترار الكافرين والمترفين، واعتبارهم أن ما هم فيه من الضلال والانحراف والزينة، بتزيين الشيطان وزخرفته، خيراً مما جاء به الأنبياء عليهم السلام، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧﴾، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ عَمَلٍ شَرٍّ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ أَوْلُوا حِجَّتِكُمْ بَأْهَدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٣-٢٤﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾، وقال عن قوم فرعون بعد أن جاءهم موسى بالبينات: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بَيِّنَاتٌ إِذَا هُمْ مِمَّنَّهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَتَأْتِيهِ السَّاحِرُ أَدْعَاكُنَا رَبُّكَ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠-٤٧﴾.

٣. من أجل محاربة أثر الزخرف الخادع على الإنسان ركزت آيات السورة على الأمور الحقيقية التي ترفع الشأن وتستحق الاهتمام، لذا بدأت السورة بالكلام عن القرآن الكريم ووصفته أنه ﴿الْمُبِينُ ﴿٢﴾﴾، وإنه ﴿فِي أُمَّرٍ

أَلِكْتَبِ لَدَيْنَا لَعَلُّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾، وقد بينت تشريف الله للأمة بهذا القرآن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ (٤٤)، كما بينت الآيات أن رحمة الله تعالى خير من الزخرف الذي يحرض عليه معظم الناس كما في قوله تعالى: ﴿وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٣٢)، وبعد ذكر الزخرف في الآية التي وردت فيها الكلمة كان التعقيب بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، ثم بينت الآية أهمية الآخرة وخيريتها في العقبى والدوام والنعيم الكريم في قوله تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٣٥)، وقد فصلت الآيات (٦٦-٧٣) الجزء الكريم في الآخرة للمتقين.

٤. في نهاية السورة تتحدث الآيات عن كشف زيف ادعاءات المشركين وعقائدهم الباطلة، وبيان قوة الله وعظمته وتزويجه عن النقص، وتختتم بأمر الرسول ﷺ بالصفح عن المشركين، فأمرهم زائف ستظهر عورته قريباً، وذلك في الآيات (٧٩-٨٩).

ويضيف أستاذنا لدى مراجعته للبحث في توجيه اسم السورة قوله: "إن للواقع المحسوس تأثيراً قوياً على جمهور الناس، ومن هنا نجد أنهم يُخدعون بالمظاهر المادية، لذا ركز القرآن الكريم على الوعد والوعيد المتعلقين بالجنة ومحسوساتها، والنار ومحسوساتها، ليعالج ميل الإنسان إلى المحسوس.

وينبغي التنبه إلى هذه الحقيقة للإعلاء من قيمة الفكرة في مقابل الصنم المادي، ولتشخيص واقع الانحراف البشري نحو الوثنية، كما انحرف بنو إسرائيل إلى عبادة العجل".

وقد ذكر البقاعي: "أن مقصود السورة البشارة بإعلاء هذه الأمة بالعقل والحكمة حتى يكونوا أعلى الأمم في العلم وما ينشأ عنه... وعلى ذلك دلت تسميتها بالزخرف لما في آياتها من أنه لو أراد أن يعم الكفر جميع الناس لعمهم بسبوغ النعم، ولكنه لم يعمهم بذلك، بل فاوت بينهم فأفقر بعضهم وأكثر بؤسهم وفرق أمرهم، ليسهل ردهم عن الكفر الذي أدت إليه طبائعهم وحظوظهم ونقائصهم، بما يشهدون من قباحة الظلم والعدوان إلى ما يرونه من محاسن الدين والإيمان ولذة الخضوع للملك الديان".<sup>(١)</sup>

هداية الاسم:

ما تقرر في نفوس الناس من مكانة للدنيا وجعلها مقياساً للسعادة أمر لا بد من تصويبه، ولا بد من إعلاء القيم الربانية في مقابل الصنم المادي

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (ج٧، ٣)

## (٣٣) سورة محمد (ﷺ)

مدنية عدد آياتها ٣٨، ورقمها ٤٧

هذه السورة هي الوحيدة التي سميت باسم نبي الأمة محمد ﷺ، وقد سميت سور أخرى بأسماء أنبياء آخرين عليهم السلام مثل: يونس، هود، يوسف، إبراهيم، نوح، والملاحظ أن هذه السورة لم تذكر لنا أي أمر يتعلق بشخص النبي محمد ﷺ، أو شيء من سيرته، أو أحكام خاصة به وبزوجاته، فلماذا سميت هذه السورة باسمه؟

ورد اسم السورة في الآية الثانية في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِي اللَّهُ إِلَىٰ مُسْتَقِيمٍ﴾ من رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿١﴾، ولم يذكر الاسم في السورة في غير هذه الآية، وقد ذكر اسمه عليه السلام في ثلاثة مواضع أخرى في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (آل عمران: ١٤٤)، وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب، ٤٠)، وقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح، ٢٩).

وواضح من الآيات التي ذكر فيها اسم محمد عليه السلام التركيز على محمد الرسول، إذاً قد تكون سورة محمد هي سورة رسالة محمد ومنهجه.

وعند التأمل في السورة نجد أنها تركز على القتال في سبيل الله، ومجاهدة المعادين للدين، والقتال هو أهم طرق نصر هذا الدين ورفع كلمة الله ومنهجه، وهذا ما

تَبَدَّى في حياة الرسول محمد ﷺ الذي كان رمزاً للتضحية والفداء في نصره الدين، فقد شارك وقاد أو بعث في فترة عشر سنوات أكثر من ٢٧ غزوة، و٥٣ سرية قتالية، وهو الذي قال في الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه: "والذي نفس محمد بيده! لولا أن يشق على المسلمين، ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً. ولكن لا أجد سعة فأحملهم. ولا يجدون سعة. ويشق عليهم أن يتخلفوا عني. والذي نفس محمد بيده! لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل. ثم أغزو فأقتل. ثم أغزو فأقتل." (١)

ويبرز في السورة الحديث عن تطمين الله تعالى للمؤمنين أتباع محمد ﷺ، بالنصر والتمكين والولاية وتثبيت الأقدام، كما يطمئنهم إلى عدم بلوغ الكافرين لأهدافهم ضد الدين، ولكن السورة تبين أن هذا النصر يأتي بعد الاختبار والامتحان، ليستلم الراية الصادقون في اتباعهم لمحمد ﷺ، والمستعدون لبذل الغالي والنفيس من أجل نصره الدين، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ (٤)، وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (٧)، وقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ وَأَخْبَارَكُمْ﴾ (٣١)، كما نعت الآية (٣٥) عن الوهن والدعوة إلى السلم في حالة الضعف في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْآعْلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾، وبينت الآية (٢٢) أن التخلي عن القتال من أجل نصره الدين يؤدي

(١) مسلم، ١٨٧٦، كتاب الإمامة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله.

إلى الفساد والشرور، في قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾، وختمت السورة بتحذير المؤمنين من التخلي عن نصره الدين في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴾ (٣٨).

وتتناول السورة الحديث عن المنافقين وخوفهم من القتال ومهادنتهم للكفار، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ (٢٠)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُوا عَلَىٰ أَدْبُرِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۗ ﴾ (٢٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ (٢٥-٢٦).

كما إن السورة تشير إلى ضرورة تدبر القرآن الكريم منهج محمد ﷺ، الذي هو معجزة فكرية إلى يوم الدين، وعلى الرغم من عظمة هذا القرآن، فإن من البشر من لا يصل إلى حقائقه لوجود الموانع الصارفة عن فهمه التي تتمثل بالأفعال القلبية الناتجة عن السلوكيات المنحرفة، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَنَاقًا إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (١٦)، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (٢٤).

وقد برز في السورة المقابلة بين أتباع رسالة محمد ﷺ وبين الصادين عنها، وهذه المقابلة لم تتضح بهذا الشكل في غير هذه السورة، وتمثل هذه المقابلة في العرض الآتي:

الكافرون والصادون عن الرسالة المحمدية	أتباع رسالة محمد ﷺ
﴿ اتَّبِعُوا الْبَاطِلَ ﴾ (٣)	﴿ اتَّبِعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ (٣)
﴿ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ (٣٤)	﴿ كَفَرْنَا عَنْهُمْ سِيَئَاتِهِمْ ﴾ (٢)
﴿ فَتَعَسَّاهُمْ ﴾ (٨)	﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ (٢)
﴿ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ ﴿ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾ (١٣)	﴿ يَنْصُرُكُمْ وَيُثَبِّتُ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (٧)
﴿ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (١)	﴿ سَيَهْدِيهِمْ ﴾ (٥)
﴿ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ (١٦)	﴿ زَادَهُمْ هُدًى وَعَازَاهُمْ نَقُوبَهُمْ ﴾ (١٧)
﴿ وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ (١١)	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (١١)
﴿ زَيْنَ لَهُ، سُوءَ عَمَلِهِ، وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (١٤)	﴿ كَانَ عَلَى بَيْنِهِ مِنْ رَبِّهِ ﴾ (١٤)
﴿ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ (١٢)	﴿ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ ﴾ (١٢)

﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾

(١٥)

﴿ فِيهَا أَنْهَرُ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَرُ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْعَبَرَ  
طَعْمُهُ، وَأَنْهَرُ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّرِبِينَ وَأَنْهَرُ مِنْ عَسَلٍ

مُصَفًّى ﴾ (١٥)

هداية السورة:

مناهج الكفر تقود إلى الضلال وبطلان الأعمال،

ومنهج الإيمان يصلح البال والأعمال،

وسيرة الرسول ﷺ تمثل عملي لمنهج الإسلام الحق، كما أن تمثل المؤمنين

لمنهج محمد ﷺ يؤدي إلى انتصارهم وهزيمة أعدائهم

• يشير قوله تعالى في السورة: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ (١٩) يشير إلى أن التوحيد الحقيقي أساس منهج محمد ﷺ ، كما تشير إلى أهمية العلم كأساس للعمل.

• أنواع الشراب المذكورة في السورة مصفاة خالية من الكدر والشوائب، وهذا يتناسب مع إخلاص المؤمنين في نصره دينهم.

## ( ٣٤ ) سورة الفتح

مدنية، عدد آياتها ٢٩، ورقمها ٤٨

يقول ابن فارس: "الفاء والتاء والحاء أصل صحيح يدل على خلاف الإغلاق ... والفتح: النصر والإظفار".<sup>(١)</sup>

يقول المصطفوي: "الأصل الواحد في المادة هو ما يقابل الإغلاق، أي رفع الإغلاق السدّ والحجب، وهذا المعنى يختلف باختلاف الموارد والموضوعات مادياً ومعنوياً... فالفتح المطلق كما في: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝١ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ (١-٣). يراد الفتح المطلق في مسير الرسالة وإجراء وظائف النبوة وإبلاغ الأحكام الإلهية، برفع الموانع المادية والمعنوية وكشف المغلقات وإزالة الأسداد، ثم التقوية والنصر. فالمغفرة وإتمام النعمة والهداية والنصر من لوازم الفتح وآثاره".<sup>(٢)</sup>

تحدثت السورة عن أحداث صلح الحديبية وما تبعه، حيث اعتبرته السورة الفتح المبين، وذلك للإشارة إلى أهمية نتائج صلح الحديبية على الدعوة الإسلامية بفتح المغاليق أمامها، وإزالة الحواجز أمام الإسلام وتصاعده، وأن أهل الدين بدأت لهم مرحلة الصعود والظهور، كما جاء في الآية قبل الأخيرة في قوله تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٣٣٨)

(٢) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج٩، ص ١٤):

شَهِيدًا ﴿٢٨﴾، وكانت الآية الأخيرة تصويراً لحالة التصاعد الإيماني وتمكن  
الفكرة الإسلامية.

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: "تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان  
فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية..".<sup>(١)</sup>

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "لما نزلت: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾  
لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ﴿٢﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾. (الفتح ١-٥) مرجعه من الحديبية وهم  
يخالطهم الحزن والكآبة. وقد نحر الهدى بالحديبية. فقال: "لقد أنزلت على آية  
هي أحب إلي من الدنيا جميعاً".<sup>(٢)</sup>

وينقل القاسمي عن الزهري رحمه الله قوله في تفسير قوله تعالى ﴿وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا  
قَرِيبًا﴾ (١٨): "وما فتح في الإسلام فتح كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث  
التقى الناس. فلما كانت الهدنة، وضعت الحرب أو أمن الناس كلهم بعضهم  
بعضاً، فالتقوا، فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يُكَلِّم أحد بالإسلام، يعقل  
شيئاً، إلا دخل فيه. فلقد دخل في تينك السنتين في الإسلام مثل ما كان في  
الإسلام قبل ذلك أو أكثر".<sup>(٣)</sup>

ورد اسم السورة في الآية الأولى في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾. وفي  
الآية (١٨) في قوله تعالى: ﴿وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾. وفي الآية (٢٧) في قوله تعالى:

(١) صحيح البخاري، محمد اسماعيل البخاري (٤١٥٠)، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية.

(٢) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري (حديث ١٧٨٦)، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحبيبة في الحديبية.

(٣) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي (ج ٨، ص ٤٠٩).

﴿ فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾، ولكن اسم السورة جاء معرّفًا (الفتح)، مما يدل على أن السورة تتخذ من صلح الحديدية نموذجًا لكل واقعة مماثلة، فالسورة تعريف بالفتح: متطلباته ونتائجه، ويظهر تناول السورة لهذا الأمر من خلال العرض الآتي:

١. الفتح من الله: تعرف السورة بقدرة الله الفاتح للمغاليق، حيث تنسب الفتح له سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ (١)، ثم تؤكد عدة آيات من السورة قدرة الله المطلقة لتأكيد هذا المعنى، ومن هذه الآيات: ﴿ وَيَضْرُكُ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴾ (٣)، ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٤، ٧)، ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (١٤)، ﴿ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ ﴾ (٢٠)، ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ﴾ (٢٤)، ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ﴾ (٢٧)، ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (٢٨).

٢. أهل الفتح: تحدثت السورة في مواضع مختلفة عن الذين استحقوا هذا الفتح المبين، وقد ذكرت صفاتهم التي تمثلت بما يأتي:

- الإيمان المتزايد: ﴿ لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ (٤)، ﴿ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ (٢٠).
- مناصرة الله ودينه: ﴿ وَتَعَزَّزُوا ﴾ (٩)، ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ (٢٩).

• الوفاء بالعهود مع الله والالتزام بكلمة التقوى: ﴿ وَتَوَقَّرُوهُ ﴾ (٩)، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١٠)، ﴿ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ النُّقُوتِ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ (٢٦).

• طاعة الله ورسوله: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (١٧).

• اطمئنان القلوب وطهارتها: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤)، ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾ (١٨)، ﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٦).

• الشدة على الكفار: ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ﴾ (٢٩).

• التراحم بينهم: ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (٢٩).

• كثرة التقرب إلى الله بالركوع والسجود والتسبيح المستمر: ﴿ وَتَسْبِيحُهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (٩)، ﴿ تَرْتَهُمْ رُكْعًا سَجْدًا ﴾ (٢٩).

• ابتغاء الرضوان من الله تعالى: ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ (٢٩).

• صلاح الأعمال: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ (٢٩).

وتعرضت السورة لأحوال المنافقين والمشركين لإظهار الصفات السلبية للذين لا يستحقون الفتح من الله تعالى، وهي بذلك تحذر المؤمنين من هذه الصفات أو أي منها، وهذه الصفات هي:

• الظن السيء بالله تعالى: ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ (٦)، ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْفَلِبَ الرُّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ (١٢).

• الانشغال بالمال والأهل عن نصره الله ودينه: ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾ (١١).  
 • الجبن والخور: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ (١٦)، ﴿وَلَوْ قَتَلْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (٢٢).

• الكذب: ﴿يَقُولُونَ بِالسِّتَةِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ (١١).

• المزاجية والحرص على المكاسب المادية: ﴿سَكَيْفُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا أَنْطَلَقْتُمْ إِلَيْكَ مَعَانِهِمَ لِيَأْخُذُوا ذُرُونًا نَتَّبِعْكُمْ﴾ (١٥)، وهي صفة ملازمة لهم، ولكنها تظهر بوضوح بعد الفتح، لذا لا بد من أن يحذر المؤمنون وأن لا يعطى للناس دور إلا بعد اختبار يدل على صدق انتمائهم للحق.

• قلة الإدراك لحقائق الأشياء: ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسَدُونَكَ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٥).

• تقديم المصالح على ما يعتبرونه قيماً علياً: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَدَىٰ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ﴾ (٢٥).

هداية السورة:

الذين يفتحون قلوبهم لله عز وجل يفتح الله لهم البلاد وقلوب العباد وأبواب الخير، والذين يغلقون قلوبهم عن هداية الخير تُغلق أمامهم الأبواب والأسباب

## (٣٥) سورة الحجرات

مدنية، عدد آياتها ١٨، ورقمها ٤٩

الحجرات: بيوت النبي ﷺ التي كانت تسكنها أمهات المؤمنين الطاهرات رضوان الله عليهن، ولم ترد هذه الكلمة في غير هذه السورة وإنما ورد ذكر (بيوت النبي) مرة واحدة في (الأحزاب: ٥٣).

يقول ابن فارس: "الحاء والجيم والراء أصل واحد مطرد، وهو المنع والإحاطة على الشيء".<sup>(١)</sup> ويقول الرازي: "الحجرة حظيرة الإبل ومنه حجرة الدار تقول احتجر حجرة: أي اتخذها، والجمع (حُجْر) كغرفة وغرف (حجرات) بضم الجيم، والحجر: العقل، قال تعالى: ﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ﴾ (الفجر: ٥)".<sup>(٢)</sup> ويقول الأصفهاني: "وتُصوّر من الحجر معنى المنع لما يحصل فيه، ف قيل للعقل حِجْر لكون الإنسان في منع منه مما تدعو إليه نفسه"<sup>(٣)</sup> وقال الحلبي: "أصل المادة يدل على المانع منه... والحجرة من البيت لما حُوِّط به عليها من الدار، قال تعالى: ﴿ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ ﴾، أو لأنها تمنع من فيها، والأول أشبه... وسمي ما أحيط به من الحجارة حِجْرًا فعل بمعنى مفعول كالذبح، وبه سمي حجر الكعبة، ثم أطلق على كل ممنوع"<sup>(٤)</sup>.

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج ١، ٣٣٦)

(٢) مختار الصحاح، الرازي (ص ٧٦)

(٣) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (ص ١٠٨)

(٤) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف الحلبي (ج ١، ٤٣٣)

كما أصبح معروفاً ما يسمى بالحجر الصحي لأصحاب الأمراض المعدية، وفي الفقه الحجر على أموال السفهاء بمنعهم من التصرف في أموالهم.

يستفاد من معنى المنع وجود الضوابط ومنع التجاوز، وتتضمن السورة حقائق التربية الأخلاقية التي هي أهم أسس المدينة الفاضلة حتى سماها بعض المفسرين "سورة الأخلاق"، ويتضح ذلك من خلال العرض الآتي للسورة:

١. الآيات (١-٥) تضبط العلاقة مع النبي ﷺ فتمنع تجاوز أمره وحتى رفع

الصوت أمامه، قال تعالى: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (١)، ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ (٢).

٢. الآية (٦) منع التجاوز في الحكم على الآخرين مما قد يؤدي إلى إيذائهم، قال

تعالى: ﴿فَتَعَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِحِّحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾.

٣. الآية (٩): منع أي فئة من التجاوز والاعتداء في المجتمع على الآخرين، قال

تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا آلَ بَنِي نَدِيمٍ﴾.

٤. الآيات (١٠-١٢): ضبط العلاقات داخل المجتمع، بما يمنع الاعتداء على

أعراض وخصوصيات الآخرين، قال تعالى: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾، ﴿وَلَا

تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّقَابِ﴾، ﴿أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ﴾، ﴿وَلَا

تَجَسَّسُوا﴾، ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾.

٥. الآية (١٣): ضبط القيم، بالتذكير بالأصل، الواحد بما يمنع التكبر على الآخرين، وإعلان أن الكرامة الحقيقية في ميزان الله لأهل لتقوى، قال تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَكُمْ﴾.

٦. الآيات (١٤-١٥): تضبط مصطلح الإيمان على اعتبار أنه الوازع الحقيقي

لينضبط الإنسان ويمتنع عن الاعتداء على الآخرين، قال تعالى: ﴿قَالَتْ

الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَنَّهُدُوا بِأَمْوَالِهِمْ

وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، ومما يؤكد ذلك كثرة النداء بـ ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

في السورة.

٧. وختمت السورة في الآيات (١٦-١٨) ببيان علم الله الواسع الذي يقتضي أن

في تشريعاته ما يصلح البشر والمجتمعات، كما في ذلك إشارة إلى اطلاع الله

سبحانه وتعالى على أعمال الناس، وبالتالي مقدار التزامهم بالضوابط التي

حددها لهم.

ويُضاف إلى المعنى اللغوي للحجرات معنى اعتباري وهو: بيوت النبي ﷺ

وفي ذلك تأكيد على خصوصيته ومكانته ﷺ والتشديد على توقيره، بل

واعتبار ذلك من أساسيات الإيمان، قال تعالى: ﴿أَنْ نَحْبَطَ أَعْمَالَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا

تَشْعُرُونَ﴾ (٢)، والإشارة إلى أن توجيهاته عليه السلام وخاصة في ضبط

العلاقات هي مانع من الشرور والمشقة للمجتمع، قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ  
فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ﴾ (٧).

ويخلص أستاذنا لدى مراجعته للبحث إلى القول: "إن الحجرات ترمز إلى  
الخصوصية التي يجب أن تُحفظ وتُحترم، وترمز إلى الحُرُمات التي ينبغي أن  
تُحفظ ولا تنتهك، وفي حالة مراعاة ذلك كله نكون قد أحطنا بالمجتمع بما  
يحفظ كيانه".

هداية الاسم:

التزام المجتمع بعدم التجاوز للضوابط الربانية في العلاقات يحفظ كيانه

## (٣٦) سورة الذاريات

مكية عدد آياتها ٦٠، ورقمها ٥١

يقول ابن فارس: "الذال والراء والحرف المعتل أصلان: أحدهما الشيءُ يشرف على الشيء ويظله، والآخر الشيء يتساقط متفرقاً".<sup>(١)</sup> والذروة هي المنطقة الأعلى يقول الأصفهاني: "ذروة السنام وذراه أعلاه، ومنه قيل أنا في ذراك: أي في أعلى مكان من جنابك".<sup>(٢)</sup> ويقول ابن منظور في معنى الذاريات: "وذرت الريح التراب وغيره تذروه وتذريه ذرواً وذرياً وأذرته وذرتته: أطارته وسفته وأذهبته، وقيل: حملته فأثارته وأذرتة... ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾: يعني الرياح".<sup>(٣)</sup> وفسر الحلبي قوله تعالى: ﴿نَذْرُوهُ الرِّيحَ﴾ (الكهف: ٤٥): "أي أنها ترفعه وتفرقه".<sup>(٤)</sup>

ولأن الرياح عنوان للمطر والخير والرزق كما ورد في آيات متعددة في القرآن الكريم، يمكن القول إن اسم السورة فيه دلالة على الرزق والخير المنتشر، والمتدبر للسورة يجد أن موضوع الرزق هو الموضوع الأساس في السورة، ويتضح ذلك من خلال العرض الآتي:

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج ١، ٤٤٣)

(٢) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (ص ١٧٨)

(٣) لسان العرب، ابن منظور (١٤، ٣٥٢)

(٤) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف الحلبي (ج ٢، ٤٠)

١. ورد في السورة أبلغ قول في ربط الرزق بالله تعالى وتحقق وصوله للخلق، قال تعالى: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (٢٢-٢٣)، ويتضح من الآيتين: مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ ﴿

• تقديم ﴿ فِي السَّمَاءِ ﴾ على الرزق للدلالة على الاختصاص، فليس من رزق غير مربوط بالسماء.

• القسم برب السماء والأرض، وهذا قسم عظيم، على موضوع الرزق.

• تشبيه الرزق بالنطق الذي يلمسه كل أحد ولا يشك فيه شك، وقد ورد في (الآية ٥) قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴾، وذلك مباشرة بعد القسم بالرياح وغيرها، والرزق مما وعد الله به عباده.

٢. الحديث في السورة عن الكرم والإنفاق، فالكرم نشر للخير وثقة من صاحبه بصدق وعد الله تعالى، ويظهر ذلك في قصة إبراهيم عليه السلام في الآيات حيث سارع في إكرام ضيوفه وإحضاره العجل الحنيد وإصراره عليهم بالأكل، قال تعالى: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجَلٍ سَمِينٍ ﴾ (٣٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿ (٢٦-٢٧). كما يظهر ذلك في الحديث عن المتقين الذين يشرهم الله بالجنة حيث وصفهم الله تعالى بالمحسنين: ﴿ إِنَّمَا كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾ (١٦)، وفي هذا إشارة إلى عطائهم وكرمهم، كما ذكر أن من صفاتهم: ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (١٩).

٣. أقسم الله تعالى في السورة بالسماء ذات الحبك التي هي مصدر الرزق، والحبك فيه معنى المتانة والإتقان، قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْحُبُكِ﴾ (٧)، كما تحدثت آيات السورة عن سعة خلق الله، وهو مما سخر الله لعباده، ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (٤٧) ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ (٤٨) ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٤٧-٤٩)، فنعمه سبحانه غير محصورة وهي مسهلة للعباد، فلا ييأس من يتغنى عند الله الرزق.

٤. في نهاية السورة كان الإعلان من الله أنه لا يريد من عباده إطعاماً ولا رزقاً، فهو سبحانه الرزاق ذو القوة، وصفة الرزاق صيغة مبالغة، وهو ذو القوة المتين الذي لا يخشى على رزقه من الضياع، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥١) ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ﴾ (٥٧) ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (٥٦-٥٨).

ويضيف أستاذنا لدى مراجعته للبحث تعقيباً على دلالة تسمية السورة بالذاريات فيقول:

"الذاريات من الذرو الذي فيه معنى الرفع والتفريق، والذاريات هي الرياح التي عندما تهب ترفع وتفرق، وعلى وجه الخصوص ذرات الماء، ثم لا تلبث أن تجمع ذلك في سحب مثقلة بالماء تسوقها برفق ويسر إلى حيث قضى الله تعالى أن تنزل.

وكون الريح تجري بيسر؛ يُشعر أن الآيات الكريمة لا تتحدث عن العواصف المدمرة، وإنما عن الريح التي تُبشر بالمطر الذي يتزل فيصيب وفق ما هو مقسوم، فمن الأرض ما يمسك الماء ومنها الصلد الذي لا يُنبت، ومنها ما لا يُمسك فيغور الماء ولا ينبت.

وكما تُرسل الرياح فتثير سحاباً يُساق لِيُسقط المطر وفق التقدير المقسوم، يُرسل الله تعالى الرسل والدعاة فيحملون الدعوة التي فيها الرحمة إلى الخلق الذين تتفاوت قابليتهم وتفاعلهم مع الرحمة النازلة".

هداية الاسم:

تذكير المؤمن بأن الله هو الرزاق الحقيقي،  
وأن لا يتكل على الأسباب المادية الظاهرة

## سورة الطور (٣٧)

مكية، عدد آياتها ٤٩، ورقمها ٥٢

بدأ الله تعالى السورة الكريمة بالقسم بالطور، وهو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام، ونال ذلك الجبل من الأنوار والتجليات والفيوضات الإلهية ما جعله مكاناً وبقعة مشرفة. وقد وردت كلمة الطور في القرآن الكريم في تسعة مواضع أخرى غير هذه السورة، ولم ترد إلا في الجبل المخصوص الذي اختصه الله بتجليات، حيث ذكرت الآيات الكريمة أن الطور منبت الشجرة المباركة (الزيتونة) في قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِلآكِلِينَ﴾ (المؤمنون: ٢٠)، وعنده تجلى الله تعالى لموسى عليه السلام وناداه وكلمه في قوله تعالى: ﴿وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ (مريم: ٥٢)، وعنده أعطاه الألواح وواعده وواعد قومه كما جاء في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَبْجَنَّاكُمْ مِنَ عِدْوِكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ (طه: ٨٠)، وفي المقابل عنده كان الصعق لموسى عليه السلام ثم لقومه (الأعراف: ١٤٣-١٥٥)، وعنده أخذ الميثاق على قومه بالتهديد والإجبار برفع الجبل فوقهم كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ (البقرة: ٩٣)، كما أقسم الله به مرة أخرى في سورة التين في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ﴾ (التين: ١-٢).

ويستنتج أستاذنا لدى مراجعته للبحث من خلال الآيات التي ورد فيها ذكر الطور أن: "عنده كانت دواعي الإقبال والقبول، وانتفت دواعي الإدبار والنفور، وعنده كان الإنذار الذي لا يرد، وعنده كان الحفظ والرعاية".

وهذه المعاني التي استنتجها أستاذنا مبثوثة في السورة على النحو الآتي:

١. الآيات (٦-١) أقسم الله تعالى مع الطور بأمور عظيمة ومقدسة، وكأنه بذلك يلفت الانتباه إلى مواطن إجابة الدعاء ومواطن الحاجة إلى الله تعالى، فالله مثل الكتاب المسطور، وهو رب البيت المعمور في السماء الذي يعمره من يعظمون الله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض، وهو خالق البحر المسحور، وقد وردت آيات كثيرة تشير إلى دعاء البشر ربه في البحر واستغاثتهم به واستجابة الله لهم، وكان فيه دعاء يونس عليه السلام.

٢. الآيات (١٦-٧) يتجلى فيها الإنذار الذي لا يرد والمقاومة التي لا تفلح، فعذاب الله واقع ليس له دافع، والكفار يُدْعُونَ إلى نار جهنم دَعَاءً، وَيُيَكِّتُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْحُبُوبِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أُوْكَ ﴿٩﴾ قُلِ الْخَرَصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرَقٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمِ الَّذِينَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا أَرَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾

٣. الآيات (٢٨-١٧) فيها بيان جزاء المشفقين من الله تعالى والمقبلين عليه بالدعاء خوفاً وطمعاً، واللافت للنظر أن الله تعالى أطل في بيان جزاء المؤمنين وفصل

فيه أكثر مما فصل في بيان جزاء الكافرين، ويبدو ذلك متناسقاً مع اسم السورة، حيث إن الطور كان ابتداءً مكان القبول والمناجاة لموسى عليه السلام.

٤. الآيات (٢٩-٤٧) فيها التهديد والوعيد، وفيها بيان قدرة الله تعالى وتحكمه في الخلق، كما أنها تُبين عجز المشركين وضعفهم.

٥. أما ختام السورة، الآيات (٤٨-٤٩)، ففيه طمأنة للرسول الكريم محمد ﷺ، وبيان عناية الله تعالى له، وتوجيهه للتسبيح والاستعانة بالله تعالى.

وإذا نظرنا إلى اسم السورة على أن المقصود به **مطلق الجبل**، فيكون من معاني الاسم **الارتفاع**، ويتضح الارتفاع في ذكر ﴿ **وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ** ﴾ (٥)، كما أن الآيات (١١-٢٨) تذكر نموذجين من البشر نموذج المرتفعين الذين من الله عليهم وأكرمهم أيما إكرام في الجنة، فقد كانوا كما وصفتهم الآيات: ﴿ **إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ** ﴾ (٢٦)، ﴿ **إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ** ﴾ (٢٨). ونموذج الكفار حيث عرّضت الآيات بالكفار الذين ابتغوا الرفعة بغير دين الله فوصفتهم بأنهم: ﴿ **الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ** ﴾ (١٢)، كما أنهم: ﴿ **يَدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً** ﴾ (١٣)، وفي الدع إلقاء إلى الأسفل وهذا مناسب لما اختاروه في الدنيا.

وتتناول الآيات (٢٩-٤٩) مواطن عدة فيها التشريف والعلو كما أن فيها السفول والانحطاط، ويظهر التشريف والعلو بالقسم: ﴿ **بِنِعْمَتِ رَبِّكَ** ﴾،

وقوله: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، وفي ذلك تشریف للنبي عليه السلام، كما نفى عنه ما يُنقص من مكانته من قِدم باطلة أشاعها الكفار بأنه شاعر ومجنون، كما يظهر السفول والانحطاط بتعريض الآيات بالكفار كما في قوله تعالى ﴿أَمْ لَهُمْ سُلُمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ (٣٨)، وكذلك قوله: ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ (٤١)، كما وصفت الآية (٤٧) أكثرهم بالجهل وعدم العلم في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

### هداية السورة:

## الشعور بالخضوع لله العظيم طريق الرفعة في الدنيا والآخرة

- عند أهل اللغة لا يسمى الجبل طوراً حتى يكون ذا شجر.
- عند الطور كان الصعق والموت في مقابلة التكذيب، ثم كان البعث رحمة، وقد كان صعق موسى عليه السلام -الذي قدم الموعد مشتاقاً للقاء ربه- بفقدان الوعي لعدم احتماله رؤية الأنوار الربانية، أما قومه فصعقوا لتكذيبهم وتعنتهم فماتوا ثم بعثوا استجابة لدعاء موسى الرسول الهادي.
- من اللطائف في الآيتين الأخيرتين في سورة الطور أن الله تعالى خاطب محمداً ﷺ بقوله: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، ولقد كان الخطاب لموسى عليه السلام عند الطور ﴿وَلِنُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه: ٣٩)، فيعلق القاسمي على ذلك بقوله: "ونكتة جمع (العين) هنا وإفرادها في قصة الكليم، هو المبالغة في الحفظ، حتى كأن معه جماعة حفظة له بأعينهم، لأن المقصود تصبير حبيبه على المكاييد ومشاق التكليف والطاعة، فناسب الجمع"،<sup>(١)</sup> فهذا بيان لمكانة نبينا ﷺ وتشریف له.

(١) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي (ج ٨، ٥٠٨)

## (٣٨) سورة النجم

مكية عدد آياتها ٦٢، ورقمها ٥٣

يقول المصطفوي: "الأصل الواحد في المادة: هو ظهور إلى جهة علو".<sup>(١)</sup> وفي النجم إنارة، وكان تسمية السورة بأول كلمة فيها، وأول ما يخطر ببال القارئ عند سماع اسم النجم: **العلو والكشف والتنوير**، إلا أن القسم في بداية السورة كما يقول أستاذنا لدى مراجعته للبحث؛ كان بالنجم إذا هوى، والهويّ يعني: **السقوط والانحدار والهبوط أو المغيب**، ولذلك فإن القسم يحمل معنى آخر يمكن أن يفسر اسم السورة، ويمكن توضيح المعنيين كما يأتي:

**المعنى الأول:** العلو والكشف والتنوير، فنجد أنه مرتبط مع آيات السورة، وذلك على النحو الآتي:

١. العلو: علو مكانة النبي ﷺ حيث تتحدث الآيات (١-١٨) عن حادثة المعراج التي رأى فيها من آيات ربه الكبرى، وكان في هذه الحادثة ما فيها من التكريم ورفع الشأن له ﷺ.

وكذلك فإن الله يرفع مقام المؤمنين والمحسنين والمتقين حيث يجزيهم بالحسن، وذلك في الآيتين (٣١، ٣٢)، أما الآية الأخيرة فقد أمرت بالسجود الذي هو أقرب الأحوال إلى الله تعالى، فما يسجد الإنسان سجدة لله إلا رفعه الله بها.

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج١٢، ٤٤)

٢. الكشف: كشفت السورة زيف معتقدات الكفار ووهنها وذلك في الآيات (٣٠-١٩)، (٣٥-٣٣)، مثل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ (٣٠)، ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (٢٨)، ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهَوْاْ رِيءِ﴾ (٣٥).

٣. التنوير: إبراهيم وموسى عليهما السلام نجمان في التاريخ، وفي صحفهما من الإضاءة ما أنار دروب البشر كما ذكرت الآيات (٣٧-٥٤).

وأما المعنى الثاني الذي أشار إليه أستاذنا فقد أكدت الآيات على سقوط وثافت الاعتقادات السائدة بين البشر حول كون النجوم والكواكب هي المتحركة في حياة كل شخص، فقد ساد الاعتقاد بأن مواضع النجوم السماوية يمكن أن يساعد في تفسير أحداث الماضي والحاضر والمستقبل، وأن لا حرية للإنسان أمام الحتميات الفلكية.

وعند استعراض السورة نجد المعنى الذي أشار إليه أستاذنا من خلال الحديث عن الوحي المرتبط بالله تعالى في الآيات (٢-١٨)، وكذلك عبر تأكيد سيطرة الله تعالى المطلقة على كل شيء في الكون، وأن مصائر الأمم والأشياء بيده وحده سبحانه وذلك في الآيات (٢٤-٢٦) مثل قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ (٢٦)، وكذلك في الآيات (٣٦-٥٦) مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ (٤٣)، ومن ضمن الآيات السابقة قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾ (٤٩)، والشعري من أشهر

النجوم عند العرب، وقد عبده بعضهم، كما استند المكذبون للرسول بأن لديهم علم الغيب المتعلق بالنجوم - كما فعل فرعون-، وتأتي السورة لتؤكد أن الوحي الإلهي هو الذي يكشف الحقائق ويبين أن المصائر على ضوء الأعمال، وأن الله عز وجل هو مالك كل شيء وواهبه، وأنه رب النجوم التي يُنسب إليها التأثير. قال البقاعي تعقيباً على السورة: "مقصودها ذم الهوى لإنتاجه الضلال والعمى بالإخلاق إلى الدنيا التي هي دار الكدور والبلاء، والتصرم والفناء، ومدح العلم لإثماره الهدى في الإقبال على الأخرى لأنها دار البقاء في السعادة أو الشقاء، والحث على اتباع النبي ﷺ". (١)

هداية الاسم:

النجوم والأفلاك ليست مصدراً للعلم،  
ولا تؤثر في حياة البشر، والوحي الإلهي هو مصدر الحقيقة والهداية

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (ج٧، ٣١٢)

## (٣٩) سورة الرحمن

مدنية عدد آياتها ٧٨، ورقمها ٥٥

الرحمن اسم من أسماء الله تعالى الخاصة، التي لا يجوز أن يُسمّى بها غيره، وهو مشتق من الرحمة، وهو أشد مبالغة من الرحيم، لأن الرحمن هو ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا وللمؤمنين في الآخرة، والرحيم ذو الرحمة للمؤمنين يوم القيامة، وعلى هذا أكثر العلماء.

قال الطبري: "التسمية بالرحمن موصوف بعموم الرحمة لجميع خلقه".<sup>(١)</sup> ويقول المصطفوي: "الرحمن: يدل على ملء وحرارة ووفور مادياً ومعنوياً".<sup>(٢)</sup>

يقول البقاعي: "ومن مقتضى اسم (الرحمن) انبثت جميع النعم، ولذا ذكرت في هذه السورة أمّهات النعم في الدارين".<sup>(٣)</sup>

فتسمية السورة بالرحمن للتعريف برحمته العظيمة سبحانه التي تتجلى بفيض النعم على العباد في الدنيا والآخرة، ومن أبرز هذه النعم وأجلها تعليمه القرآن لما فيه من إنقاذ للبشر في الدنيا والآخرة، كما أن تعليم البيان ووضع الميزان العادل هما أساسان للحضارة البشرية.

والملاحظ أن اسم الرحمن لم يرد في سورة الرحمن إلا في الآية الأولى فقط، وكان تسمية السورة بهذا الاسم فيه تعريف بهذا الاسم العظيم من أسماء الله تعالى،

(١) تفسير الطبري (جامع البيان عن تاويل القرآن)، محمد بن جرير الطبري (ج ١، ٨٥).

(٢) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج ٤، ٩٨).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (ج ٧، ٣٧٢).

وعند دراسة آيات السورة يلاحظ أنها تدور حول معاني: الهيبة والجلال،  
والرعاية والإكرام والحفظ، والإحكام والإتقان للخلق، وكأنه يريد أن يقول  
لنا إنها لازمة لاسم الرحمن جل جلاله، وبالنظر إلى الآيات التي ورد فيها اسم  
الرحمن في القرآن الكريم يمكن ملاحظة المعاني السابقة.

ومن آيات السورة الدالة على هذه المعاني للاسم ما يأتي:

## ١. معنى الهيبة والجلال:

- ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ (٦).
- ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِهَا فَإِنَّ ۞ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (٢٦-٢٧).
- ﴿ سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ ﴾ (٣١).
- ﴿ يَمَعَشَرَ الْهِنَّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا  
لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾ (٣٣).
- ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُشْعَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ (٣٩).
- ﴿ يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِمَتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالتَّوَصِيِّ وَالْأَقْدَامِ ﴾ (٤١).
- ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ (٤٦).
- ﴿ نُبِّذَكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (٧٨).

٢. الرعاية والإكرام والحفظ: يمكن ملاحظته بشكل واضح في الآيات الأولى  
التي تتحدث عن نعم الله على الإنسان في الدنيا، من تعليم القرآن، وخلق  
الإنسان، وتعليم البيان، وتسخير السماء والأرض والبحار وما فيها له، أما

في الآخرة فالفضل والإكرام يتجلى بشكل كبير وهو يتحدث عن ما أعد للمؤمنين في الجنة في الآيات (٤٦-٧٦).

### ٣. الإحكام والإتقان للخلق: فيظهر جلياً في الآيات الآتية:

- ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ (٧).

- ﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنْعَامِ ﴾ (١٠).

- ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴾ (١٩-٢٠).

ويضيف أستاذنا لدى مراجعته للبحث تعقياً على دلالات اسم السورة بقوله:

- السورة تُعرَّفُ بمعنى الرحمن، الذي هو أبلغ من الرحيم.

- النظام الكوني قائم على رحمة الله تعالى بالكائنات.

- من الرحمة إصلاح الخلل ومنع حدوثه في الكون البديع، ومن هنا كانت

العقوبة، فالرحمن حيث الرحمة أبلغ تقتضي العدل ومنع الخلل، ومن ذلك

قولهم:

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً فليقس أحياناً على من يرحم

هداية الاسم:

معرفة المؤمن لمعاني اسم الرحمن يدفعه للتخلق بما يناسبها من الشكر والخضوع والعزة وزيادة التقرب إليه سبحانه

- ورد اسم الرحمن في القرآن الكريم في (٥٧) موضعاً اشترك في (٦) مواضع مع اسم الرحيم وذلك في الفاتحة مرتين، وبسملة النمل (آية: ٣٠)، وفي البقرة في قوله تعالى: ﴿وَالْهَكْرَإِ إِلَهٌُ وَاحِدٌ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ١٦٣)، وفي سورة الحشر في معرض الحديث عن صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى في قوله تعالى: ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (الحشر: ٢٢)، وفي سورة فصلت في قوله تعالى عن القرآن الكريم: ﴿تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (فصلت: ٢)، ولم تشترك مع صفة أو اسم آخر غيره، وفي جميع هذه المواضع تقدم اسم الرحمن على الرحيم. أما اسم الرحمن منفرداً فقد ورد في السور: مريم (١٦) مرة، طه (٤) مرات، الأنبياء (٤) مرات، الفرقان (٥) مرات، يس (٤) مرات، الزخرف (٧) مرات، الملك (٤) مرات، النبأ (٢)، وفي كل من سور الرعد والإسراء والشعراء والرحمن (مرة واحدة). أما اسم الرحيم فقد اقترن بشكل واضح ومتكرر مع الغفور والتواب، وفي غالبه كان بمعنى الرحمة المعهودة، وهي التلطف والمسامحة.
- تكرار آية ﴿فِي أَيِّ آءَاءٍ رَّبِّكُمَا تَكْذِبَانِ﴾ (٣١ مرة) تذكير بنعم الله تعالى الرحمن، وفيه استفهام استنكاري يتضمن التهديد.
- يلاحظ في السورة تقسيم لأهل الجنة إلى درجتين للإشارة إلى أن مضاعفة الرحمة ستكون لأصحاب الدرجات العالية، وكذلك التمكين لهم في الآخرة من حيث التقريب لهم.

## (٤٠) سورة الحديد

مدنية، عدد آياتها ٢٩، ورقمها ٥٧

يقول ابن فارس: "الحاء والذال أصلان: الأول المنع، والثاني طرف الشيء".<sup>(١)</sup> ويقول الأصفهاني: "الحد: الحاجز بين الشيئين.. وحد الزنا والخمر سمي به لكونه مانعاً لمتعاطيه عن معاودة مثله ومانعاً لغيره أن يسلك مسلكه".<sup>(٢)</sup> والحديد هو العنصر المعروف.

وقد ذكر اسم السورة في الآية (٢٥) في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ بَصُرِهِ وَرَسُولَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

وتتحدث الآية عن إنزال الحديد، وهو أمر يتعلق ببداية وجوده على الأرض، وأن فيه بأساً شديداً للدلالة على القوة والمنعة العسكرية، كما تشير إلى أن فيه منافع للناس، وهو ملاحظ في الجانب الاقتصادي حيث يعتبر استهلاك الدول للحديد دالاً على مقدار تطورها.

والملاحظ أن السورة مدنية وهي من أواخر ما نزل، فقد نزلت بعد فتح مكة بدليل قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا﴾ (١٠). بناءً على ما سبق فاسم السورة هو رمز

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج ١، ٢٦٣)

(٢) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (ص ١٠٩)

لقوة المجتمعات، عبر: تقوية المجتمع بالإنفاق والتكافل، وقوة العقيدة والاستقامة، ويظهر المعنيان السابقان في السورة على النحو الآتي:

١. تقوية المجتمع بالإنفاق والتكافل: فهناك دعوة واضحة متكررة للإنفاق وتعظيم شأن المنفقين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (١٨)، ونجد المعنى في الآيات (٧)، (١٠)، (١١)، وفي المقابل ذم البخل في الآية (٢٤).

والملاحظ أن المجتمعات التي يتكافل أفرادها تكون قوية في مواجهة كل الأخطار، ويصعب كسرها أو إخضاعها حتى ولو هزمت في معركة عسكرية، كما يعينها هذا التكافل على الانتصار والسيادة.

٢. قوة العقيدة والاستقامة: فتظهر من خلال تثبيت حقيقة سيطرة الله تعالى على كل شيء، وأنه رب السموات والأرض وما فيهن. وقد ورد ذلك في الآيات (٦-١)، كما أشارت الآية (٩) إلى أن التزام المؤمنين بما أنزل الله تعالى سيؤدي إلى فوزهم في الآخرة، وقد حثت الآية (١٦) الذين آمنوا إلى أن تخشع قلوبهم إلى ذكر الله تعالى.

إن تعمق المعاني السابقة في قلب المؤمن يجعل إيمانه قوياً راسخاً، ويدفعه إلى نصره الدين الحق وحمائه.

هداية الاسم:

قوة العقيدة والتكافل الاجتماعي  
سبيل المجتمعات لنصرة الدين والانتصار على الأعداء

## (٤١) سورة المجادلة

مدنية عدد آياتها ٢٢، ورقمها ٥٨

اسمها التوقيقي سورة المجادلة بفتح الدال وكسرهما، والمجادلة من الجدل، والجدل كما يقول ابن فارس: "الجيم والدال واللام أصل واحد، وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام".<sup>(١)</sup> وصيغة المفاعلة تدل على إدامته. ويقول الحلي: "وقيل: أصله من القوة، فكأن كُلاً من المتجادلين يُقوي ويُضعف قول صاحبه".<sup>(٢)</sup> فالمجادلة فيها تفاعل ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾.

تفتتح السورة بقصة المرأة التي كانت تجادل النبي ﷺ في موضوع الظهار، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ (الآية ١)، لذلك فالسورة سُميت بناءً على القصة، وفتح الدال في الاسم للدلالة على موضوع الجدل وهو الظهار، كما أن كسر الدال للدلالة على الجدل ذاته، ويرجح أستاذنا أن عنوان السورة موضوع المجادلة وهو الظهار، وهذا ما يعززه الاسم الاجتهادي للسورة كما ذكر السيوطي في الإتيان: "المجادلة سميت في مصحف أبي الظهار".<sup>(٣)</sup>

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج ١، ٢٢٢)

(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف الحلي (ج ١، ٣٥٩)

(٣) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، (ج ١، ١٧٥)

والظهار هو أن يقول الرجل لزوجته "أنتِ عليّ كظهر أمي"، وهذا القول هو  
تبديل وتحريف في المفاهيم والأحكام، وهذا محادثة لله ورسوله، وكان تشريع  
الكفارة للدلالة على خطورة الظهار لما فيه من تحريف للمفاهيم.

ويشير أستاذنا إلى أن محاور السورة الأساسية تشير إلى هذا الأمر بوضوح وذلك  
على النحو الآتي:

١. بعد أن تناولت الآيات (١-٤) موضوع الظهار وكفارته خُتِمت بقوله  
تعالى: ﴿وَاللَّكْفِيرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٤)، تلتها الآية الخامسة فوراً بالحديث عن  
الذين يجادون الله ورسوله، للدلالة على أن الكافرين يجارون الدين من  
خلال تحريف المفاهيم.

٢. تُبين الآية السابعة علم الله تعالى بما يكون بين الناس من نجوى، كما تحذر  
الآيات اللاحقة الذين يتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، وما يصدر  
عن هذه النجوى من قضايا فيها معنى **التحريف** مثل تحية الرسول ﷺ بما لم  
يُحيّه به الله تعالى.

٣. تُركز الآية (١١) على آداب مجالس العلم، لإظهار أهمية وخطورة هذه  
المجالس في الجدل والحوار المحتدم بين أهل الحق وأهل الباطل، فمجالس  
الشیطان التي تعمل على تحريف المفاهيم يُقابلها مجالس أهل الحق التي تعمل  
على تثبيت مفاهيم الحق وتجليتها وتوضيحها، وفي ذلك إشارة إلى دور  
العلماء في معركة الحق مع المخادّين للدين.

٤. الآيتان (١٢-١٣) تطلبان من المسلمين أن يقدموا بين يدي بنواهم للرسول ﷺ صدقة، وعندما لم يفعلوا بقي الطلب قائماً منهم أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وأن يطيعوا الله ورسوله، فكأن في ذلك إشارة إلى أن محاوره النصوص وما فيها من حق وخير للتصدي للباطل وحواره، يحتاج إلى قلوب طاهرة مُحبّبة.

٥. يبدو ان من أسباب انحراف الإنسان نحو التحريف في المفاهيم والأحكام موالاة أهل الكفر، التي تعني الجلوس في مجالسهم والجدال عنهم ومناصرتهم، وفي المقابل فإن الآيات تُؤكد على أن المؤمنين لا يوادون من حاد الله ورسوله، وهذا ما تناولته الآيات (١٤-٢٢).

أما **الدلالة الثانية** لاسم السورة وهو الجدل والحوار فقد يكون سبب التسمية للسورة نظراً للمحاور الآتية الواردة فيها المرتبطة بالجدال، وذلك على النحو الآتي:

١. في الجدل يسمع الناس الكلام وتبقى النوايا المتعددة في الباطن، فمنها نية الوصول إلى الحق، ومنها نية التشكيك فيه، لذا ركزت السورة على علم الله تعالى، فابتدأت بقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَهُ﴾، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ (٧)، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٧)، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١١).

٢. الجدل قد يكون تعبيراً عند البعض عن التأمر في إبعاد الناس عن الخير، أو إرشادهم إلى الحق، فقد ذكرت الآيات (٨-١٠)، (١٢-١٣)، موضوع

النجوى في جانبي الخير والشر، كما تحدثت الآيات (١٤-١٩) عن المنافقين الذين يصدون عن سبيل الله تعالى.

٣. الجدل طريق مهم للعلم، قال الرسول ﷺ: " .. وحسن السؤال نصف العلم"،<sup>(١)</sup> والتدارس يثري العلم ويقويه، وقد تحدثت الآية (١١) عن العلم ورفع الله تعالى لأصحابه الدرجات.

٤. الجدل من وسائل الصراع، لذا قسمت الآيات (١٩-٢٢) الناس الذين يتصارعون حول الحقيقة إلى قسمين: حزب الشيطان وحزب الله، وبينت أن حزب الله هم الغالبون المفلحون، وأن حزب الشيطان هم الخاسرون الأذلون، وأما الإشارة إلى عدم مودة حزب الله للذين يحادون الله ورسوله فهو أمر متعلق بالمشاعر النفسية، ولا ينفي حصول الجدل بينهم، لأن الأصل في الأفكار المتعارضة الحوار الفكري والمجادلة بالحسنى.

هداية الاسم:

الجدال وسيلة لتثبيت وإظهار الحقائق،  
وليس لتبديل وتحريف المفاهيم والأحكام

• لفظ الجلالة ذكر في كل آيات سورة المجادلة مرة أو مرتين أو ثلاثاً، وجملة ما فيها من لفظ الجلالة خمس وثلاثون.

(١) كشف الخفاء ومزيل الإلباس، إسماعيل العجلوني (١/١٤٤)، له شواهد تقتضي حسنه.

## (٤٢) سورة الممتحنة

مدنية عدد آياتها ١٣، ورقمها ٦٠

يقول ابن فارس: "المُحْنُ: الاختبار، ومحنه وامتحنه".<sup>(١)</sup> ويقول الأصفهاني: "المحن والامتحان: الابتلاء"،<sup>(٢)</sup> ويقول عن الابتلاء: "وإذا قيل ابتلى فلان كذا وأبلاه، فذلك يتضمن أمرين: أحدهما تعرّف حاله والوقوف على ما يُجهل من أمره، والثاني ظهور جودته وردائه، وربما قُصد به الأمران، وربما يُقصد به أحدهما".<sup>(٣)</sup> فالامتحان يهدف إلى الاختبار والكشف عن المخبوء في النفوس.

ورد اسم السورة في الآية (١٠) في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَهُمُ الْمُؤْمِنَةُ مَهْجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ﴾، والناظر إلى السورة يجد أن آياتها تتمحور حول فكرة الامتحان، وبالذات في موضوع الولاء للمجتمع الإيماني والبراء من الكافرين، والاستعداد للتضحية من أجل هذا الولاء، وذلك على النحو الآتي:

- الآيات (١-٣): تنبه على ضرورة الحذر من موالات الكافرين الذين يعادون الله ورسوله والمؤمنين، والتذكير أن يوم القيامة لن تنفع فيه الأرحام والأنساب، ولكن ينفع إخلاص الإنسان لله ومناصرته لدينه.

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٥٠١)

(٢) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (ص ٤٦٤)

(٣) المصدر السابق (ص ٦١)

- الآيات (٤-٦): تجعل من إبراهيم عليه السلام ومن معه من المؤمنين المخلصين مثلاً أعلى في الموالاتة من أجل الله تعالى، وإعلان العداء للمشركين، مهما تكن درجة القرطكابة بينهم.

- الآيات (٧-٩): تؤسس معالم العلاقة مع الآخر، وفيها التأكيد على أن المعاداة يجب أن تقتصر على المعادين من الكفار، وفي ذلك ابتلاء لبعض المتشددين أو المتساهلين.

- الآيات (١٠-١٢): الدعوة إلى اختبار المؤمنات اللواتي قدمن المدينة من مكة، ثم الدعوة إلى قبول العهد منهن، وفي ذلك إعلان الولاء للتجمع الإيماني.

- الآية (١٣): ختمت السورة بالنهي عن تولي الكفار، وذلك للتأكيد على محور السورة (الولاء والبراء)، وأن هذا أعظم الامتحانات.

وقد أشار قطب إلى موضوع الولاء في تعقيبه على السورة بقوله: "كان يعالج مشكلة الأواصر القريبة، والعصبيات الصغيرة، وحرص الناس على مألوفاتها الموروثة ليخرج بها من هذا الضيق المحلي إلى الأفق العالمي الإنساني".<sup>(١)</sup>

ويلخص أستاذنا لدى مراجعته للبحث دلالة اسم السورة بقوله: "تدور معاني السورة على قضية الولاء، وهذا يعني أن الامتحان الحقيقي الذي يكشف عن حقيقة الإيمان وقوته هو امتحان الولاء لله وللمؤمنين وللقائم الإسلامية".

هداية الاسم:

تظهر حقيقة الإيمان بتقديم الولاء لله ودينه على كل الولاءات الأخرى

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج٦، ٣٥٣٩)

## (٤٣) سورة الصف

مدنية عدد آياتها ١٤، ورقمها ٦١

الصّف كما يقول الأصفهاني: "أن تجعل الشيء على خط مستو كالناس والأشجار ونحو ذلك"،<sup>(١)</sup> ويقول ابن منظور: "وصفت القوم فاصطفوا إذا أقمتهم في الحرب صفاً"،<sup>(٢)</sup> وجاء في التحقيق للمصطفوي: "الاصطفاف: إنما هو شعار الخدمة والاستسلام والطاعة الصرفة والخضوع التام، وهذا المعنى في الماديات إنما يتحقق بالوقوع على خط واحد ظاهري...".<sup>(٣)</sup>

وقد ورد اسم السورة في الآية (٤) من السورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَيْنَ مَرْصُومٍ﴾.

وقد جاءت تسمية السورة بالصف في الآية الواردة كتعبير عن القتال، ولم تُسمَّ السورة بالقتال للإشارة إلى الوضع الأمثل في القتال الذي يقوم على الانضباط والوحدة القوية والتماسك والترابط، وهذا مهم جداً لأي جماعة تريد تحقيق أهدافها، وبسط السيادة وقيادة الآخرين.

ويمكن ملاحظة أهمية الاصطفاف في السيادة والغلبة من خلال العرض الآتي:

(١) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (ص ٢٨٢)

(٢) لسان العرب، ابن منظور (ج ٩، ٢٣٢).

(٣) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج ٦، ٣٠٨)

١. الآيات (٢-٤) فيها دلالة على أن نصرته الدين لا تقتصر على مجرد الادعاء والتلفظ بألفاظ معينة، بل يتطلب الأمر القتال والاصطفاف للمحافظة على هذا الدين، ويعقب أستاذنا على الآية الرابعة بقوله: "إن الآية تدل على معاني الوحدة والتجمع على الحق كطريق للسيادة ومحبة الله وتأييده".

٢. الآيات (٥-٧) تذكر اختلاف بني إسرائيل على موسى عليه السلام، وكذلك اختلافهم على عيسى عليه السلام، وهي بذلك تعرض نموذجين من الأمم السابقة تقاعست عن حماية دينها ونصرة أنبيائها، وهذا قد يشير إلى اختيار الأمة الإسلامية لقيادة العالم بعد الأمم السابقة التي لم تفلح في المحافظة على الاختيار الرباني، وتذكر الآيات أن من الأمراض التي منعت الأمم السابقة من السيادة الظلم والفسق، انظر قوله تعالى بعد ذكر قوم موسى عليه السلام: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٥)، وقوله تعالى بعد ذكر قوم عيسى عليه السلام: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٧)، فالظلم والفسق يجعلان في الصف ثغرات تُسهّل على الأعداء اختراقه، كما قد يُستنتج من الآيات أن المنحرفين من أتباع الديانتين سيكون لهم وضع خاص في عداة الأمة الإسلامية.

٣. الآيتان (٨-٩) فيها إشارة إلى السيادة التي قررها الله تعالى لدينه وأتباعه، ووعدهم بإظهار هذا الدين وعلوه وإتمام نوره، رغم كره المشركين والكافرين وعملهم الدؤوب ضده.

٤ . الآيات (١٠-١٣) فيها بيان أجر المجاهدين في سبيل الله تعالى، وبيان النتائج الإيجابية والفضل العظيم الذي يحصل عليه المجاهدون في الدنيا والآخرة، وأن الفلاح يكون بالاجتماع على الإيمان والجهاد في سبيل الله تعالى.

٥ . الآية (١٤) وهي الأخيرة في السورة تؤكد تأييد الله تعالى لأوليائه والمناصرين لدينه والمتجمعين على الحق، وتكون آخر كلمة هي ﴿ظَاهِرِينَ﴾، وكأنها تقول أنتم بالصف تغلبون عدوكم.

ويقول أستاذنا لدى مراجعته للبحث تعقيماً على هذه الآية أنهما: " تتحدث عن افتراق بني إسرائيل فرقتين، وفلاح الفرقة التي اصطفت تحت قيادة عيسى عليه السلام، وقد تكرر هذا عندما اصطفت جماعات وراء قيادة الرسول ﷺ".

هداية الاسم:

الاصطفاف لنصرة الدين طريق السيادة والغلبة في الدنيا،  
والنجاة والفلاح في الآخرة

## ( ٤٤ ) سورة المنافقون

مدنية عدد آياتها ١١ ، وترتيبها ٦٣

المنافقون هم الذين ييطنون الكفر ويظهرون الإسلام، وأصل النفاق في اللغة كما يقول الأصفهاني: "نفق الشيء: مضى ونفذ، يَنفُقُ إما بالبيع نحو نفق البيع نفاقاً، ومنه نفاق الأيِّم، ونفق القوم إذا نفق سوقهم. وإما بالموت نحو نفقت الدابة نفوقاً، وإما بالفناء نحو نفقت الدراهم تُنفق وأنفقتها... ومنه النفاق وهو الدخول في الشرع من باب والخروج عنه من باب، وعلى ذلك نَبّه بقوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (التوبة: ٦٧)، أي الخارجون من الشرع".<sup>(١)</sup>

فوصفُ النفاق يتضمن الخروج من الدين، وموت القلب ونفاد الخير منه، وفناء الحسنات، وبيع الآخرة بالدنيا، وهذه المعاني تتضمنها سورة المنافقون.

وتتضمن السورة كما يقول قطب: "حملة عنيفة على أخلاق المنافقين وأكاذيبهم ودسائسهم ومناوراتهم وما في نفوسهم من البغض والكيد للمسلمين، ومن اللؤم والخبث وانطماس البصائر والقلوب. وليس في السورة عدا هذا إلا لفتة في نهايتها إلى الذين آمنوا لتحذيرهم من كل ما يُلصق بهم صفة من صفات المنافقين، ولو من بعيد، وأدنى درجات النفاق عدم التجرد لله، والغفلة عن ذكره اشتغالاً

(١) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (ص ٥٠٢)

بالأموال والأولاد، والتعاس عن البذل في سبيل الله حتى يأتي اليوم الذي لا ينفع فيه البذل والصدقات".<sup>(١)</sup>

وقد ورد ذكر المنافقين في كثير من سور القرآن الكريم، ولكن هذه السورة سُميت باسمهم، فهي وصف لهم، وتعداد لصفاتهم الرئيسة، ويمكن استخلاص هذه الصفات كما يأتي:

١. الكذب: ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ (١).
٢. الخداع: ﴿ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ (١)، ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ﴾ (٢).
٣. الصد عن سبيل الله: ﴿ فَصَدَّوْا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (٢)، ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا ﴾ (٧).
٤. القلب المطبوع: ﴿ فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ (٣).
٥. الجهالة: ﴿ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٣)، ﴿ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٧)، ﴿ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٨).
٦. العدا للؤمنين: ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ ﴾ (٤)، ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا الْأَذَلَّ ﴾ (٨).
٧. الاستكبار: ﴿ لَوْ أَرَاهُمْ وَرَآبَتْهُمْ يُضْدُونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٥).

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج ٦، ٣٥٧٢)

إدًا فالسورة ترسم شخصية المنافقين وتحدد معالمها، كما تكشف عن طبيعة نفسياتهم، وهذا للتنبية والتحذير في قوله تعالى: ﴿هُرُّ الْعَدُوِّ فَأَحْذَرَهُمْ﴾ (٤)، وعدم الانخداع ببعض المظاهر سواء كانت في الشكل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ (٤)، أو القيام ببعض المظاهر الدينية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ (١).

أما الآيات الأخيرة في السورة (٩-١١) وعلاقتها باسم السورة، فهي وإن كانت تتوجه بالخطاب للمؤمنين، لكنها تحذر من مرض خطير قد يؤدي إلى النفاق، وهذا المرض يتمثل في الانتهاء بالمال والولد عن ذكر الله تعالى، كما تدعو الآيات إلى الإنفاق في سبيل الله تعالى والمصارعة في ذلك قبل فوات الأوان، للابتعاد عن كل ما يوصل إلى النفاق.

هداية السورة:

النفاق مرض خطير لا بد من كشف عوارضه والطرق المؤدية إليه

## (٤٥) سورة التغابن

مدنية عدد آياتها ١٨، ورقمها ٦٤

سمى الله تعالى عدة سور بأسماء يوم القيامة، والتغابن من أسماء يوم القيامة، فما علاقة هذا الاسم بالسورة؟

معنى التغابن في اللغة كما ذكر ابن منظور: "النسيان... ضعف الرأي... والغبن في البيع والشراء: الوكس، غبنه يغبنه هذا الأكثر أي خدعه... وغبت في البيع غبناً إذا غفلت عنه، بيعاً كان أو شراءً".<sup>(١)</sup> ويقول السمين الحلبي: "التغابن هو تفاعل من الغبن... وقال بعضهم: معناه أن الأشياء تبدو لهم بخلاف ما قدروها... وهو في معنى قول الله تعالى: ﴿وَبَدَأْ لَهُمْ مِنَّ اللَّهِ مَالَهُمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (الزمر: ٤٧)... وأصل الغبن الإخفاء... ومغابن الإنسان ما تثنى من أعضائه كالفخذين والمرافق... وقيل أصل الغبن النقص".<sup>(٢)</sup> وقال الرازي في الصحاح: "غبنه في البيع خدعه".<sup>(٣)</sup> وقال البقاعي: "مادة غبن تدور على الخفاء من مغابن الجسد، وهي ما يخفى عن العين، وسُمِّي الغبن في البيع لخفائه عن صاحبه".<sup>(٤)</sup> ويقول الأصفهاني: "العَبْنُ أن تبخس صاحبك في معاملة بينك وبينه بضرب من الإخفاء".<sup>(٥)</sup>

(١) لسان العرب، ابن منظور (ج١٣، ٣٧٨)

(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف الحلبي (ج٣، ١٨١)

(٣) مختار الصحاح، محمد الرازي (٢٤٧)

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (ج٨، ١٣)

(٥) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (ص ٣٥٧)

ويقول المصطفوي: "والقيامة يقال لها يوم التغابن: لأن كل فرد من المحشورين فيها يرى نفسه في مغبوتية، ويشاهد أنه قصر في العمل وسامح في السلوك إلى الكمال، ولم يجتهد سعيها في الوصول إلى المقام الأسنى، ولم يبلغ في سيره ومجاهدته إلى النهاية الممكنة له".<sup>(١)</sup>

ويضيف أستاذنا تعقيباً على المعاني اللغوية للغبن: "فالانخداع والخسارة التي يتضمنها معنى الغبن هي نتيجة الخفاء والجهالة، والكافر والعاصي يكتشف يوم القيامة عظم الخسارة التي تحل به نتيجة عدم تقديره لما تؤول إليه أعماله، فيكتشف أنه باع النعيم الأخروي الدائم بنعيم الدنيا الزائل، واشترى عذاب جهنم.

ولكن معنى التغابن يتحقق يوم القيامة عندما يستوفي الناس حقوقهم بعضهم من بعض، فيأخذ هذا من حسنات هذا، وتلقى سيئات هذا على هذا، والشاهد على ذلك قوله ﷺ: "أتدرون ما المفلس؟ قالوا: يا رسول الله المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار"،<sup>(٢)</sup> فيكون

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج٧، ٢٣٣)

(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته، الألباني (٨٧).

أوضح تفسير للتغابن هو ما جاء في هذا الحديث الشريف، فالتغابن فيه تفاعل مثل التقاتل والتخاصم، وبالتالي لم يُسمَّ يوم الغَبْن بل يوم التغابن".

وبصياغة أخرى لمعنى الغبن هو أن تبيع غالياً برخيص، أو أن تشتري رخيصاً بغال، أي أن تبيع الشيء بأقل من ثمنه، أو أن تشتري الشيء بأكثر من قيمته، وقد يكون المغبون هو الذي يُضيع فرصة ثمينة، أو يعمل عند من لا يقدر جهده وكفاءته، أو من يبذل جهده في طريق لا يحقق مراده (المنهج الخاطيء).

والمأمل للسورة يجد هذه المعاني واضحة، وكأنها تنبيه لأولي الألباب ليتجنبوا الغبن، ومن ذلك:

١. تنبيه الإنسان إلى الله تعالى المالك والعليم والقادر على الإجزاء ليتوجه إليه بعمله، وبالتالي لا يقع في الغبن، ومن الآيات الدالة على ذلك:

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١).

﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٢).

﴿ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٣).

﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِدَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (٤).

﴿ ثُمَّ لَنْبُؤَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٧).

- ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٨).

- ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١٣).

- ﴿ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (١٧).

- ﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٨).

٢. بيان أن الفوز بالجنة أمر عظيم، وأن خسارة ذلك والخلود في النار غبن كبير، بل هو الغبن الحقيقي الذي يجب العمل من أجل تلافيه، وذلك من خلال ذكر مصير كل من المؤمنين والكافرين الذين اختاروا طريقهم بعد أن بين الله لهم أسباب الهداية والضلال، وقد تجلّى ذلك في الآيتين (٩-١٠)، فذكر بعد بيان نتيجة أهل الهداية ﴿ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾، وبعد بيان مصير الكافرين ﴿ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾.

يقول أستاذنا: "إن التغابن الحقيقي يكون يوم الجمع، أما ما يحصل من تغابن في الدنيا فهو الغبن الحقيقي للغابن لمصلحة المغبون أخروياً، لذا حذرت الآيات من أن يستعجل المغبون بالانتقام لنفسه، فهو في الحقيقة غابن، وعلى وجه الخصوص عندما يعفو ويصفح ويغفر".

وقال البقاعي: "فالكافر والظالم يظن أنه غبن المؤمن بنعيم الدنيا الذي استأثر به الكافر، وبالنقص الذي أدخله الظالم على المظلوم، وقد غبنهما المؤمن والمظلوم على الحقيقة بنعيم الآخرة وكمال جزائها العظيم الدائم، فالغبن فيه لا يشبهه غبن، فقد بعث ذكر هذا اليوم على هذا الوجه على

التقوى أتم بعث، وهي الحاملة على اتباع الأوامر واجتناب النواهي لئلا يحصل الغبن بفوات النعيم ونقصانه، ويحصل بعده للكافر العذاب الأليم".<sup>(١)</sup>

٣. التنبيه على أن الأزواج والأولاد فتنة في الآيات (١٤-١٧)، وفي ذلك تذكير بما حصل لبعض المؤمنين الذين منعهم أزواجهم وأولادهم من اللحاق بالنبي عليه السلام إلى المدينة، ورأوا بعد فتح مكة أن من هاجر قد سبقهم في الفقه والجهاد، فشعروا بالغبن، ثم أكدت الآيات على ضرورة الإنفاق والابتعاد عن الشح ليصل الإنسان إلى الفلاح وإلى مغفرة الله تعالى.

ويعقب أستاذنا على هذه الآيات بقوله: "ذكرت آيات السورة صورة من أجلى صور الغبن الدنيوي، وهي عندما يجد الأب أو الأم أو الزوج أو الزوجة أن تضحياتهم تُقابل بالعداوة، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٤)".

٤. سمي الله تعالى القرآن بالتُّور في الآية (٨)، وفي ذلك إرشاد إلى اتباع المنهج السليم للابتعاد عن أن يُغبن الإنسان نتيجة اتباعه المنهج الخاطيء، فالقرآن وما فيه من توجيهات وقيم هو المنهج السليم الذي يحقق السعادة في الدنيا والآخرة.

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (ج٨، ١٣)

٥. قد يكون في المصائب أحياناً الخير بعكس ما قد يظن بعض الناس أن فيها غناً وذلك في الآية (١١)، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوْا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ١٩).

ويضيف أستاذنا لدى مراجعته للبحث على معنى اسم التغابن بقوله: "واقع الحياة الدنيا أهما حالة من التغابن المستمر، ويرجع سبب التغابن الدنيوي إلى:

- عدم وعي الإنسان لحقيقة بناء الكون القائم على العدل والتوازن.
  - الأمن من العقاب يجعل الإنسان أحرص على مصالحه الذاتية وإن كان ذلك على حساب الآخرين.
  - حب الذات المركب في النفس البشرية، مما يجعل الإنسان في حالة من الرغبة في الحياة على حساب الآخرين.
- وهذا يعني أن التصور الخاطئ للوجود الكوني والإنساني ينتج عنه حالة من الغبن المستمر، وبالتالي لا بد من علاج هذا التصور الخاطئ من خلال:
- التصور الصحيح القائم على الإيمان الديني (الإيمان الأخروي).
  - تعزيز مبدأ ﴿بَشِيرًا وَنَكِيرًا﴾ على أساس دنيوي وديني (أخروي).
  - توجيه حب الذات لمصلحة المجموع الإنساني.

هداية الاسم:

الخاسر الأكبر هو الذي يبيع آخرته بدنياه،  
ويأتي يوم القيامة محملاً بمظالم الآخرين

## (٤٦) سورة الطلاق

مدنية عدد آياتها ١٢، ورقمها ٦٥

يقول ابن فارس: "الطاء واللام والقاف أصل صحيح مطرد واحد، وهو يدل على التخلية والإرسال"<sup>(١)</sup> ويقول ابن منظور: "طلاق المرأة: بينوتها عن زوجها... وطلقت البلاد: فارقتها، وطلقت القوم: تركتهم"<sup>(٢)</sup> ويقول الفيروزآبادي عن الطالقة من الإبل: "ناقة تُرسل في الحي ترعى من جنابهم حيث شاءت"<sup>(٣)</sup>.

فالطلاق في اللغة فيه معنى المفارقة والترك والإرسال دون قيود، والطلاق الذي نتحدث عنه السورة هو الطلاق المعروف في الفقه الإسلامي وهو: إنهاء عقد الزواج بلفظ يدل عليه من قبل الرجل.

يبين الله تعالى في هذه السورة أحكام الطلاق، ويفصل فيها الحالات التي لم تفصل في سورة البقرة، فقد تضمنت سورة الطلاق الوقت الذي يمكن فيه الطلاق، وحق المطلقة وواجبها في البقاء في بيتها فترة العدة، وحقها في الخروج بعد انقضاء العدة ما لم يكن الزوج قد راجعها، كما بينت عدة الحامل والنفقة والرضاعة، فلم تدع شيئاً من الأحكام المتعلقة بالطلاق إلا بينت حكمه في دقة ووضوح، مع حشد هائل من التذكير بالتقوى.

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج ٢، ٧٧).

(٢) لسان العرب، ابن منظور (ج ١٠، ٢٧١).

(٣) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (٩١٨).

يقول قطب معلقاً على السورة: "ويقف الإنسان مدهوشاً أمام هذه السورة وهي تتناول أحكام هذه الحالة ومتخلفاتها. وهي تحشد للأمر هذا الحشد العجيب من الترغيب والترهيب، والتعقيب على كل حكم، ووصل هذا الأمر بقدر الله في السموات والأرضين، وسنن الله في هلاك العاتين عن أمره، وفي الفرج والسعة لمن يتقونه. وتكرار الأمر بالمعروف والسماحة والتراضي، وإيثار الجميل. والإطماع في الخير. والتذكير بقدر الله في الخلق وفي الرزق، وفي اليسر والعسر".<sup>(١)</sup>

والسورة تتكون من (١٢) آية، سبع منها تتناول أحكام الطلاق، أي بما يعادل ثلاثة أرباع السورة، ولذلك فإن تسمية السورة بالطلاق أمر منطقي، ولكن يبقى ربط موضوع الطلاق مع آيات السورة الأخرى، وقد تكون العلاقة على النحو الآتي:

- الآيات (٨-١٠): تتحدث حول القرى التي رفضت تعاليم الله تعالى وعقاب الله لها، وارتباط هذه الآيات بالسورة لأن الطلاق من القضايا التي قد يُظن أن من الأفضل عدم وجودها في المجتمع (مثل المجتمعات المسيحية)، أو قد يُظن أنه من الضروري تعديلها (مثل بعض الدعوات المعاصرة)، وبالتالي فقد تحاول المجتمعات تجاوزها وهو الأخطر، وتنتهي الآيات بتحذير العقلاء من مصير كمصيرهم، ولعل في هذا إشارة إلى أهمية تشريع الطلاق، وأن المجتمعات التي تضيق بتشريع الطلاق أو تمنعه، أو لا تمارسه كما شرع الله

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج٦، ٣٥٩٤)

تعالى، كل هذه المجتمعات ستكون عرضة لأن تعذب عذاباً نكراً، وأن تكون عاقبة أمرها في الدنيا خسرأً، وفي الآخرة عذاب شديد.

ويقول أستاذنا لدى مراجعته للبحث تعقيباً على إيراد الأمم التي عنت عن أمر الله في هذه السورة: "إن عتو المجتمعات يبدأ من الخلل في البناء الأساسي للمجتمعات، فعدم الالتزام بالأسس الشرعية والتقوى للتشريعات الربانية في أحكام الأسرة ومنها الطلاق يؤدي إلى العتو والانحراف".

- الآيتان (١٠-١١): تدعو الآيتان إلى اتباع النور الذي أنزل للرسول ﷺ الهادي للخروج من الظلمات إلى النور في تعليماته وأحكامه التي من ضمنها الطلاق.

- الآية (١٢): تفيد أن علم الله محيط ليس فقط بما يجري على الأرض التي يعيش عليها الإنسان، بل الأراضي الأخرى كلها يتنزل الأمر بينها، والسماوات السبع وما فيهن، كما تؤكد قدرته على كل شيء، وبالتالي فهذا يجعل موضوع الطلاق موضوعاً صادراً عن العالم القدير سبحانه، فهو الأعلم والأحكم فيما يناسب الناس في كل شيء، ولعل في الآية طمأنة للمؤمنين الذين قد تفتنهم دعوات الآخرين حول تشريع الطلاق فيظنون النقص في تشريع الله حول هذا الأمر، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ولعل سائلاً يسأل عن تسمية سورة في القرآن بالطلاق مع أن فيه فضلاً للعلاقة الزوجية التي جعلها الإسلام مقدسة، وجعل الميثاق بين الزوجين غليظاً كما قال الله تعالى: ﴿وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (النساء: ٢١)، فيجيب قطب عن

ذلك بقوله: "ولكن الحياة الواقعية للبشر تثبت أن هناك حالات تتهدم وتتحطم على الرغم من جميع الضمانات والتوجيهات. وهي حالات لا بد أن تواجه مواجهة عملية، اعترافاً بمنطق الواقع الذي لا يجدي إنكاره حين تتعذر الحياة الزوجية، ويصبح الإمساك بالزوجية عبثاً لا يقوم على أساس!".<sup>(١)</sup>

فاسم السورة يوجه إلى أن تشريعات الإسلام واقعية، ودليل على شمولية هذه التشريعات حيث لكل مشكلة تشخيص وحل، كما أن تخصيص سورة للطلاق فيه إشارة واضحة إلى أن الطلاق في الإسلام هو مجموعة تشريعات مترابطة محفوفة بالتقوى، الإخلال بإحداها أو التلاعب والتحايل في تطبيقه يُخلّ بالصورة النافعة لهذا التشريع ويجعل له آثاراً سلبية.

هداية السورة:

تشريعات الإسلام من لدن عليم قدير، ولذلك فهي واقعية تُصلحُ المجتمعات،  
والتعالى عليها والإدبار عنها يؤدي إلى دمار المجتمعات وهلاكها

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (٦، ٣٥٩٧)

## (٤٧) سورة الملك

مكية عدد آياتها ٣٠، وترتيبها ٦٧

يقول الأصفهاني: "والمَلِكُ ضربان: مَلِكٌ هو التَمَلُّكُ والتَوَلَّى، ومَلِكٌ هو القوة على ذلك تَوَلَّى أو لم يتولَّ... فالمَلِكُ ضبط الشيء المتصَرَّف به بالحكم".<sup>(١)</sup>

ويقول ابن فارس: "الميم واللام والكاف أصل صحيح يدل على قوة في الشيء وصحة".<sup>(٢)</sup>

ويقول المصطفوي: "والتحقيق أن الأصل الواحد: هو التسلط على شيء، بحيث يكون اختياره بيده، وهذا التسلط إما بالنسبة إلى ذات الشيء أصلاً وفرعاً، كما في مالكيّة الله لخلقه. أو بالنسبة إلى الذات اعتباراً، كما في المملوك والمبيع. أو بالنسبة إلى ما يستفاد منه، كما في الإجارة والنكاح. وإما بالنسبة إلى أمورهم ووظائفهم الاجتماعية، كما في تسلط الحاكم والسلطان. وإما تسلطاً على النفس وهواه، كما في النفوس المهذبة المرتاضة. وغيرها من أنحاء التسلط".<sup>(٣)</sup>

ورد اسم السورة في أول آية فيها، وهذا الافتتاح يدل على منتهى كمال الله تعالى لأنه افتتاح "يؤذن بأن ما حوته يحوم حول تزيه الله تعالى عن النقص الذي

(١) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (٤٧٢)

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٥٢٣)

(٣) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج١١، ١٧٧)

افتراه المشركون لما نسبوا إليه شركاء في الربوبية والتصرف معه والتعطيل لبعض مراده".<sup>(١)</sup>

وبناءً على ذلك يمكن القول إن اسم السورة يوحي بأن السورة تدور حول الملك المطلق، أو الملك الكامل، وهو الملك الذي يليق بجلال الله تعالى، أي أن السورة هي تعريف لملك الله سبحانه وتعالى الذي يختلف عن ملك البشر، فالله عز وجل بيده الملك، فهو المالك له، المهيمن عليه، المتصرف فيه، قال تعالى:

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَبِيدُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران: ٢٦).

يقول القاسمي نقلاً عن المهامبي: "سميت به لاشتغالها على كثير مما ينبغي أن يكون عليه الملك من كثرة الخيرات، وعموم القدرة، والإحياء والإماتة، واختبار أعمال الناس، والغلبة والغفران، ورفع الأبنية لخدمته وعدم التفاوت في رعاياه، وتزيين بلاده، والقهر على الأعداء، والترحم على الأولياء، والأمن ورخص الأسعار، وأن لا يقدر أحد على نصر من عاداه، وعلى رزق من منعه".<sup>(٢)</sup>

ويقول البقاعي: "مقصودها الخضوع لله لاتصافه بكمال الملك الدال عليه كمال القدرة الدال عليه قطعاً إحكام المكونات، الدال عليه تمام العلم، الدال عليه مع إحكام المصنوعات علم ما في الصدور، لينتج ذلك العلم بتحتم البعث لدينونة العباد على ما هم عليه من الصلاح والعناد، كما هي عادة الملوك في دينونة

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٢م، ج ٢٩، ٩)

(٢) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي (ج ٩، ١٨٧)

رعاياهم لتكامل الحكمة وتتم النعمة.. واسمها الملك واضح في ذلك لأن الملك محل الخضوع من كل من يرى الملك".<sup>(١)</sup>

وعند تدقيق النظر في السورة يمكن ملاحظة تناول السورة لعناصر الملك الكامل التي يتصف به الله تعالى، من خلال العرض الآتي:

١. يقترن الملك التام الكامل بالقدرة المطلقة، وهو ما تصرح به الآية الأولى في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وتشير إليه آيات أخرى من السورة بطريقة غير مباشرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكِنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (٢٨)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ (٣٠)، وقوله تعالى: ﴿أَمْنَ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ (٢٠).

٢. يتميز الملك التام والمعتبر بالهدفية وعدم العيشية، فمن المهم أن تكون أفعال الملك وقوانينه فيها الحكمة وتحقيق المصلحة والنفع، وهذا ما بينه قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (٢).

٣. إن من علامات الملك الكامل المهمة أن يكون الملك قادراً على تغيير معالم ما يملك، أو جزء منه، بالإيجاد أو التغيير أو الإفناء، وهذا الأمر واضح في السورة، فالله عز وجل هو الذي يملك قانون الموت والحياة الساري على

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (ج٨، ٦٢)

كل الأحياء في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ (٢)، وهو الذي  
 أوجد السموات وما فيها في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾  
 (٣)، وهو الذي ذلل الأرض للإنسان في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ  
 الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ (١٥)، وهو الذي هيأ الحياة للإنسان في قوله  
 تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفِيدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ  
 ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٢٤-٢٣).

٤. ومن أهم علامات الملك التام السيطرة على كل ما يقع في ملكه، وهذا  
 يحتاج إلى علم كامل، ونفاذ الأمر دون تخلف، وهذا ما تحدثت عنه آيات  
 كثيرة في السورة، فالآيتان (١٣-١٤) تظهران بوضوح علم الله الكامل في  
 قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٣) **﴿١٣﴾** أَلَا يَعْلَمُ مَنْ  
 خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ  
 مُّبِينٌ﴾ (٢٦).

وتُظهر آيات عديدة أن الله تعالى مسيطر على كل المخلوقات، ومنها قوله  
 تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَقَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ  
 شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ (١٩)، وأنه وحده الذي يرزق: ﴿أَمَنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ  
 رِزْقَهُ، بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ (٢١)، وأن استمرار وجود البشر في الأرض  
 إنما هو بمشيئة الله تعالى، وهذا ما تظهره الآيات (١٦-١٧) في قوله تعالى:

﴿ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ ﴾ .

٥. ومن علامات الملك التام أن يكون الملك قادراً على معاقبة من يخالف الأمر ومكافأة من يطيعه، وهو ما تظهره آيات كثيرة في السورة، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَيَسُ الِّمَصِيرُ ﴿٥-٦﴾، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (١٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٌ ﴾ (١٨)، وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّتَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴾ (٢٧).

ويلخص أستاذنا لدى مراجعته للبحث تعقياً على اسم السورة بقوله: "الأصل أن من بيده الملك يتعاضم ويتزايد خيره، وهذا ما يفهم من قوله ﴿ تَبَرَّكْ ﴾، ومن هنا ينبغي أن يكون الملك مصدر فيض الخير. ومن معاني البركة التي هي الخير الإلهي الثابت في الشيء عدم السماح بالخلل على المستوى الكوني ﴿ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ﴾ (٣) كما جاءت العقوبات الدنيوية والأخروية".

هداية السورة:

الله تعالى صاحب الملك الكامل وهو وحده المستعان وعليه التكلان

## (٤٨) سورة المعارج

مكية، عدد آياتها ٤٤، ورقمها ٧٠

يقول الأصفهاني: "العروج: ذهاب في صعود".<sup>(١)</sup> ويقول الرازي: "عرج في السلم: ارتقى وعرج... والمعراج: السلم، ومنه ليلة المعراج، والجمع معارج ومعاريج".<sup>(٢)</sup> ويقول المصطفوي: "الأصل الواحد في المادة: انتهاء في صعود، فتطلق على المرتبة الأخيرة من الصعود".<sup>(٣)</sup> فالمعراج بمعنى المراقي، وفيها معنى السمو والصعود والارتقاء.

وقد وصف الله تعالى في هذه السورة بأنه ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾<sup>(٤)</sup>، حيث تعرج الملائكة والروح إليه (الآيات: ٣-٤)، وهذا الوصف كما قال المصطفوي: "إشارة إلى مقام العظمة والكبرياء له تعالى"،<sup>(٥)</sup> ويقول الطاهر بن عاشور: "وإجراء وصف ذي المعارج على اسم الجلالة، لاستحضار عظمة جلاله، وإدماج الإشعار بكثرة مراتب القرب من رضاه وثوابه".<sup>(٥)</sup> ويمكن ملاحظة معنى الصعود من خلال العرض الآتي:

١. يبدو أن الصلاة أمر مركزي في العروج إلى الله تعالى، فقد ابتدأت الآيات التي تحدثت عن صفات أهل الجنة المكرمين: بالديمومة على الصلاة، وأنتها

(١) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (ص ٣٢٩)

(٢) مختار الصحاح، محمد الرازي (ص ٢٢٥)

(٣) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج ٨، ص ٩١)

(٤) المصدر السابق (ج ٨، ص ٩٢)

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور (م ١٢، ج ٢٩، ص ١٥٦)

بالمحافظة على الصلاة، ومما يقوي هذا المعنى أن الصلاة فرضت بشكلها النهائي في ليلة المعراج، وإضافة إلى الصلاة فقد ذكرت السورة صفات أخرى ترتقي بأصحابها عن باقي البشر والمخلوقات، ويعرجون إلى ربهم بهذه الممارسات (الآيات ٢٢-٣٥)، وتظهر مقدمة السورة أن الارتقاء يوم القيامة والنجاة من النار لا يكون بنسب أو قرابة أو صحبة أو مال (الآيات ٦-١٨).

٢. وفي مقابل أهل العروج إلى الله فقد ذكرت السورة في (الآيات ٣٧-٤٤) قسماً آخر من البشر شأنهم تافه حقير، فهم في الدنيا قضوا أعمارهم ﴿يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا﴾ (٤٢)، وفي الآخرة ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهَهُمْ ذُلَّةً﴾ (٤٤)، وليس لهم أمل في دخول الجنة التي هي درجات عالية لا تليق بأمثالهم، وأيضاً وصفت (الآيات ١٩-٢١) الإنسان غير المصلي بالهلوع، وهذا وصف مهين.

ويضيف أستاذنا لدى مراجعته للبحث في توجيه اسم السورة بقوله: "العذاب الواقع غير المنذع هو ممن له العظمة والكبرياء، فمقام العظمة والكبرياء يشير إلى أن الإنسان أصغر من أن يعبث مع من له المقام، وحتى الملائكة المقربة تتدرج في الصعود والارتقاء إلى مقام الجلالة، ويحتاج ذلك إلى سنوات ألوف متطاولة حتى يكون القبول والإدناء، وحتى أهل الإيمان والعمل الذين يتسلحون بمتطلبات الارتقاء هم على خطر، فالعجب كل العجب ممن كفروا ثم هم يطمعون في جنة الكبير المتعال".

هداية الاسم:

العروج إلى الله تعالى يقتضي من المسلم الالتزام بصفات أهمها إقامة الصلاة

## (٤٩) سورة نوح (عليه السلام)

مكية عدد آياتها ٢٨، وورقمها ٧١

سميت هذه السورة باسم نوح النبي عليه السلام، مثل أخواتها التي سميت بأسماء أنبياء، وهذه السورة واضحة في ارتباط اسمها مع بنية السورة، فقد استغرق الحديث عن نوح عليه السلام كل السورة، فلا يحتاج هذا الاسم إلى ربط مدروس، ولكن ماذا يستفاد من اسم السورة، وما هي الإشارات في سياق السورة إلى تسميتها بهذا الاسم؟

من المعروف أن قصة نوح عليه السلام نقطة تحول في التاريخ الإنساني، وهي تشبه في أهميتها قصة يوسف عليه السلام، ولكن قصة نوح تضمنت التكذيب والإهلاك، بينما كانت قصة يوسف عليه السلام تصويراً لبناء حضاري.

ورد اسم النبي نوح عليه السلام في القرآن الكريم في (٤٣) موضعاً، وقد وردت قصته في مواضع متعددة، إضافة إلى سورة نوح، هي: سورة الأعراف في الآيات (٦٤-٥٩)، سورة يونس عليه السلام في الآيات (٧٣-٧١)، سورة هود عليه السلام (٤٩-٢٥)، سورة الأنبياء في الآيتين (٧٧-٧٦)، سورة المؤمنون في الآيات (٢٣-٣٠)، سورة الفرقان في الآية (٣٧)، سورة الشعراء في الآيات (١٢٢-١٠٥)، سورة العنكبوت في الآيتين (١٥-١٤)، سورة الصافات في الآيات (٨٢-٧٥)، سورة القمر في الآيات (١٧-٩).

ولكن الملاحظ أن التفاصيل التي وردت في سورة نوح لم تتحدث عن الإهلاك والظوفان كما كان في المواضع المذكورة، وإنما ركزت السورة على المحاولات المكثفة من نوح عليه السلام لإنقاذ قومه.

يقول قطب: "هذه التجربة الميرة تعرض على رسول الله ﷺ وهو الذي انتهت إليه أمانة دعوة الله في الأرض كلها في آخر الزمان، واضطلع بأكبر عبء كُلفه رسول. يرى فيها صورة الكفاح النبيل الطويل لأخ له من قبل، لإقرار حقيقة الإيمان في الأرض. ويطلع منها على عناد البشرية أمام دعوة الحق؛ وفساد القيادة الضالة وغلبتها على القيادة الراشدة. ثم إرادة الله في إرسال الرسل تترى بعد هذا العناد والضلال منذ فجر البشرية على يدي جدها نوح عليه السلام.

وتعرض على الجماعة المسلمة في مكة، وعلى الأمة المسلمة بعامة، وهي الوارثة لدعوة الله في الأرض، وللمنهج الإلهي المنبثق من هذه الدعوة، القائمة عليه في وسط الجاهلية المشتركة يومذاك، وفي وسط كل جاهلية تالية ... ترى فيها صورة الكفاح والإصرار والثبات هذا المدى الطويل من أب البشرية الثاني. كما ترى فيها عناية الله بالقلة المؤمنة، وإنجاءها من الهلاك الشامل في ذلك الحين".<sup>(١)</sup>

وعند تدبر سورة نوح عليه السلام نجدها تبين المعالم الرئيسة لدعوته عليه السلام، وهي الدعوة التي استمرت قرابة الألف عام، وهذه المعالم يحتاجها كل داعية إلى الله تعالى على مر التاريخ، وتتلخص هذه المعالم بالآتي:

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج٦، ٣٧٠٧)

١. الوضوح: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٢)، ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾ (٣).
٢. الحرص على المدعوين: ﴿يَقَوْمٍ﴾ (٢)، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ (٥)، ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ (٧)، ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ (٨) ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ (٨-٩).
٣. المثابرة والعزم: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ (٥)، ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ (٨) ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ (٨-٩).
٤. تنويع الأساليب: ﴿يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَوِّعْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (٤)، ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ (٨) ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ (٨-٩)، ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ (١٠) ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ (١١) ﴿وَيُمَدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (١٠-١٢)، ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (١٣) ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ (١٣-١٤). يقول قطب: "ونوح عليه السلام وجه قومه إلى هذه الحقيقة لتستشعر قلوبهم يد الله وهي تنبتهم من هذه الأرض نباتاً، وهي تعيدهم فيها مرة أخرى. ثم تتوقع النشأة الأخرى وتحسب حسابها، وهي كائنة بهذا اليسر وبهذه البساطة. بساطة البداهة التي لا تقبل جدلاً! وأخيراً وجه نوح قلوب قومه إلى نعمة الله عليهم في تيسير الحياة لهم على هذه الأرض وتذليلها لسيرهم ومعاشهم وانتقالهم وطرائق حياتهم: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ (١١) ﴿لَسْتُمْ لَهَا مِنْهَا سُبُلًا مُّجْتَابًا﴾ (١٩-٢٠). وهذه الحقيقة القريبة من

مشاهدتهم وإدراكهم تواجهم مواجهة كاملة، ولا يملكون الفرار منها كما كانوا يفرون من صوت نوح وإنذاره".<sup>(١)</sup>

٥. التحذير من الانحرافات العقديّة: ﴿ وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ الْهَتَكُ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ﴿ (٢٣-٢٤).

من خلال ما سبق يتضح أن السورة تجعل من نوح عليه السلام قدوة مثالية لكلّ الدعاة إلى الله على مرّ العصور، في صبره ومثابرتة، وتنويعه في أساليب الدعوة، وحرصه على هداية قومه، وتركيزه على القضايا الجوهرية والأساسية.

هداية السورة:

الداعية إلى الله تعالى

يتخذ من نوح عليه السلام منارة له يهتدي بها، وقدوة يسير على خطاها

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج٦، ٣٧١٥)

## (٥٠) سورة الجن

مكية عدد آياتها ٢٨ ورقمها ٧٢

يقول الرازي: "الجن ضد الإنس الواحد جنّي، قيل: سميت بذلك لأنها تُتقى ولا تُرى"،<sup>(١)</sup> ويقول الطناحي: "مادة جنن ترجع إلى أصل واحد في اللغة وهو الستر والتستر والتغطية".<sup>(٢)</sup>

والجن أمة مستترة عن حواس البشر وإدراكهم كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرُنْكُمُ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ (الأعراف: ٢٧)، فكان القسم الأول من السورة (الآيات ١-١٩) يصف أحوال الجن وتفاعلهم مع القرآن الكريم، فما علاقة الجزء الثاني من السورة (الآيات ٢٠-٢٨) مع اسم الجن؟

يمكن أن تتضح العلاقة من خلال التفصيل الآتي:

١. الآية (٢٠) فيها الأمر بإعلان الرسول ﷺ لعبوديته لله تعالى، وهذا تعريض بعبادة بعض البشر للجن كما ذكرت آيات القسم الأول.
٢. الآيات (٢١-٢٤) فيها بيان أن الضر والنفع بيد الله وحده، وهذا أيضاً تعريض ببعض البشر الذين كانوا يستجيرون بالجن ويطلبون حمايتهم فزادوهم رهقاً.

(١) مختار الصحاح، محمد الرازي (ص ٧٠)

(٢) من أسرار اللغة في الكتاب والسنة، محمود الطناحي (ج ١، ٢٧٤)

٣. الآيات (٢٥-٢٨) تؤكد على اختصاص الله وحده بعلم الغيب، وأنه لا يطلع على هذا الغيب إلا من ارتضى الله من الرسل عليهم السلام، فيطلعهم سبحانه على بعض هذا الغيب، ويسلك من بين أيديهم ومن خلفهم رسداً لكي لا يستطيع أحد من البشر أو الجن أن يصلوا إلى ما علموه، وفي ذلك إشارة إلى أن الجن لا يعلمون الغيب كما يعتقد بعض البشر.

٤. الحديث عن الشرك في القسم الثاني من السورة مناسب لأن بعض الناس يشركون الجن مع الله تعالى، وقد ورد ذلك في عدة آيات في القرآن الكريم؛ في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ﴾ (الأنعام: ١٠٠)، وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (الأنعام: ١١٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرِ الْجِنَّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ﴾ (الأنعام: ١٢٨)، وقوله تعالى: ﴿ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرَهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴾ (سبأ: ٤١)، وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا ﴾ (الصافات: ١٥٨).

وبعبارة موجزة قد يكون تسمية السورة باسم الجن في القرآن الكريم ليقول الله للمؤمنين: هؤلاء هم الجن الذين سترتهم عن رؤيتكم، فلا تسألوا عنهم أحداً غيري. ويخلص أستاذنا لدى مراجعته للبحث إلى أن "السورة تعريف بالجن من قبل الجن أنفسهم وعلى لسانهم، وتُشعر أنهم كالإنس، ومن هنا تبطل الادعاءات حولهم".

هداية الاسم:

الوحي هو المصدر الوحيد للتعريف بالغيبيات، ودون مبالغات البشر وإضافاتهم

## (٥١) سورة المزمل

مكية عدد آياتها ٢٠، ورقمها ٧٣

يقول ابن فارس: "الزاء والميم واللام أصلان: أحدهما يدل على حمل ثقل من الأثقال، والآخر صوت".<sup>(١)</sup> ويقول المصطفوي: "المزمل: أصله المتزمل، وتزمل فلان: إذا تلفف بثيابه، وكل شيء لُفّف فقد زُمِل... والأصل الواحد في هذه المادة: هو التحمل على صورة التلفف، أي ما بين حمل ولف".<sup>(٢)</sup> ويقول ابن منظور: "والزاملة: بعير يَسْتَظْهَرُ به الرجل يحمل عليه متاعه وطعامه".<sup>(٣)</sup>

وقد يستغرب القارئ هذا الوصف من الله تعالى لحبيبه محمد ﷺ في بدايات مخاطباته له، ولكن هذا الوصف ليس ذمّاً، بل هو تعريف وتذكير بحقيقة شخصيته البشرية أمام رسالة الله تعالى وثقل الأمانة، يتلوه وصفه سبحانه الدواء المعين على حمل هذه الأمانة العظيمة، كما أن هذا الدواء يصلح للتقويّ به لكل الأشخاص في أي مرحلة، ويقوم هذا الدواء على عدة عناصر هي: قيام الليل والصلوات المفروضة، ترتيل القرآن، الذكر، الصبر، كثرة العبادة، الإخلاص، إيتاء الزكاة، الاستغفار، وهذا قد يكون جواباً عن سبب تزلّم النبي ﷺ، فإنه قد شعر بثقل ما أهمه وأخافه.

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج ١، ٥٣٣)

(٢) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج ٤، ٣٦٨)

(٣) لسان العرب، ابن منظور (ج ١١، ٣٧١)

ومن خلال استعراض آيات السورة يتضح ارتباطها بالدواء الموصوف:

١. ﴿إِنَّا سَأَلْنَا عَلَيْكَ قَالَ ثَقِيلًا﴾ (٥): فالقرآن الكريم قول ثقيل، وبدون التقوي

لا يستطيع الإنسان حمل أمانة تبليغه وتطبيقه.

٢. ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ (٦): فمن تعود القيام في الليل يقوى

على حمل أمانة الرسالة.

٣. ذكرت الآيات (١١، ١٥-١٦) فرعون ومن سبقه من المكذبين أولي النعمة

للإشارة إلى أن الإنسان لا يتقوى بالمال أو الجاه كما يظن البعض، ولكن ذلك قد يؤدي إلى الوبال والأنكال والعُصّة في العيش.

٤. الآية الأخيرة فيها تخفيف عن المؤمنين في موضوع قيام الليل بسبب ظروف

ومشاغل مختلفة، ومع ذلك ينبغي المحافظة على الحد الأدنى من دواء التقوي،

قال تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا يَسَّرَ مِنْهُ﴾ (٢٠).

ويذكر البقاعي عبارة جميلة في بيان مقصود السورة يرتبط بالمعاني المذكورة

فيقول: "مقصودها الإعلام بأن محاسن الأعمال تدفع الأخطار والأوجال،

وتخفف الأحمال الثقال، لا سيما الوقوف بين يدي الملك المتعال، والتجرد في

خدمته في ظلمات الليال، فإنه نعم الإله لقبول الأفعال والأقوال، ومحو ظلل

الضلال، والمعين الأعظم على الصبر والاحتمال، لما يرد من الكدورات في دار الزوال، والقلعة والارتحال، واسمها المزمّل أدل ما فيها على هذا المقال".<sup>(١)</sup>

ويضيف دلالة أخرى للاسم: "فيه مع ذلك إشارة إلى البشارة بالقوة على حمل أعباء ما يراد به، من قولهم: زمّل الشيء، إذا رفعه وحمله... ويقال للرجل العالم بالأمر: هو ابن زوملتها".<sup>(٢)</sup>

ويقول المصطفوي تعقيباً على اسم السورة: ﴿يَأْتِيهَا الْمَرْزَلُ﴾ (١-٢) يراد تلففه بأمور ظاهرية وتعلقه بعلائق وأفكار قلبية، وتحمله بأحمال باطنية ثقيلة، فيؤمر بالقيام لله والتوجه الخالص إليه، وطرح قاطبة العلائق المحيطة، ثم ترتيل القرآن أي جعله أمام مشيه وسلوكه والاتباع عما يوحى إليه بالقاطعية والانقطاع الكامل عن العلل الظاهرية والأفكار الشخصية".<sup>(٣)</sup>

هداية الاسم:

قيام الليل والتوجه الخالص لله  
من أعظم ما يعين المرء على حمل أمانة الدين الثقيلة

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (ج٨، ٢٠٢)

(٢) المصدر السابق (ج٨، ٢٠٣)

(٣) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج٤، ٣٦٧)

## (٥٢) سورة المدثر

مكية عدد آياتها ٥٦، ورقمها ٧٤

المدثر كما يقول الأصفهاني: "أصله المدثر فأدغم وهو المتدرع دثاره... ورجل دثور: حامل مستتر، وسيف دائر: بعيد العهد بالصقال، ومنه قيل للمترل الدارس دائر لزوال معالمة".<sup>(١)</sup> ويقول المصطفوي: "المدثر بما يُحيط به والمتغطي بما يحجبه عن الاجتهاد والفعالية، من خمول وسكون وكسل وتلفف بما يمنعه عن الحركة والعمل وتعلقات زائدة. فهذه الكلمة لا تختص بلبس الدثار ونحوه".<sup>(٢)</sup> ويقول ابن فارس: "والدثور: الرجل النؤوم، وسمي لأنه يتدثر وينام. فأما قولهم رسم دائر، فهو من هذا، وذلك انه يكون ظاهراً حتى تهب عليه الرياح وتأتيه الروامس فتصير له كالدثار فتغطيه".<sup>(٣)</sup>

فالتدثر يعني التغطية والخمول والسكون والبعد عن الحركة، وابتداء السورة ببناء النبي عليه السلام — ﴿يَأْتِيهَا الْمَدَّثِرُ﴾ (١) ودعوته للقيام ﴿قُرْ فَأَنْذِرْ﴾ (٢)، فيه إشارة إلى وضع النبي ﷺ قبل النبوة حيث خمول الذكر وعدم معرفة الناس بشأنه، لذا كان كفار مكة يقولون: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف: ٣١)، فأمر بالقيام وحمل الدين ليصل إلى المكانة العالية التي تليق به ﷺ .

(١) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (١٦٥)

(٢) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج٣، ١٩٦)

(٣) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج١، ٤٣٢)

يقول البقاعي: "ولما كان في حال تدثره قد لزم موضعاً واحداً فلزم من ذلك إخفاء نفسه الشريفة، أمره ﷺ بالقيام، وسبب عنه الإنذار إشارة إلى أن ما يراد به من أنه سيكون أشهر الخلق بالرسالة العامة، مقتضى لتشميم الذيل بكل اعتبار والحمل على النفس بغاية الجِد والاجتهاد اللازم عنه كثرة الانتشار، فهو مناف للتدثر".<sup>(١)</sup>

كما قد يكون في الاسم إشارة إلى وضع الأمة قبل الرسالة من حيث الخمول والاستتار وقلة الشأن بين الأمم، فجاءت هذه الرسالة لترفع شأنها، وتقيم لها حضارة وترتقي بها حتى تصبح قائدة الأمم، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ (الزخرف: ٤٤).

ومن خلال استعراض آيات السورة نلاحظ ارتباطها بمعاني اسمها على النحو الآتي:

١. تحدثت الآيات الأولى (٢-٧) عن الأساسيات التي يجب الاعتناء بها لقيام الشأن وقد تمثلت بـ (تكبير الله، الطهارة، هجر الأوثان، الصبر).
٢. تحدثت الآيات (١١-٢٦) عن نموذج بشري آتاه الله الملك والجاه والسلطان، لكنه لم يسلك السلوك الأمثل ليكون حاله قائماً وحسناً، فاندثر ماله، وكان ماله الويل والهلاك والعذاب الشديد.

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (ج ٨، ٢٢١)

٣. تناولت الآيات (٣٠-٣٧) موضوع الإعجاز العددي في الرقم ١٩، الذي قد يكون له شأن عظيم في نصره الدين ورفع شأن أصحاب هذه الرسالة.

٤. تصور الآيات (٤١-٥٣) حال الكفار والمعرضين عن الدين بعد قيام النبي عليه السلام بالإندار، حيث إنهم لم يأخذوا بما يرفع شأنهم، فهم لا يصلون ولا يطعمون المسكين ويكذبون بيوم الدين، وهم كالحمر المستنفرة التي فرت من قسورة.

٥. وتختتم السورة ببيان أن موضوع الآخرة مهم جداً في حياة الفرد لإصلاح شأنه وقيام حياته، والتأكيد على أن القرآن الكريم تذكرة يهدي للتي هي أقوم.

ويعقب أستاذنا لدى مراجعته للبحث على دلالة معنى السورة بقوله: "السورة فيها خطاب لكل من سكن وركن إلى الخمول أن يقوم بواجب الإنذار ويستعين على ذلك بما أرشده خالقه، وليعلم أن الخلق في قبضة الخالق في الدنيا والآخرة، وأنه ينصر الحق ويخذل الباطل، وأن رسالته تستبطن عوامل نصرها فما عليه إلا أن يقوم بواجب التبليغ، فالدعاة الذين تركوا القعود يفوزون في الدنيا والآخرة، فمصيرهم إلى زيادة فلاح، أما المعاندون والمعرضون فمصيرهم إلى تراجع وزيادة خسران".

ويضيف: "قد يكون من معاني التدثر الهرب من البرد أو كردة فعل لما يخيف كما حصل مع النبي صلى الله عليه وسلم في حادثة نزول الوحي، ولكنه هرب ساذج فالأولى عدم الهرب مما يخيف، بل العمل على ما يؤدي إلى الأمن الحقيقي في

الدنيا والاخرة، ونلاحظ معاني الخوف في السورة، والتذكير بمصدر الأمن وهو القرآن الكريم وما فيه من عجائب ومعانٍ وتذكير بالحقائق".

كما يذكر أستاذنا فرقاً بين سورتي المزمل والمدثر: "في المزمل طلب القيام لبناء النفس، وفي المدثر طلب القيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى".

هداية الاسم:

التشمير وحمل النفس على غاية الجدي في القيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى  
طريق الرفعة وعلو الشأن

## (٥٣) سورة القيامة

مكية عدد آياتها ٤٠، ورقمها ٧٥

لقد سُمّيت سور متعددة بأسماء اليوم الآخر أو ببعض أحداثه، كما ذكرت أحداث الآخرة في سور كثيرة وأحياناً بتوسع أكثر من المذكور في سورة القيامة، فلماذا كان الاختيار لاسم القيامة ليكون لهذه السورة؟

وللإجابة عن هذا التساؤل نذكر أولاً معنى القيام لغة، فقد ذكر ابن منظور<sup>(١)</sup> أن القيام يأتي بعدة معان منها:

١. الوقوف عن السير، فنقول قامت الدابة إذا وقفت عن المسير.

٢. الثبات والاستقرار، أقام في المكان: أي استقر فيه.

٣. الأمر المهم للحياة، ومنه قول الله تعالى عن الأموال: ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ قِيَمًا﴾ (النساء: ٥)، أي جعل الله تعالى المال قوام الحياة وعصبها، فلا تقوم الحياة إلا به.

٤. البعث، حيث يقوم الناس من قبورهم.

٥. الوقوف والمثول بين يدي الله تعالى.

وترتبط آيات السورة بهذه المعاني بشكل واضح على النحو الآتي:

(١) لسان العرب، ابن منظور (ج ١٢، ٥٨٥-٥٧٩)

١. المعنى الأول: يتضح بخسف القمر وجمع الشمس والقمر وتوقفهما عن المسير، وذلك في الآيتين (٨-٩)، كما أن الآية (١٦) تطلب من الرسول ﷺ التوقف عن تحريك اللسان تعجلاً بالقرآن الكريم، وكذلك تتحدث الآيات (٢٦-٣٠) عن توقف الإنسان عن الحياة بانقضاء أجله ليكون المساق إلى الله تعالى.

٢. المعنى الثاني: واضح في الآية (١٢) حيث تبين أن المستقر إلى الله تعالى، وفي الآية (٢٠) وصف الله تعالى الدنيا بأنها العاجلة أي التي تمشي بسرعة، وقد يكون في ذلك إشارة إلى استقرار الآخرة، أما الآية (١٧) فهي تؤكد على أن القرآن الكريم محفوظ من الله تعالى ومستقر في الصدور والسطور.

٣. المعنى الثالث: تتضمنه الآيات (١٦-١٩) حيث تتحدث عن القرآن الكريم الذي هو أساس كل خير للبشرية إلى يوم القيامة، وقد تعهد الله بحفظه وبيانه للناس، ويلاحظ في القرآن الكريم الإكثار من الحديث عن اليوم الآخر الذي يعتبر من الأمور المهمة لاستقامة الحياة البشرية.

٤. المعنى الرابع: واضح في نقاش الله للمنكرين للبعث في الآيات (٣-٤)، (٣٦-٤٠)، وتؤكد الآيات المذكورة قدرة الله تعالى على إحياء الموتى وبعثهم من قبورهم.

٥. المعنى الخامس: مذكور في الآيات (٢٢-٢٥)، حيث يقف الناس جميعاً برهم وفاجرهم أمام الله تعالى، منهم من هو مسرور وينظر إلى الله تعالى، ومنهم من غشيه العذاب والهوان حتى إنه ينتظر داهية عظيمة تقصم فقار ظهره.

ويضيف أستاذنا بالقول إن السورة تحمل عدة دلالات ترتبط باسمها:

- الآخرة هي قوام الدنيا، ولا تصلح الآخرة إلا بصلاح الدنيا، ولا تصلح أمور الدنيا إلا بالإيمان بفكرة الآخرة.
- الآخرة هي في حقيقتها قيام العدل.
- القرآن الكريم قوام الدنيا والآخرة.
- الآخرة هي تأويل القرآن الكريم وتحقق وعد ووعد الله تعالى، حيث ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عَلَيْهِمْ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٢) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿ (الأعراف: ٥٢-٥٣).

ويقول المصطفوي تعقيباً على اسم القيامة: "وأما القيامة فباعتبار قيام الخلق فيها لرب العالمين، وتدل الآيات التي وردت فيها كلمة القيامة أن العالم المادي يختل نظمه يومئذ، فقيام القيامة يتبدل العالم المادي وأجزاؤه ونظمه، ويتظاهر عالم آخر أطف متناسباً بالحياة الأخروية ولذاها وآلامها".<sup>(١)</sup>

هداية الاسم:

الإيمان بالآخرة على أساس التصور القرآني قوام متين للحياة الدنيا

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج٩، ٣٧٨)

## (٥٤) سورة الإنسان

مدنية عدد آياتها ٣١، ورقمها ٧٦

من خلال استعراض السورة نجد أن الآيات الثلاث الأولى فقط تتحدث بشكل مباشر عن الإنسان، فلماذا سميت السورة بـ (الإنسان)؟ وما علاقة مواضيعها بالاسم؟

يمكن الإجابة عن هذا السؤال من خلال العرض الآتي:

١. الآيات الثلاث الأولى تعرف بالإنسان حيث تبدأ بسؤال نصه: ﴿هَلْ أُنِى عَلَى

الْإِنْسَانِ حِينَ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ (١)؟، ولم تجب السورة عن السؤال بوضوح، ولكن سياق السورة يتجه في الإجابة إلى أن الإنسان لم يكن شيئاً مذكوراً قبل أن تتوجه إليه نعمة الله تعالى فتجعله شيئاً ذا قيمة، وقد يكون هذا الأمر في بداية الخلق البشري كما أوضحته سورة السجدة في قوله

تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ﴾ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ

(٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾ (السجدة: ٧-٩)، وقد يكون في بداية

خلق كل إنسان، كما يقول أستاذنا: "إن الناس جميعاً يبدأ خلقهم بنطفة مختلطة، جعلها الله تعالى في تحول مستمر، وهذا معنى كلمة الابتلاء في أصلها اللغوي، حتى يصبح الإنسان كامل الخلق، ويظهر كمال خلقه بكمال السمع والبصر".

كما تتحدث الآية الثالثة في السورة عن الإنسان فتقرر أنه مفطور على معرفة الحق: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ﴾، كما أنه مختار للطريق الذي يريد ﴿ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾، ولكن الوصف بالشكر أو الكفر لا يكون إلا مع اكتمال الإرادة التي تجعله مسؤولاً أمام ربه، وذلك عند بلوغه وتمام وعيه.

٢. تتناول الآيات (٤-٢٢) مصير الكافرين والأبرار، فتمر على مصير الكافرين مروراً سريعاً في آية واحدة فقط (٤)، أما جزاء الأبرار فتفصل فيه كثيراً في الآيات (٥-٢٢)، وبشكل يكاد يكون من أبرز المواقع في وصف الجنة في القرآن، حيث تحتتم هذه الآيات ببيان أن سعي الشاكرين مشكور فالجزاء من جنس العمل.

ولعل تركيز السورة على مصير الإنسان الشاكر الذي وضع نعم الله تعالى في موضعها، يُشعر أن الحكمة من الخلق ما يؤول إليه أهل الشكر، أي أن الله خلق الإنسان ليرحمه، ويجعل نهايته الجنة، لا ليكون معذباً في النار.

٣. والآيات في ختام السورة (٢٣-٣١) خطاب مباشر لسيدنا محمد ﷺ الذي شرفه الله بتزول القرآن عليه، للإشارة إلى عظمة هذا الإنسان الرسول واختياره ومحبة الله له، وفي ذلك حض للإنسان أن يكون من أهل الشكر، الذين يجعلون القرآن تذكرة لهم، ويحسبون الحساب لليوم الثقيل ويقدمون له، لينالوا التكريم الرباني المفصل في السورة.

والملاحظ أن الآيات الأخيرة في السورة ركزت على تذكير الإنسان بأنه محكوم بسلطة الخالق، ومضبوط بتقادير الخلق، ووجوده وذهابه مرهون بإرادته سبحانه

وتعالى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا آسْرَهُمْ﴾ (٢٨)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (٣٠).

وبالمحمل كأن السورة بعرضها وباسمها اللافتين تشير إلى أن الإنسان الحقيقي هو الذي ينجح في الامتحان، وهو الذي يستحق التكريم والمكانة بل ويستحق اسم الإنسان، أما الكفور فليس له اعتبار ولا قيمة، فهو يشبه الإنسان شكلاً ولكنه ليس (الإنسان) الحقيقي الكامل الراشد.

هداية الاسم:

من أراد أن يكون شيئاً مذكوراً فليكن شاكراً لا كفوراً

## (٥٥) سورة المطففين

مكية عدد آياتها ٣٦، ورقمها ٨٣

يقول ابن فارس: "الطاء والفاء يدل على قلة الشيء. يقال: هذا شيء طفيف، ويقال إناء طفآن، أي ملآن، والتطفيف: نقص المكيال والميزان، قال بعض أهل العلم: إنما سُمي بذلك لأن الذي ينقصه منه يكون طفيفاً".<sup>(١)</sup>

تبدأ السورة بالتهديد للمطففين، ثم توضح الآيتان الثانية والثالثة من هم المطففون، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ (١-٣)، فهم الذين يُخسرون الميزان عند بيعهم للآخرين ويوفون لأنفسهم عند الشراء منهم.

والمعلوم أن السورة مكية، والمعهود في السور المكية عدم تناول الأحكام والتركيز بشكل أساسي على العقيدة، وقد كانت التشريعات في السور المدنية حتى لأركان الإسلام الزكاة والصيام والحج، كما لم يكتمل شكل الصلاة وأحكامها إلا في أواخر الفترة المكية، ولكن يبدو أن موضوع التطفيف من الأمور المركزية في الدين ولذلك تم تناولها مبكراً، لأنه يرتبط بحقوق الآخرين، كما أن التركيز عليه يعالج مرضاً خطيراً في النفس وهو الأنانية والشح، حيث إن المطفف يمارس الظلم تجاه الآخرين، فهو من جهة يستوفي حقوقه، ومن جهة يسلب حقوق الآخرين، ويبدو أن السورة وإن كانت تتحدث عن تطفيف الميزان وغُبن

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج ٢، ٦٩)

الآخرين في التعامل المادي، ولكنها تسعى لتعزيز مفهوم قيمى هام، فى العدل والتعامل مع الآخرين بموضوعية، يقول المصطفوى: "الذىن لا يؤفون ما عليهم ويُنقصون فى تأديته، من أى شىء مادي أو معنوي".<sup>(١)</sup>

ويبدو أن التطفيف مرتبط بالتكذيب باليوم الآخر، حيث ينتج عن هذا التكذيب ممارسة العدوان والانغماس فى الإثم، وفى المقابل فمن علامات الإيمان باليوم الآخر تقوى الله تعالى فى حقوق الناس التى ليس فيها مغفرة وقبول توبة إلا برد الحقوق إلى أصحابها، وقد ورد فى الشهيد قوله ﷺ: "يغفر للشهيد كل ذنب، إلا الدين"،<sup>(٢)</sup> فالتطفيف وإن كان بالشىء اليسير ولكنه يعبر عن نفسية مريضة، كما يعبر عن عدم اكتراث بالحساب يوم القيامة الذى يحاسب الإنسان فيه على مقدار الذرة وكل صغيرة وكبيرة، لذا جاءت الآيات (٤-٦) التالية لتعريف المطففين بسؤال استنكارى: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ مَالَهُمْ سَوَاءً أَذًا وَلَا بَرَئًا وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ كِفَالٌ عَلَيْهِمْ يَوْمَ هُمْ مَدْبُورِينَ﴾ (٤) ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٥) ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦).

والسؤال المهم ما علاقة هذا الموضوع ببقية آيات السورة؟

قد تظهر العلاقة من خلال العرض الآتى:

١. تتناول الآيات اللاحقة لموضوع التطفيف ذكر أهل النار وأهل الجنة، حيث يأخذ كل واحد حقه بعد الميزان الربانى العادل لأعمال العباد من غير

(١) التحقيق فى كلمات القرآن الكريم، المصطفوى (ج٧، ١٠٤).

(٢) صحيح مسلم، مسلم النيسابورى (حديث: ١٨٨٦، كتاب الإمارة، باب من قتل فى سبيل الله كفر خطاياهم إلا

الدين).

تطيف، وسيكون الجزاء بناءً على كتابة الأعمال لكل فريق (كتاب الفجار، كتاب الأبرار).

٢. تشير الآيات التي تتحدث عن الفجار إلى أوصافهم التي أوصلتهم إلى الجحيم، فهم معتدون ويمارسون الإثم ومنه التطيف، وأن ما أوصلهم إلى التكذيب بيوم الدين هو الإكثار من هذه الممارسات، ويظهر ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤).

٣. وقد يظن المطفون أنهم بفعلهم هذا يكسبون، ولكنه مكسب حقيقته الخسارة، والمكسب الحقيقي يكون بالحرص والتنافس على ما عند الله تعالى من النعيم والأجر والقرب منه سبحانه، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿حَتَّمَهُمْ مَسْئَلُهُمْ فِي ذَلِكَ فَلَيْتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾ (٢٦).

٤. ويأتي ختام السورة في الآيات (٢٩-٣٦) ليعرض صورة من صور التطيف المعنوي، وذلك في استهزاء الكفار بالمؤمنين واتهامهم بالضلال والانحراف، وكأهم الآلهة المسؤولة عن البشر، كما تعرض اغتباط الكفار بما هم فيه من واقع مادي وعلاقات، ولكن تتجلى حقيقة المفارقة يوم الدين حيث الميزان الحق، فيكون ضحك المؤمنين المنعمين من الكفار وما آل إليه حالهم.

ويبدو أن السورة تريد أن تبني النفوس بناءً داخلياً قبل البناء القانوني لمنع التطيف، وهذا البناء مرتبط بالآخرة، فمهما تجتهد الأمم والدول في وضع القوانين لضبط التطيف، إلا أن الملاحظ أن الأغنياء يجتهدون أن تميل الأمور لصالحهم، وقد قال الله تعالى عن طبيعة الإنسان دون التربية الإيمانية:

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾ (المعارج: ١٩-٢٢).

هداية الاسم:

بناء النفس على العدل والتعامل مع الآخرين بموضوعية مادياً ومعنوياً

- من أبرز صفات المطففين الفجور ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينِ ﴾ (٧)، والإجرام ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ﴾ (٢٩).
- من الأمراض المتعلقة بالتطيف بحس الناس حقوقهم وحسناتهم والتركيز على سيئاتهم، ولقد فسر النبي ﷺ الكبر بقوله: "الكبر بطر الحق، وغمط الناس".<sup>(١)</sup>

(١) صحيح الجامع، الألباني (حديث ٧٦٧٤).

## (٥٦) سورة البروج

مكية عدد آياتها ٢٢، ورقمها ٨٥

البروج من البرج وهو كما قال الزبيدي: "تباعد بين الحاجبين. وكل ظاهر مرتفع فقد برج، وإنما قيل للبروج: بروج لظهورها وبيانها وارتفاعها، والبارجة: السفينة الكبيرة".<sup>(١)</sup> وقال ابن فارس: "الباء والراء والجيم لها أصلان أحدهما البروز والظهور، والآخر الوزر والملجأ".<sup>(٢)</sup> والبروج كما قال الأصفهاني: "البروج: القصور، والواحد برج، وبه سُميت بروج النجوم لمنازلها المختصة بها".<sup>(٣)</sup> وقال الرازي: "برج الحصن ركنه، وجمعه بروج".<sup>(٤)</sup>

وبناءً على ما سبق فإن البرج يدور على معاني الظهور والبروز والارتفاع والملجأ، وتتضح المعاني السابقة في السورة من خلال العرض الآتي:

١. تبدأ السورة بالقسم: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ (١): أي ذات البناء العالي الحصين الذي يشد الأبصار.

٢. تبرز السورة المؤمنين الذين وقفوا ضد الطغاة حيث أرادوا فتنهم بسبب إيمانهم بالله العزيز الحميد، فتبوؤوا مكاناً عالياً عند رهم: ﴿جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي (ج ٣، ٢٩٢)

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج ١، ١٢٥)

(٣) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج ١، ١٢٥)

(٤) مختار الصحاح، محمد الرازي (٣٥)

تَحَنُّهَا الْأَنْهَرُ ﴿١٠﴾، كما أصبحوا أعلاماً في تاريخ الصراع ضد الكفر والطغيان، تُشدُّ أبصار المؤمنين إليهم على مر العصور، فكما أن الناس تسترشد بالبروج في السماء، فإن المؤمنين الذين قدّموا أرواحهم في سبيل الله قد تحولوا إلى بروج عالية بين الناس عظيمة يُسترشد بهم، وكما أن هناك بروجاً في السماء فالمؤمنون الصادقون بروج في التاريخ.

٣. تُذكر الآيات بأن الله تعالى أكبر وأعظم، وأنه مهما كبر وعظم مكر الماكرين فالله أكبر، فتذكر الآيات أن عرش الله مجيد، وأن بطشه شديد، وأنه فعّال (بصيغة المبالغة) لما يريد، وأنه محيط بالكافرين، وبالتالي فهو الملجأ الحقيقي للمؤمنين.

٤. البروج في السماء تشد الأبصار بجمالها وعظمتها، وهي تدل على الرب العظيم الخالق، وكذلك فإن القرآن المجيد يشد الأبصار والعقول ببيانه المعجز العظيم، ويدل على الله تعالى، وهو في لوح محفوظ إشارة إلى عظيمته وعلوه، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿١١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿١٢﴾﴾ (٢١-٢٢).

٥. وكما أن نجوم السماء تهدي إلى السبيل في ظلمات البر والبحر كما قال الله تعالى: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ (النحل: ١٦)، فإن كتاب الله تعالى يهدي المؤمنين ويخرجهم من الظلمات إلى النور.

٦. إن الكفار ﴿أَصْحَابُ الْأَعْدُوِّ ﴿٤﴾﴾، وكذلك من ذكر في السورة ﴿فِرْعَوْنَ ﴿١٨﴾﴾ و﴿ثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾ أرادوا أن يتعالوا ويبرزوا بالباطل، وظنوا أن لهم ملجأً من الله

تعالى، فدمرهم الله تدميراً، وغدوا أسماء بارزة وظاهرة في تاريخ الكفر  
والطغيان.

هداية الاسم:

الملجأ الحقيقي هو الله تعالى،  
والعلو النهائي لحزب الله، والآخرة التي هي دار القرار ومقياس العلو الحقيقي

## سورة الفجر (٥٧)

مكية عدد آياتها ٣٠، ورقمها ٨٩

يقول ابن فارس: "الفاء والجيم والراء أصل واحد، وهو التفتح في الشيء. من ذلك الفجر: انفجار الظلمة عن الصبح".<sup>(١)</sup> ويقول الأصفهاني: "الفجر: شق الشيء شقاً واسعاً... ومنه قيل للصبح فجرٌ لكونه فجرَ الليل، قال تعالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (الإسراء: ٧٨)".<sup>(٢)</sup> ويقول الحلبي: "وأصل الفجور الميل عن القصد".<sup>(٣)</sup> ويقول الرازي: "وفجر: فسق، وفجر: كذب، وباهما دخل وأصله الميل والفاجر: المائل".<sup>(٤)</sup> ويقول المصطفوي: "الأصل الواحد في المادة: هو انشقاق مع ظهور شيء، ومن مصاديقه انشقاق الظلمة وطلوع نور وضياء، وانشقاق في الجبل ونبوع الماء".<sup>(٥)</sup>

إذاً الفجر هو وقت بزوغ الضياء وانتشاره على الكون بعد ليل بهيم، وهو الوقت الذي يبدأ فيه النهار في الظهور، بعد ظلام الليل، فالفجر إذن هو نهاية الليل وبداية النهار، والليل موطن الظلام والظلام فيه معنى الخوف، والظلام يعمي الإنسان عن رؤية الحقائق، وكما أن الفجر إذا جاء ظهرت حقائق الأشياء،

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج ٢، ٣٤١)

(٢) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (٣٧٣)

(٣) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف الحلبي (ج ٣، ٢٤٤)

(٤) مختار الصحاح، محمد الرازي (ص ٢٥٨)

(٥) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج ٩، ٣٢)

كذلك البشر دون الوحي والتوجيه الإلهي يعيشون في ظلمات تُذهلهم عن الحق والحقائق، فإذا جاء الوحي انكشفت حقائق الأشياء وقيمها.

ومما يدل على ما سبق الأمم التي ذُكرت في بداية السورة (٧-١٤)، حيث ذكرت كل أمة بما تميزت به من المدنية والتقدم، فإنم "ذات العماد"، وقد وصلت في التقدم أنها ﴿لَمْ يَخْلَقْ مِثْلَهَا فِي أَلْبَلَدِ﴾ (٨)، وأما ثمود فهم الذين وصلت قوتهم المدنية أنهم ﴿جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ (٩)، وفرعون هو ﴿ذِي الْأَوْتَادِ﴾ (١٠)، وكلها إشارات لمدنيات علت وارتقت حتى جاوزت الأمم الأخرى رقياً ومدنية وتقدماً، ولكن غاب عن هذا الرقي الجانب الإيماني الهادي، فكان أن طغوا في البلاد ومالوا عن الحق فأكثروا فيها الفساد.

وتؤكد الآيتان (١٥-١٦) على قوة تأثير المدنية مما يؤدي إلى حصول خلل في المقاييس يذهل الإنسان عن سنن الله تعالى في الرفع والخفض، فيظن أن اتساع الرزق دليل على إكرام الله تعالى، وأن ضيق الرزق وقلته دليل على الإهانة والتحقير من الله تعالى.

وأمام هذا الانحراف المفاهيمي والسلوكي المتمثل في الإعلاء من قيمة المدنية والمال، مما يؤدي إلى الطغيان والفساد، تأتي الآيات (١٧-٢٠) توجه إلى الخلل والخل، حيث تذكر أن الخلل يتمثل في عدم إنصاف الفئات الضعيفة (اليتيم، المسكين)، وتهافت الإنسان في المجتمع على جمع المال من غير أن يكون ثمرة كده وجهده، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۖ وَتُحِبُّونَ أَلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ (١٩-٢٠)، والتراث: هو كل ما يحصل للإنسان عليه من غير كد

وتعب مثل الميراث، ولعل هذا يفسر سبب اندفاع هذه المجتمعات إلى الربا والقمار من أجل كسب المال الكثير بسرعة من غير تعب.

وعليه فإن الحل يكمن في مراعاة الضعفاء في المجتمع، من حيث وجوب إكرام الناس لبشريتهم وإنسانيتهم لا لمكانتهم وعزوتهم، وكذلك في الحض على إطعام الناس الذين انكسروا من داخلهم أمام ضغط الحياة، مما يساعدهم على إعادة إحساسهم بالكرامة الداخلية وسد حاجاتهم الأساسية، كما ينبغي وضع المال في مكانه الصحيح، وأن لا يتحول إلى قيمة للتفاضل بين الناس.

وتأتي الآيات في ختام السورة (٢١-٣٠) لتبين أن كل من لا يدرك هذه المعاني في الدنيا، فهو في ظلام، وستبهره حقائق الآخرة بأهوالها فيدرك أن الحياة الحقيقية هي الحياة الآخرة، ويتمنى أنه لو أعد لها، أما النفوس التي أدركت هذه الحقائق فهي في نور ووضوح، وستكون في الآخرة راضية مرضية، تنعم في جنة الله تعالى.

هداية الاسم:

### الرقمي المادي دون نور الوحي الرباني يؤدي بالمجتمعات إلى الفساد الداخلي والخارجي

- الظلم يشبه الظلام كما قال ﷺ: "اتقوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة"، ونهايته فيها انتهاء الظلام، وقد استخدمت الآيات بعض الألفاظ الدالة على الظلم مثل "طغوا، فأكثروا فيها الفساد"، وفي المقابل كان الإهلاك بطريقة تشبه الفجر (الانفجار والشق الواسع)، فقال تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ (الفجر: ١٣).

## (٥٨) سورة البلد

مكية عدد آياتها ٢٠، ورقمها ٩٠

البلد قطعة محدودة من الأرض عامرة أو غيرها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيْتٍ﴾ (الأعراف: ٥٧)، يقول الأصفهاني: "البلد: المكان المختط المحدود المتأسس باجتماع قطانه وإقامتهم فيه".<sup>(١)</sup> وهو المكان المناسب أو الأكثر مناسبة لغالبية الناس، والتجمع عادة إما أن يكون على خير وصلاح، أو على شر وفساد وانحراف.

ولكي يحصل التجمع الذي يُكوّن البلد فلا بد من أن يحل الإنسان بالبلد والتي يستقر فيها، ثم يكون التناسل والعلاقات بين الأفراد، وهذه الأمور لا تتأتى بسهولة ويسر فلا بد من التعب والمكابدة لبناء الحضارة والمجتمع، وهذا ما تشير إليه الآيتان (٣-٤).

وقد جاء القسم في بداية السورة بهذا البلد، وهو مكة البلد الحرام، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبِّي هَٰذِهِ الْبَلَدَةَ الَّتِي حَرَّمَهَا﴾ (النمل: ٩١)، والقسم بالبلد الحرام لا يتعارض مع الاسم المطلق لكل بلد، فمكة هي أول بلد على الراجح، وهي أم القرى، وفيها أول بيت وضع للناس، وبالتالي فهي النموذج الأول للبلاد.

(١) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (ص ٥٩)

ويتضح من سياق السورة أنها تعالج موضوع التجمع البشري (البلد)، وكيف ينشأ هذا التجمع (التناسل)، وما يحتاجه لينمو ويتطور (الكبد)، ثم تعرض لنموذج (البلد) المؤمن الذي يتذكر أن أصل الإنسانية والبلاد، مكة المكرمة المحرمة، ويعلم أنه مسؤول أمام الله تعالى، ويُقلّل من شأن المال ولا يجعل الاستهلاك دليلاً على القوة والعظمة والعلو، ويسود فيه الإطعام والرعاية للضعفاء خاصة الأقارب، وبالتالي يتحرر أفراده من ضغط الحاجات الملحة التي تجعلهم في وضع قريب من وضع العبيد، وتكتمل صورة المجتمع الناجي، فيسود فيه التواصي بالصبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الابتلاءات، والتواصي بالرحمة حيث لا تكون الرحمة فقط على اليتيم والمسكين، بل تتحول إلى ظاهرة عامة بين أفراد المجتمع جميعاً.

### ولعل تسمية السورة بـ (البلد) فيها إشارتان:

١. البلد الذي يقسم الله به هو أم القرى مكة المكرمة، التي كانت أول بلد للعالمين ومنها خرجت جموع البشرية تعمر البلدان في العالم، وفيها حلّ محمد ﷺ خير البشرية الرحمة المهداة للعالمين، الذي سيُصلح دينه البلدان التي تتبعه وتسير على هداه.

٢. اكتمال دين الفرد لا يكون فقط عبر التفكير بالنجاة الذاتية في الآخرة، بل لا بد من التجمع الإيماني والتآزر الاجتماعي كما يفهم من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، والرقي الاجتماعي في الدنيا ليس أمراً فردياً أبداً، بل من خلال الكينونة الاجتماعية المتكافلة والتعاونية.

ويلخص أستاذنا لدى مراجعته للبحث دلالة تسمية السورة فيقول: "السورة

ترسم صورة البلد (المدينة الفاضلة) ومعالم هذه الصورة:

- البلد الذي تُحترم فيه الحريات وتُطاع فيه الرسالات.
- البلد الذي يُدرك أن الكد والمكابدة قانون الفلاح الدنيوي.
- البلد الذي يستشعر المسؤولية أمام خالقه.
- البلد الذي يسود فيه الصبر والتكافل والتراحم.

هداية الاسم:

النهوض الاجتماعي لا بد له من تكافل وتراحم وحرية واجتهاد،  
وإذا ارتبط بالخالق كان فهو ضاماً مثالياً (نموذجياً)

## سورة الضحى (٥٩)

مكية عدد آياتها ١١، ورقمها ٩٣

الضحى كما يقول ابن عاشور: "وقت ارتفاع الشمس عن أفق مشرقها وظهور شعاعها، وهو الوقت الذي ترتفع فيه الشمس متجاوزة مشرقها مقدار ما يُخيّل للناظر أنه طول رمح".<sup>(١)</sup> يقول ابن فارس: "الضاد والحاء والحرف المعتل أصل صحيح واحد يدل على بروز الشيء، فالضحاء: امتداد النهار، وذلك الوقت البارز المنكشف".<sup>(٢)</sup> وقال الفيروزآبادي: "أضحى الشيء: أظهره".<sup>(٣)</sup> فالضحى فيه معنى الوضوح والظهور، والضحى هو بداية النهار، وبداية الحركة والنشاط. وبناءً على ما سبق يمكن وضع القضايا الآتية لتكون مجموعها تفسيراً لتسمية السورة بالضحى:

١. إن السورة تسلية للرسول ﷺ، وهي كما يقول قطب: "كلها أنسام وأنداء من الود، وألطف من القربى، وهدهدة للروح المتعب، والخاطر القلق، والقلب الموجوع".<sup>(٤)</sup>

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٢م)، ج ٣٠، ٣٦٦

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج ٢، ٦٣)

(٣) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ص ١٣١١)

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج ٦، ٣٩٢٥)

وهي كما يقول البقاعي: "فذكر ما هو أشرف النهار وأطفه وهو زهرته، وأضوأه وهو صدره، وذلك وقت ارتفاع الشمس، لأن المقسم لأجله أشرف الخلائق، وذلك يدل على أنه يبلغ من الشرف ما لا يبلغه أحد من الخلق".<sup>(١)</sup> أي بعبارة أخرى: كما أن الضحى أول النهار الموصل إلى علوه، فالسورة إشارة إلى أنه ﷺ في ضحى نهاره وعلوه، وبالتالي فهي بشارة باستمرار الأمر وارتفاعه وعلوه مع تقدم الوقت والزمن.

٢. بما أن الضحى فيه معنى الوضوح والظهور، فكذلك سيُظهر الله دينه الذي أرسل به محمداً ﷺ، وسيوضح أمره.

٣. تذكير الله تعالى للنبي ﷺ بما كان من حاله قبل النبوة من اليتيم والفقر وعدم الهداية، وكمال نعمته عليه في كل هذه الأمور فيه بشرى له بأن دين الله تعالى سيظهر وستستقر الأمور.

٤. من يريد أن يعلو عند الله تعالى فعليه أن لا يقهر اليتيم وأن لا ينهر السائل، أي أن يمتلئ قلبه رحمة وعطفاً على الضعفاء.

٥. دوام النعمة واستمرارها إنما يكون بالشكر للمنعم، ووضع النعمة في موضعها، والتحدث بنعمة الخالق وعزوها له سبحانه، وهذا ما كانت تتضمنه الوصية الأخيرة في السورة للنبي ﷺ ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (١١).

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (ج٨، ٤٥٢)

٦. إن ربط الضحى بالليل إذا سحى هو تذكير للرسول ﷺ في أكثر ساعاته ظلاماً بأن الفجر آت ثم الضحى، فكذلك أنت بعد أشد ساعات البشرية ظلمة كنت فجراً للبشرية، وحالك الآن كالضحى، وقادم أيامك فيها العلو الأكبر والوضوح الأعظم.

ويُضيف أستاذنا لدى مراجعته للبحث تعقيباً على اسم السورة بقوله: "إن هذه السورة هي بشارة واضحة للنبي ﷺ بكمال انتشار وعلو شأن الدين، ويتضح ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ (٥)، فما كان يتمناه النبي ﷺ وما يُرضيه هو علو شأن الدين ورفعته، أما الآيات الأخيرة من السورة فهي تُشير إلى أن المجتمع الذي يقوم على هذا الدين سيبلغ أعلى مستوى من الرقي، عندما لا يبقى فيه ضعيف وتتم مراعاة حاجاتهم، وبذلك تكتمل صورة المجتمع الفاضل".

هداية الاسم:

الاعتصام بالله وشكر نعمه ومراعاة الضعفاء طريق العلو والظهور

## (٦٠) سورة العلق

مكية عدد آياتها ١٩، وترتيبها ٩٦

العلق كما يقول الأصفهاني: "التشبّث بالشيء... علق البكرة: آلتها التي تتعلق بها... والعلق: الدم الجامد ومنه العلقة التي يكون منها الولد كما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ (المؤمنون: ١٤)، والعلق: الشيء النفيس الذي يتعلق به صاحبه فلا يُفْرَج عنه".<sup>(١)</sup> ويقول المصطفوي: "إن الأصل الواحد في المادة: هو تعلقُ بشيء بحيث لا يكون للمتعلق تقوُّمٌ في نفسه".<sup>(٢)</sup> وعليه فإن أصل العلق التعلق، أي الارتباط والملازمة.

ورد اسم السورة في الآية الثانية وهي قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾، ويبدو أن الآية لا تتحدث عن مراحل الخلق كما هو شائع، فهي تتحدث عن حقيقة الوجود الإنساني المرتبط بما حوله دائماً وحاجته للتعلق بالغير، ومرحلة العلقة هي مظهر لبداية هذا التعلق والحاجة، وهذا التوجيه للمعنى يشبه قوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ (الأنبياء: ٣٧).

فما علاقة اسم السورة بآياتها؟

يمكن تقسيم سورة العلق إلى المقاطع الآتية:

(١) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (ص ٣٤٣)

(٢) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج ٨، ٢٤٧)

١. الآيات (١-٥) فيها الحث على القراءة، والتذكير بنعمة الله الذي علم الناس ما لم يعلموا، وهداهم إلى تسجيل خبراتهم عبر الكتابة مما أتاح لهم المراكمة في العلم والاستفادة من خبرات السابقين.

٢. تتحدث الآيات (٩-١٩) عن الذي يحارب الصلاة، وعقوبته إن استمر في ذلك، وتحتّم بالدعوة إلى السجود والاقتراب من الله تعالى ورفض دعوات الناهين عن الصلاة.

٣. بين المقطعين قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ۖ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ مُسْتَقْبِلًا ۖ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ ﴿٨﴾﴾.

وكان هذا الترتيب يشير إلى أن تطور الإنسان في العلم وسيطرته على محيطه، يؤدي شيئاً فشيئاً إلى شعوره بالاستغناء عن الله تعالى فيطغى ويتجاوز، ومن أبرز صور طغيانه أنه يحارب المصلين ويجتهد في منعهم عن الصلاة ويستهزئ بهم.

وتشير السورة إلى أن الصلاة هي الوسيلة المثلى لتعلق الإنسان بخالقه، والسجود من أهم الممارسات التي يعبر فيها الإنسان عن خضوعه وتعلقه بخالقه ورغبته الشديدة في شكره والاقتراب منه، أما الأسباب الأخرى التي توحى للإنسان أنه مستغن عن الله تعالى فهي أصلاً بفضل تعليم الله للإنسان، والأصل في العلم أن يزيد في ارتباط الإنسان بخالقه المتفضل عليه، لذا يُربط العلم في

الآيات بالله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾ (١-٥).

يقول قطب في التعقيب على امتنان الله تعالى على داود وسليمان عليهما السلام بالعلم: "ولا يذكر هنا نوع العلم وموضوعه لأن جنس العلم هو المقصود بالإبراز والإظهار، ولالإيحاء بأن العلم كله هبة من الله، وبأن اللائق بكل ذي علم أن يعرف مصدره، وأن يتوجه إلى الله بالحمد عليه، وأن ينفقه فيما يرضي الله الذي أنعم به وأعطاه، فلا يكون العلم مبعداً لصاحبه عن الله، ولا منسياً له إياه، وهو بعض مننه وعطاياه. والعلم الذي يبعد القلب عن ربه علم فاسد، زائف عن مصدره وعن هدفه، ولا يثمر سعادة لصاحبه وللناس، إنما يثمر الشقاء والخوف والقلق والدمار، لأنه انقطع عن مصدره، وانحرف عن وجهته، وضل طريقه إلى الله". (١)

وبناءً على ما سبق فاسم السورة يُذكر الإنسان ببيدائاته، كفرد وجماعات، التي كان مرتبطاً فيها بما حوله بشكل هائل، وأن العلم ساعده على السيطرة والاستقلالية، ولكن هذا فيما يتعلق بالأسباب والماديات، أما بالنسبة للتعلق مع الله فهو ما لا انفكاك منه، بل ينبغي للإنسان أن يتذكر عبر الصلاة هذا الأمر، وأنه مهما علا وارتفع وشعر بالحرية والاستقلالية فإن مرجعه إلى الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ﴾ (٨).

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج ٥، ٢٦٢٣)

وخالصة القول: إن الإنسان خُلق ابتداءً من شيء لا يقوم بنفسه، بل يحتاج إلى أن يقترب ويلزم ويرتبط (يتعلق) بغيره، وعلى الإنسان أن يدرك قانون الخلق حتى ينسجم في سلوكه مع هذه القوانين.

هداية الاسم:

الصلاة هي الوسيلة المثلى

لتعلق الإنسان بخالقه والحد من طغيانه الناشئ عن شعوره بالاستغناء

## (٦١) سورة القدر

مكية عدد آياتها ٥ ، وترتيبها ٩٧

يقول الرازي: "قدر الشيء مبلغه... قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (الأنعام: ٩١): أي ما عظموه حق تعظيمه".<sup>(١)</sup> ويقول الفيروزآبادي: "القَدْرُ: القضاء، والحكم، ومبلغ الشيء".<sup>(٢)</sup>

سميت هذه السورة باسم ليلة القدر التي بدأ فيها نزول القرآن الكريم على محمد ﷺ ، وفيها نزل القرآن الكريم كاملاً من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا.

يقول قطب: "واسم القدر قد يكون معناه التقدير والتدبير. وقد يكون معناه القيمة والمقام. وكلاهما يتفق مع هذا الحدث الكوني العظيم. حدث القرآن الكريم والوحي والرسالة.. وليس أعظم منه ولا أقوم في أحداث هذا الوجود. وليس أدل منه كذلك على التقدير والتدبير في حياة العبيد. وهي خير من ألف شهر. والعدد لا يفيد التحديد في مثل هذه المواضع من القرآن. إنما يفيد التأكيد. والليلة خير من آلاف الشهور في حياة البشر".<sup>(٣)</sup> ويقول رحمه الله: "فلقد فرق فيها من كل أمر حكيم، وقد وُضعت فيها من قيم وأسس وموازين، وقد قُدرت فيها من أقدار أكبر من أقدار الأفراد. أقدار أمم ودول وشعوب. بل أكثر وأعظم، أقدار حقائق وأوضاع قلوب!".<sup>(٤)</sup>

(١) التفسير الكبير (مفتاح الغيب)، محمد الرازي (٢٧٣)

(٢) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ص ٤٨٤)

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج ٦، ٣٩٤٥)

(٤) المصدر السابق (ج ٦، ص ٣٩٤٥)

فالقدر إذا بمعنى المكانة العالية والقيمة العظيمة والمقام الرفيع، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (٣)، ولأن لها المكانة السامقة يُقَدَّرُ فيها كلُّ أمر حكيم.

ويقول ابن عاشور: "والقدر: الذي عرفت الليلة بالإضافة إليه هو بمعنى الشرف والفضل كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ (الدخان: ٢) أي ليلة القدر والشرف عند الله تعالى مما أعطاهما من البركة، فتلك ليلة جعل الله لها شرفاً فجعلها مظهراً لما سبق به علمه فجعلها مبدأ الوحي إلى النبي ﷺ". (١)

ويلخص أستاذنا معنى القدر بقوله: "تتعلق المكانة والقيمة بقيمة ومكانة الحدث وانعكاس ذلك في عالم الخير، فقيمة تلك الليلة تتناسب مع ما حصل فيها من حدث جليل، وهذا الحدث الجليل يناسبه أن يكون في تلك الليلة التي يُفَرَّقُ فيها كل أمر حكيم".

هداية الاسم:

### القرآن الكريم طريق الرفعة والشرف والمكانة العالية

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٢م)، ج ٣٠، ٤٥٩

## (٦٢) سورة العاديات

مكية عدد آياتها ١١، وترتيبها ١٠٠

يقول ابن فارس: "العين والبدال والحرف المعتل أصل واحد صحيح يرجع إليه الفروع كلها، وهو يدل على تجاوز في الشيء وتقدم لما ينبغي أن يقتصر عليه".<sup>(١)</sup> ويقول الأصفهاني في معنى كلمة (عدا): "العدو: التجاوز ومنافاة الانتقام، فتارة يعتبر بالقلب فيقال العداوة والمعادة، وتارة بالمشي فيقال له العدو، وتارة في الإخلال بالعدالة في المعاملة فيقال له العدوان والعدو"،<sup>(٢)</sup> ويضيف الرازي: "ودفعت عنك عادية فلان، أي: ظلّمه وشره".<sup>(٣)</sup>

والعاديات في السورة هي بمعنى الخيل المسرعة، فقوله تعالى في الآية الأولى: ﴿وَالْعَدِيَّتِ ضَبْحًا﴾، قسم بالخيل لحظة عدوها السريع حيث تُخرج صوتاً مسموعاً نتيجة الإسراع الشديد.

ولفهم علاقة مواضيع السورة باسمها لا بد من استعراض هذه المواضيع، حيث يُمكن تقسيم السورة إلى ثلاثة أقسام:

١. يُصور القسم الأول (١-٥) الخيل مسرعة، ومن شدة سرعتها يعلو صوت هيتها فيكون مسموعاً (الضبح)، كما يتطاير الشرر من تحتها نتيجة سرعتها واحتكاك سناكبها بالحجارة والصخور، ويكتمل المشهد وتفصيله عندما

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٢٣٠)

(٢) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (ص ٣٢٦)

(٣) مختار الصحاح، محمد الرازي (٢٢٤)

يكون زمان الحدث في الصباح حيث يختلط فيه الظلام بشمس لم تُشرق بعد، فُيرى النقع وهو الغبار الذي يُحدثه العدو السريع الشديد للخيل، أما نهاية المشهد فتكون بتوسط الخيل للجمع خياماً أو بيوتاً أو أشخاصاً.

٢. أما القسم الثاني (٦-٨) فيذكر بعض صفات الإنسان، ومنها حبه الشديد للخير والمال، وجحوده لنعم الله عليه (كنود)، مع أنه لو طُلب للشهادة بكل تجرد لشهد بنعم الله تعالى، وبقلة شكره بل وجحوده.

٣. وتختتم السورة في القسم الثالث (٩-١١) بالتذكير بيوم القيامة الذي تتبعثر فيه القبور، ومشهد البعثة فيه الخروج السريع المثير للغبار، وبعد هذا المشهد يتولى من ولاة الله تعالى تحصيل ما في الصدور مما عمل المكلفون في حياتهم السابقة، وهذا التحصيل ليس إلا شهادة إضافية على الإنسان لا تزيد شيئاً على ما يعلمه الخبير العليم.

من خلال العرض السابق قد يكون اسم السورة رسالة تحمل معنى السرعة، فالعاديات هي الخيل المسرعة، والإنسان يسرع في الجحود كإسراعه في الخير، والدنيا سريع انقضاءها، والقيامة سريع قيامها، وسريع، مهما طال، حسابها، وسريع فيها دخول الجنة والنار، وكما أن الخيل سريعة ما تلبث أن تمر، كذلك الناس في الدنيا يَمرون فيها بسرعة وإذا بهم بين يدي الله تعالى.

وقد يكون اسم السورة للإشارة إلى المفاجأة التي تكون للبشر بقيام الساعة التي تأتي مسرعة بغتة، كما يُفاجأ القوم النائمون في الصباح بالعدو المقتحم لتجمعهم بسرعة شديدة مباغتة حيث لا يملكون شيئاً من المقاومة والدفع، وهذا حال

الناس عند قيام الساعة تأتيهم بغتة فلا يملكون ردها ولا دفعها، قال الله تعالى:  
﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ  
أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (يس: ٤٩-٥٠)، ولعل ورودها بين سورتي الزلزلة والقارعة ما  
يؤكد هذا المعنى والله أعلم.

هداية الاسم:

الدنيا تمر سريعاً، والآخرة تأتي بغتة،  
والعاقل من يستعد للحساب بين يدي العليم الخبير

## سورة القارعة (٦٣)

مكية عدد آياتها ١١، ورقمها ١٠١

القرع، كما يقول الأصفهاني: "ضرب شيء على شيء"،<sup>(١)</sup> ويقول ابن منظور: "هو الضرب بشدة بحيث يحصل منه صوت شديد، ثم سميت الحادثة العظيمة من حوادث الدهر بالقارعة أو الشديدة من شدائد الدهر، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا نُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً أَوْ نَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ (الرعد: ٣١)".<sup>(٢)</sup> ويقول الرازي: "والأقرع الذي ذهب شعر رأسه ... والقَرَع أيضاً مصدر قولك قَرَعَ الفناء، أي: خلا من الغاشية".<sup>(٣)</sup>

وسميت القيامة بالقارعة لأنها تقرع القلوب والأسماع بفنون الأفراع والأهوال، وقد جاء هذا الاسم في الآية الأولى من السورة في كلمة واحدة، تلا ذلك الاستفهام مرتين عن هذا الاسم، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَلْقَارِعَةُ ۚ (١) مَا الْقَارِعَةُ ۚ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ (الآيات: ١-٣)، ولم ترد هذه الكلمة في القرآن الكريم إلا في هذه السورة وفي آية الرعد السابقة، وفي سورة الحاقة في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ (الحاقة: ٤).

وقد يكون هذا الاسم إشارة إلى ما يصيب البشر والخلائق جميعاً من أثر الهول والصيحة التي تصيبهم جميعاً، فالقارعة هي المقدمة التي ينتج عنها الأثر، ومن

(١) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (ص ٤٠١)

(٢) لسان العرب، ابن منظور (ج: ٨: ٢٦٥)

(٣) مختار الصحاح، محمد الرازي (٢٧٧)

آثارها الخلو والذهاب، فالقارعة ينتج عنها ذهاب الجبال وذهاب البشر بحيث تصبح الأرض خالية من الناس وما عليها من جبال، فهي من شدتها تفرع الناس وتفرع الأرض، وقد كان من عذاب الله تعالى لقوم ثمود قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْحَصِيرِ﴾ (القمر: ٣١)، يقول القاسمي في تفسير هذه الآية: "كالشجر اليابس المتكسر، الذي يتخذه من يعمل الحظيرة للغنم ونحوها، وكالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء... وهو تشبيه لإهلاكهم وإفنائهم، وأهم بادوا عن آخرهم، ولم يبق منهم باقية، وخذلوا وهمدوا، كما يهدم ويبس الزرع والنبات بعد خضرة ورقة، وحسن نباته".<sup>(١)</sup>

وقد عرضت السورة أحداث يوم القيامة بما يشير إلى الحال يومئذ من أثر القرع، فيكون الناس كالفراش المبتوث، والجبال كالصوف المصبوغ بدون وزن وذلك في الآيات (٤-٥)، ثم تعرضت السورة إلى موضوع الميزان يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ (٦)، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ (٨)، وتكون نتيجة البشر بناءً على هذه الموازين، حيث يسعد المستعدون لذلك اليوم سعادة كبيرة، ويشقى المكذبون شقاءً عظيماً.

هداية الاسم:

ضرورة الاستعداد والإكثار من الصالحات لهذا اليوم العظيم الذي يفرع القلوب والأسماع، فالفوز للعاملين عظيم، والخسارة للمقصرين والمعرضين كبيرة

(١) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي (ج٨، ٥٥٠)

## (٦٤) سورة التكاثر

مكية عدد آياتها ٨، ورقمها ١٠٢

يقول ابن فارس: "الكاف والثاء والراء أصل صحيح يدل على خلاف القلة".<sup>(١)</sup>  
ويقول الأصفهاني: "والمكاثرة والتكاثر: التباري في كثرة المال والعز".<sup>(٢)</sup>

فالتكاثر هو الرغبة في الزيادة من المال والأولاد والجاه والأقرباء والأنصار والجيش، وبالجملة يدخل في رغبة التكاثر كل ما يكون من الدنيا ولذاتها وشهواتها، وهذه الرغبة تعني أننا نعطي قيمة كبيرة لهذه الأشياء، وهذا الاندفاع نحو التكاثر يشغل الإنسان حتى يجعل حاجزاً بينه وبين العلم الأهم وهو العلم المتعلق بالآخرة، ولكن سرعان ما يزول هذا الحاجز بزيارة القبور أي بالموت. ولو تمكن الإنسان من الحصول على العلم اليقيني عن الآخرة لما غرق في التكاثر، ولكان أكثر ما يضع نصب عينيه أهوال يوم القيامة.

وفي ذلك اليوم سوف يُسأل الإنسان عن النعيم الذي كان فيه، قال ﷺ: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه".<sup>(٣)</sup> فإذا انشغل الإنسان بهذا النعيم عن الآخرة وتلّهي به عن الاستعداد لها، فسيكون ندمه عظيماً.

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج ٢، ٤٣٥)

(٢) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (٤٢٦)

(٣) صحيح الجامع الصغير، الألباني (٧٢٩٩)

ويضيف أستاذنا لدى مراجعته للبحث تعقيباً على دلالة اسم السورة بقوله: "إن رغبة الإنسان في التكاثر تستمر معه حتى الممات، ولا بد من التنبه إلى هذه الحقيقة حتى لا يؤدي التكاثر إلى الغفلة عن حقائق الوجود الدنيوي والأخروي، ولإيجاد التوازن بين رغبة الإنسان الشديدة في التكاثر وعدم غفلته، لا بد من استخدام الترهيب والتذكير بالآخرة".

هداية الاسم:

العلم بأهوال يوم القيامة يمنع الانتهاء بالتكاثر

- تعبير ﴿رَزَقْنَاهُ الْمَقَابِرَ﴾ فيه دلالة على أن القبر مرحلة مؤقتة توصل الإنسان إلى الآخرة، فهو مكان للزيارة فقط ينتقل بعده الإنسان إلى دار القرار.

## (٦٥) سورة العصر

مكية، عدد آياتها ٣، ورقمها ١٠٣

يقول ابن فارس: "العين والصاد والراء أصول ثلاثة صحيحة: فالأول دهر وحين، والثاني ضغط شيء حتى يتحلب، والثالث تعلق بشيء وامتسك به".<sup>(١)</sup> ويقول المصطفوي في معنى العصر: "زمان مخصوص منتخب قد اعتصر من سابقه وهو خلاصة مما مضى وعصارة منه، ففيه عصر وامتياز خاص، ولا يطلق على مطلق الزمان والحين والدهر وغيرها. فزمان العصر وهو آخر النهار، وهو وقت محدود مضيق باق من امتداد النهار، فيسرع إلى إتمام الأعمال اليومية وتكميلها فيه، ليتحصل المطلوب من جريان الحركات اليومية... وإذا أطلق على زمان من دون لحاظ قيود الأصل: فهو تجوز".<sup>(٢)</sup>

إذن معنى العصر هو أحد أمرين: الزمن سواء كان مخصوصاً أو مطلقاً، أو صلاة العصر، ولعل تسمية السورة بهذا الاسم يعود إلى الأمرين، مع أن الأول أظهر وهذا لأن الزمن هو توالي اللحظات، وتوالي اللحظات هو الإنسان في الحقيقة، لأن الظرف أو المحتوى الذي يمكن للإنسان أن يعبر فيه عن نفسه هو الوقت والزمن، وتوالي اللحظات يؤدي إلى خسارة الإنسان لجزء من عمره، لذلك هو في خسارة مستمرة بسبب فقدانه للفرصة المتاحة له.

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٢٧٧)

(٢) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج٨، ١٧٨)

ومن هنا نفهم العلاقة الواضحة بين اسم السورة وكلماتها، فاسم السورة الزمان، والزمان نهر جار لا يملك أحد أن يبقى منه شيئاً يمكن الاستفادة منه لاحقاً، أي أنه غير قابل للتحويل أو التخزين أو التجميد، ولكن مجموعة من الناس وعبر التزامها بمبادئ أساسية ستة تُحوّل العصر إلى عملة قابلة للصرف فيما بعد، أي ذات قيمة خارج عصرها، وهو عصر الآخرة أو زمان الآخرة، فيستغل هذه الفترة القصيرة المتاحة ليحولها إلى حسنات.

والمبادئ الستة هي: الإيمان، عمل الصالحات، الالتزام بالحق، التواصي بالحق، الصبر، التواصي بالصبر، أما الإيمان فهو أساس قبول الأعمال والدافع لها، وخاصة الإيمان باليوم الآخر، فمن فقد الإيمان فهو على غير هدى، يمشي مكباً على وجهه، ويوم القيامة: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ (الفرقان: ٢٣).

والعمل الصالح هو نتيجة الإيمان الصحيح وهو دال عليه، وحتى يكون العمل صالحاً لا بد أن يتوافر فيه شرطان: الاتباع والإخلاص كما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (الكهف: ١١٠).

والتواصي بالحق لأن كل الأعمال قد تتعرض للخطأ والابتعاد عن الصواب، أو قد يظن الإنسان صلاحها وهي غير ذلك، أو قد يظن صاحبها أنها الأحسن وهي الحسن، لذا لا بد من المراجعة من مجموع المؤمنين، والتواصي فيما بينهم للوصول إلى الأحسن والأكثر فعالية في الدنيا والآخرة.

أما التواصي بالصبر فلأن الإنسان مع مرور الأيام قد تضعف همته، وقد يتعرض للضغوط والفتن بسبب التزامه وحرصه على الأحسن، فلا بد من التواصي بالصبر، فالنصر صبر ساعة، فقد ينكسر الإنسان وليس بينه وبين النصر غير هذه الساعة فيضيع ما عمل، والعياذ بالله تعالى.

وهكذا فإن السورة في كل معانيها التي تتضمنها، تدور حول الزمان، وبالتالي فإنها منسجمة مع اسمها (العصر)، ويتضح قول الشافعي رحمه الله تعالى الذي نقله ابن كثير رحمه الله: "لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم".<sup>(١)</sup>

أما المعنى الثاني للعصر، وهو صلاة العصر فعمل في التركيز عليه وتسمية السورة به، لأن المحافظة على الصلاة تعبير عن الإيمان وهي عمل صالح، وهي من الأمور التي تحتاج إلى الصبر، وقد ذكر كثير من العلماء أنها الصلاة الوسطى في قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (البقرة: ٢٣٨)، وقد خُصَّت بمزيد من التأكيد والأمر بالمحافظة عليها، والتغليظ لمن يُضيِّعها، ومنها قوله ﷺ: "من فاتته العصر فكأنما وتر أهله وماله"،<sup>(٢)</sup> أي ليكن حذره من فوات صلاة العصر كحذره من ذهاب أهله وماله.

ويضيف المصطفوي معنى جميلاً لاسم العصر فيقول: "الأصل الواحد في المادة: هو ضغط في شيء لتحصيل نتيجة منظورة. كما في عصر العنب لاستحصال مائه... ومنه المعصرات: السحب... وهذه السورة المباركة نزلت في مكة حين

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١٨٧٣)

(٢) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري (حديث ٦٢٦)

شدة الابتلاء وتعرض الأعداء من قريش، وفي زمن اشتدت العداوة والبغضاء والضغطة منهم على النبي ﷺ والمسلمين، وذلك لتوغلهم في الحياة الدنيا والشهوات والانحرافات الفكرية والعملية، ويشار إلى هذا في السورة التي قبلها ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ ، وفيما بعدها ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ . فكان المسلمون يطلبون الحق ويسلكون إلى الحقيقة ويعملون الصالحات ويتواصون بالحق ويتواصون بالصبر كما في السورة. فهم فيما بين هؤلاء الكفار يتحملون الشدائد والأذى والتعدي، وكانوا في اعتصار في المعيشة الظاهرية وفي ضغط منهم... ولا يخفى أن العصر منشأ كل خير وسبب كل صلاح وفلاح، ولا ينال أحد مرتبة رفيعة إلا بالعصر، فإن الاعتصار هو الموجب لاتخاذ العصارة والخالص الصافي من كل شيء في أمور مادية أو معنوية" (١).

وكما أن العصر آخر النهار وختامه يركز الدين على خواتيم الأمور ويجعل العبرة بها، ويوصي المسلمين باغتنام الأوقات قبل انقضائها، فكأن السورة تنبيه للمسلم على الاهتمام بالمبادرة بإصلاح الشأن للابتعاد عن الخسران والله أعلم.

هداية الاسم:

المؤمن يحرص على  
أن لا تفوت الأوقات دون عمل واستعداد للحظة الموت

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج٨، ١٧٦-١٧٩)

## (٦٦) سورة الهمزة

مكية، عدد آياتها ٩، ورقمها ١٠٤

يقول ابن فارس: "والهماز: العياب، وكذا الهمزة".<sup>(١)</sup> ويقول الأصفهاني: "يقال رجل هامز وهماز وهمزة، وهمز الإنسان اغتيابه"،<sup>(٢)</sup> ويقول عن اللمزة: "رجل لَّمَزَ ولمزة: كثير اللمز".<sup>(٣)</sup>

إذا الهمزة: الشخص الذي يكثر من الهمز على الآخرين، ويكون الهمز بالإشارة باليد أو الرأس أو بالعين بقصد السخرية من الآخرين والاستهزاء بهم والتقليل من مكانتهم.

ورد اسم السورة في الآية الأولى من السورة في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، والملاحظ أن السورة بدأت بالتهديد، ولم تشترك معها سورة في هذا الاستهلال عدا سورة المطففين في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ ، فلماذا سُميت السورة بالهمزة؟

قد يكون الجواب على ذلك أن السورة تُحلل الدافع إلى هذا السلوك، كما أنها تُظهر خطورته، أما من ناحية التحليل للدافع فإن السورة تُشير إلى أن المشكلة تكمن في اعتقاد الشخص بأهمية المال، وأن ما يملكه من مال دليل على مكانته

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٦١٣)

(٢) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (ص ٥٤٦)

(٣) المصدر السابق (٤٥٤)

الرفيعة عند الله، حيث يظن أن المال الكثير المتنوع الذي جمعه يعطيه قيمة ذاتية ترفعه عن بقية البشر في الدنيا والآخرة (أخلده)، وما دام يشعر أنه فوق العباد فلا حرج عنده أن يحتقر الآخرين ويزدرهم.

ولكي تكتمل الصورة تعمد السورة إلى بيان نتيجة هذا العمل، حيث إن الإنسان الهمزة (رجلاً أو امرأة) سُنِبَد في الحطمة، والنبذ هو الإلقاء بازدراء وإهمال، فالجزء من جنس العمل، لأنه قد تعالى على الناس فتكون نتيجته النبذ في الحطمة، وهي أيضاً على وزن الهمزة نفسه، فما دام الإنسان قد تكبر على البشر فإن النار ستعيده إلى قيمته الحقيقية، فتُدْمِرُهُ وتُحَطِّمُهُ تحطيماً.

وهذه النار تطلّع على الأفئدة، والاطلاع أحد أمرين: إما أنها تحرق الجلد واللحم وصولاً إلى الأفئدة، كما نقل ابن كثير عن محمد بن كعب: "تأكل كل شيء من جسده، حتى إذا بلغت فؤاده حذو حلقه ترجع على جسده"،<sup>(١)</sup> وهذا دليل على شدتها وخطورة الذنب، أو أنها مطلعة على القلوب وبالتالي تصب من لهيها على الناس بمقدار ما كان في قلوبهم من خلل.

كما أن هذه النار مغلقة ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ بإحكام ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾، وهذا للإشارة إلى خطورة هذا الفعل الذي قد يوصل صاحبه إلى الكفر فيخلد في النار.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ص ١٨٧٤)

وقد يتساءل الإنسان عن سبب تسمية السورة بالهمزة وليس اللزمة، مع أن اللمز أشد لأنه كلام أو فعل مباشر يقصد به السخرية من الآخرين والاستهزاء بهم والتقليل من مكانتهم؟

قد يكون السبب للتنبيه والتحذير مما يُبدأ به عادة، أو ما يتجاسر عليه الإنسان بداية، حيث يصل إلى الممارسة الأكبر بعد حين، فكأنها تنبيه إلى أن الوصول إلى الأكبر خطير جداً.

ويضيف أستاذنا لدى مراجعته للبحث تعقيباً على هذه السورة: "لا بد من التنبه إلى ما يُورثه الغنى والثراء من استخفاف بالآخرين والغضب من مكانتهم وإنسانياتهم، وهذا مرض في القلب يُعبّر عنه بطرق مختلفة، وهذا واقع غالبية المترفين الذين أطغاهم ثراؤهم، كما قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ (٦) ﴿أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْتَى﴾ (العلق: ٦-٧)، ولعلاج هذا المرض الخطير لا بد أولاً من إدراك الغنى لضعفه وشعوره بالافتقار إلى الله تعالى وإيقانه بالموت".

هداية الاسم:

### إدراك الإنسان

لضعفه وشعوره بالافتقار إلى الله تعالى مانع من احتقاره للآخرين

- معنى (عدده): كثره واهتم بعدده، أو نوع مصادره وطرق استثماره

## (٦٧) سورة الفيل

مكية، عدد آياتها ٥، ورقمها ١٠٥

تحدث سورة الفيل عن الحادثة المعروفة عند العرب، التي حصلت قبل البعثة بأربعين سنة في العام الذي ولد فيه الرسول ﷺ، وملخص الحادثة أن أبرهة الأشرم أحد زعماء الحبشة قرر هدم الكعبة، واستقدم لذلك جيشاً عظيماً ومعهم الأفيال، ولما وصل مكة المكرمة أرسل الله تعالى ﴿طَيْراً أَبَايِلَ﴾ ترمي جيش أبرهة ﴿بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾، فأصبح الجيش ﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾. ولا ندري هل سُمِّيَ العرب العام الذي حدثت فيه هذه الحادثة بعام الفيل، أم أن هذه التسمية كانت متأثرة بسورة الفيل، ولكن يمكن القول إن التأريخ بميلاد النبي ﷺ كان مرتبطاً بها، وهذا يدل على أثرها بين العرب على الأقل وشيوعها بينهم.

والقارئ للسورة على خلفية القصة يمكن أن يلاحظ بسهولة أن الفيل ليس هو الأبرز في القصة، أو كما يُقال ليس "بطل القصة"، فلماذا سميت السورة باسم "الفيل" ولم تُسمَّ مثلاً "الأبايل" أو "السجيل" أو "العصف المأكول"؟ فالطير مثلاً هي التي غيرت اتجاه الحدث، والحجارة سلاح جديد بارز.

يمكن أن يكون لتسمية السورة بالفيل إشارة إلى العِظَم والضخامة، ويبدو أن الحدث بتفصيلاته المختلفة فيه ضخامة من خلال ملاحظة الآتي:

١. إن الكيد الذي كاده أصحاب الفيل كان كيداً عظيماً متمثلاً في رغبتهم وتخطيطهم المحكم لتحقيق هدفهم، كما أن وجود الفيل ضمن هذا الجيش يدل على قدرات متميزة عند أصحابه، حيث استطاعوا أن يسخروا الفيل في

أعمالهم الحربية، واستطاعوا أن يعبروا به الصحراء، فالكيد كان عظيماً لإيصال جيش عظيم إلى نقطة في أعماق الصحراء، فلم تكن مجرد نزوة أو شهوة عابرة، بل إن الأمر قد احتاج إلى إعداد عظيم.

٢. إن هدف الغزاة كان ضخماً، حيث إنهم يهدفون إلى تدمير أول بيت وضع للناس، أو نقله إلى مكان آخر، وهو أمر عظيم، لأن تغيير مكان البيت يعني أن تفقد البشرية مقوماً مهماً من مقومات حياتها كما ورد في قوله تعالى:

﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْيَتَّى الْحَرَامِ قِيَمًا لِلنَّاسِ ﴾ (المائدة: ٩٧).

٣. لقد كان الجند الذين أرسلهم الله عليهم جنداً عظيماً بسلاح عظيم، فالطير المتتابعة وهي ترمي بحجارة نارية من السماء أمر يلقي الخوف والرعب والرهبة، وخاصة عندما يرى الإنسان ما يحصل للجنود على الأرض.

٤. ما حصل لأصحاب الفيل كان أمراً عظيماً، فقد تحول الجند بعد أن تفتت لحمهم من الحجارة إلى عصف مأكول، أي كورق الزرع الذي أكلته الدواب وداسته بأرجلها.

بناءً على ما سبق يمكن القول إن تسمية السورة بالفيل للدلالة على الضخامة: ضخامة الحشد، وضخامة الكيد، ضخامة العقوبة، فقد كان يوماً من أيام الله تعالى تجلت فيه قدرته وعقابه للباغين والمعتدين على بيته الحرام، وفي الأمر امتنان على قريش بحماية البيت المعظم، وتهديد لهم بقوة الله المنتقم، وتنبية قريش أو تذكيرهم بما ظهر من كرامة النبي ﷺ عند الله إذ أهلك أصحاب الفيل في عام ولادته.

مهما عظم كيد الكفار فإن كيد الله أكبر وأعظم

- يظن الباحثان أنه قد يكون لهلاك جيش أبرهة الغازي للكعبة آثار عظيمة في التاريخ، وهذا استنتاج يحتاج إلى مراجعات تاريخية علمية لتأكيد صحته أو تفنيده.

## (٦٨) سورة قريش

مكية عدد آياتها ٤، وترتيبها ١٠٦

يقول ابن فارس: "القاف والراء والشين أصل صحيح يدل على الجمع والتجمع، فالقرش: الجمع، يقال: تقرشوا إذا تجمعوا، ويقولون إن قريشاً سميت بذلك".<sup>(١)</sup> ويضيف المصطفوي: "وقيل لقرشهم عن حاجة المحتاج وسد خلته. وقيل من التقاريش وهو التجارة".<sup>(٢)</sup>

سميت هذه السورة باسم قبيلة قريش التي كانت تسكن مكة المكرمة، وينتسب إليها النبي ﷺ، وهي القبيلة الزعيمة بين العرب، ولها السيادة، ولقوا فلها الأمان عبر أحلافها مع العرب، كما كانت لغة قريش أكثر لغات العرب تطوراً، وقد نزل القرآن بها، وعندما تم الجمع الثاني في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه أمر اللجنة المكلفة بالأمر فقال: "إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلسانهم".<sup>(٣)</sup>

والسورة تتحدث عن قريش، وتُحلل العناصر التي أدت إلى أن تكون قريش في المكانة السابقة، ومن المنطقي والطبيعي أن يكون اسم السورة (قريش)، لأن السورة تتحدث عن قريش، ولكن تسمية السورة يمكن أن يكون رمزاً للقبيلة السائدة، وبالتالي يمكن الاستفادة من عوامل قوتها لكل أمة تريد أن تسود ويعلو

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٣٩٢)

(٢) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج٩، ٢٦٣)

(٣) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان (١٢٩)

شأنها. ومن أهم مظاهر سيادتها أنها لم تتعرض إلى هزّات من الجوع والخوف، بل هي تُطعم الحجيج، وهي آمنة بل تعطي الأمن لمن يأتيها ويدخل بلدها، ولم يبق الإطعام والأمن مقتصرًا على قريش، بل أصبح ينعم به كل من يدخل أرضها، مكة، وهذا ساعد على تثبيت سيادتها.

### فما العناصر التي جعلت من قريش: القبيلة القائدة؟

١. الإيلاف: وهي ما قامت به قريش من معاهدات مع القبائل على طول طرق رحلاتها، وتقضي بعدم الاعتداء على قوافلها التي تسير على هذه الطرق، والمتصوّر أن وجود البيت العتيق في مكة، سهّل وساعد على عقد هذه المعاهدات، وهذا كان مفتاحاً لما بعده، فما كان للقوافل أن تستمر بالسير، والإطعام أن يحصل - وهما أهم مظهرين لاستقرار هذا المجتمع وسيادته - لولا هذه المعاهدات والعهود.

٢. الجد والاجتهاد: بناءً على العهود مع القبائل كان إيلافهم، أي اعتيادهم، على رحلة الشتاء والصيف، فهم يسافرون في الصيف والشتاء، وهذا يدل على إدراكهم لطبيعة موقعهم واستفادتهم من هذا الموقع، وهو يدل على حكمة، حيث يتجهون بالتجارة مع عوامل الطبيعة لتعينهم، هو باختصار يدل على طبيعة حكيمة ونشيطة لقريش، إذ لو كانوا يميلون إلى الدعة والخمول، والاكتفاء بما يأتي به الحجيج ما استطاعوا أن يبلغوا هذه المترلة.

٣. السفر: والمقصود به رحلة الشتاء والصيف، حيث إن هذه الرحلات أفادتهم فوائد منها:

• اطلاعهم على الحضارات الأخرى، وبالتالي كانوا على وعي بما يجري حولهم في العالم، ولم يكونوا منعزلين عما يحدث، فعزلتهم كانت عزلة جغرافية، ولكنها لم تمنعهم من الاطلاع على الحضارات الأخرى، وبالتالي النمو العقلي.

• مكنتهم أيضاً من أن يكونوا على اطلاع على جغرافية البلدان المختلفة، وهذا يفسر سبب كون معظم القيادات العسكرية للجيش الإسلامية كانت قرشية، حيث إنها كانت على خبرة بالطرق والأماكن، وبالظروف الدولية، وخبرة بالأعداء، ولعل هذا الإعداد كان من العناصر التي مكنت هذه القيادات من تحقيق نجاحات عسكرية باهرة.

٤. **البيت الحرام:** إن وجود الكعبة في مكة قد سهل لهم الإيلاف، ولعل سبب تأخير ذكره في السورة، مع أنه الأهم، لأنه ما كان يمكن لهم أن يستفيدوا من هذا الوجود لولا صفتهم الاجتماعية التي ذكرناها. ولكن يبقى هذا البيت محور وجودهم، ولولا ذلك ما قامت لقريش قائمة، ولذلك فهو يدعوهم إلى عبادة الله، الذي هو رب البيت، أي هو الراعي لهذا البيت، والمدبر لأمره، وبالتالي فهو الراعي والمدبر لأمر قريش، وهو الذي يسر لهم كل ما هم فيه. إن رب البيت، وتبعاً له البيت، هو الذي جعل لقريش مكانتها وقيمتها، وإن السبب الأساس لمكانة قريش هو تعظيم العرب، كل العرب، لهذا البيت، وبالتالي فهو ينيهم إلى عبادة رب البيت الحرام.

ويُلخّص أستاذنا لدى مراجعته للبحث دلالة الاسم بقوله: "إن قريشاً مثال للقبائل والأمم، فرغم ظروفها من حيث المكان بواد غير ذي زرع، فالجوع فيه هو القاعدة، والمحيط في حالة صراع وحروب ثأرية، وغزو، وسي وصعلكة، فعلى الرغم من ذلك كله فقد كانت قريش آمنة تأتيها أرزاقها وتزدهر تجارها، وكل ذلك بسبب الدين الذي كانت تعلن الاعتقاد به، وبسبب وجود البيت الحرام الذي تُعظّمه وتُكرم حججه، ومثل هذه النعمة تقتضي الشكر بعبادة الله وحده لا شريك له".

هداية الاسم:

الالتزام بالدين مع الجد والعمل من أهم أسباب الرفعة والسيادة للأمم

- جاءت سورة الفيل في ترتيب المصحف قبل سورة قريش للتأكيد على فضل الله تعالى على قريش، وتذكيرهم بمثال عظيم لرعاية الله لهم، وتنبههم على مكانة البيت الحرام.

## (٦٩) سورة الماعون

مكية عدد آياتها ٧، ورقمها ١٠٧

الماعون لغة كما يقول الرازي: "اسم جامع لمنافع البيت كالقدر والفأس ونحوهما"<sup>(١)</sup> ويقول المصطفوي في معنى الماعون: "مما هو من أساقط لوازم البيت ومن محقرات الوسائل"<sup>(٢)</sup>.

ويعرف أستاذنا الماعون بكلمات معاصرة فيقول: "هو ما تواطأ عليه المجتمع من معروف يبذله كل أحد، ومن أمثلته العارية التي يُنتفع بها وتُرد، ويُنسب مانعه إلى سوء الخلق ولؤم الطبيعة".

تبدأ السورة بالسؤال عن الذي يُكذب بالدين، حيث تُعرّفه بأنه:

١. الذي يدع اليتيم، والدع لليتيم أبلغ صور الجلافة لأنه صغير فاقد للنصير، وهو في مقام يستجلب اللين والرحمة والعطف.

٢. عدم الحض على طعام المسكين، فهو لا يمارس أدنى عاطفة تجاه المسكين بالدعوة إلى إطعامه.

والذي يبدو لأول وهلة أن اسم السورة الذي جاء في آخر كلمة فيها، ليس هو محورها الواضح، فالسورة ذكرت عدة ممارسات سلبية، ومنع الماعون هو أقلها سلبية، فهو أقل من دع اليتيم وإهانتته دون رحمة، وهو أقل من عدم الاهتمام

(١) مختار الصحاح، محمد الرازي (٣٢٤)

(٢) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج ١١، ١٤٧)

بالمساكين الذين يحتاجون للمساعدة بشكل جدي، فلماذا سُميت السورة بهذا الاسم؟

قد يكون في ذلك إشارة أو دلالة على أن منع الماعون أمر مركزي في تعريف الذي يكذب بالدين، وإعطائه أهمية خاصة للابتعاد عنه، فقد يكون هو البداية التي توصل إلى التكذيب بالدين، كما قد يكون نتيجة دالة عليه، ولتوضيح ذلك:

• إما أن يكون بداية، وفي ذلك توجيه للمؤمن حول كيفية تكوّن المرض الخبيث (التكذيب بالدين)، فالأمر يبدأ بمنع الخير القليل عن الناس، أو منع إعارتهم الأدوات التي هي قليلة القيمة نسبياً، ولا يُسبب استخدامها من قبل الآخرين نقصاً ذا قيمة، وعندما تصل الدناءة بإنسان فيحبس أقل المعروف عن الناس، فإنه يكون عرضة، إن لم يتدارك نفسه، للانحدار وصولاً إلى دع اليتيم وعدم الحض على طعام المسكين، وبالتالي التكذيب بالدين.

إذاً اسم السورة دلالة على خطورة ترك السلوك الاجتماعي المفيد، وأن الإنسان الذي يمنع الخير عن الناس ولو بأقله (الماعون)، أو بالكلمة (الحض على طعام المسكين)، كما أن الذي يعتدي على الضعفاء مثل (اليتيم)، فإنه في الحقيقة هو المكذب بالدين، لذلك كان اسم السورة بأقل هذه الأمور يُعدّل الإنسان من سلوكه نحو مجتمعه، ويقدم الخير للآخرين، صيانة لقلبه، ومنعاً من الانزلاق إلى الجرائم الكبرى المتمثلة بدع اليتيم وعدم الحض على طعام المسكين وبالتالي يصبح من المكذبين بالدين.

- والاحتمال الثاني أن تكون هذه الممارسة نتيجة للتكذيب بالدين دالة عليه، حيث إن المكذب بالدين يتصف بهذه الصفة حتى تصبح سمياً له، حيث لا يدفعه إيمان ولا احتساب للأجر في الآخرة إلى فعل أقل الخيرات كلفة وجهداً.

هداية الاسم:

عدم الاهتمام بالأخلاق الاجتماعية طريق للكفر أو علامة عليه

## (٧٠) سورة الكوثر

مكية وعدد آياتها ٣، ورقمها ١٠٨

الكوثر: هو الخير الكثير الذي أعطاه الله للرسول ﷺ، روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر: هو الخير الذي أعطاه الله إياه، قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فإن ناساً يزعمون أنه نهر في الجنة، فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه".<sup>(١)</sup>

يقول ابن فارس: "الكاف والطاء والراء أصل صحيح يدل على خلاف القلة".<sup>(٢)</sup> ويقول الأصفهاني: "الخير العظيم الذي أعطاه النبي ﷺ... ويقال تكوثر الشيء كثر كثرة متناهية".<sup>(٣)</sup> ويقول ابن منظور: "الكوثر: الكثير من كل شيء... وجميع ما جاء في تفسير الكوثر قد أعطيه النبي ﷺ، أعطي النبوة وإظهار الدين الذي بعث به على كل دين والنصر على أعدائه والشفاعة لأمته، وما لا يحصى من الخير، وقد أعطي من الجنة على قدر فضله على أهل الجنة".<sup>(٤)</sup> ويقول القرطبي: "والعرب تُسمي كل شيء كثير في العدد والقدر والخطر كوثرًا".<sup>(٥)</sup> ويقول المصطفوي: "زيدت الواو، وتدل على الزيادة والمبالغة في المعنى، ومعناه

(١) صحيح البخاري، محمد اسماعيل البخاري (٤٩٦٦)، كتاب تفسير القرآن، تفسير سورة الكوثر.

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج ٢، ٤٣٥)

(٣) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (٤٢٦)

(٤) لسان العرب، ابن منظور (ج ٥، ١٣٣)

(٥) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، محمد القرطبي (ج ٢٠، ٢١٦)

مطلق، يشمل كل ما يناسب مقامه، من كل خير وصلاح ووسائل للفوز والتعالى مادياً أو معنوياً".<sup>(١)</sup>

ورد اسم السورة في الآية الأولى، كما تناولت الآية الثالثة (الأخيرة) جانباً من الخير الذي أعطاه الله لنبيه ﷺ بالتأكيد على نصره وتأييده على أعدائه، وتبشيره ببقاء دينه ورفعته.

ولكن ما علاقة الآية الثانية ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنحِرْ ﴾ بمحور السورة الأساس واسمها؟

ما دام الكلام عن الخير العظيم فإن المطلوب للوصول إلى تمام هذا الخير وزيادته الشكر العظيم المتمثل بالصلاة والنحر استجابة لأمر الله تعالى، وأن يتوجه الرسول ﷺ والمؤمنون من بعده في كل عبادتهم لله وحده ﴿ لِرَبِّكَ ﴾، وأن يتجردوا لله في الكبير والصغير، فالصلاة من الأعمال الكبيرة والمركزية في الدين، وهي مطلوبة على الدوام والاستمرار، أما النحر فهو سنة يمارسها المسلمون مرة في العام، ربما لا يمارسها كثير من المسلمين لقلة ذات اليد، وهذا التجرد لله تعالى ورد في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأنعام: ١٦٢-١٦٣).

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفى (ج ١٠، ٢٩)

والسورة فيها تهديد واضح للذين كانوا يستهزئون بالنبي ﷺ ويقولون عنه إنه أبت، وجاء التهديد بنفس الصيغة ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (٣)، وذلك للتأكيد على أن اتباع النبي ﷺ فيه الخير الكثير والبقاء والاستمرار، أما معاداة دينه والوقوف في وجه الإيمان فسيؤدي إلى الزوال.

والملاحظ أن هذه السورة هي أقصر سورة في القرآن الكريم، وقد سميت بهذا الاسم الذي يعني الخير العظيم والذي يشمل النبوة والقرآن والنهر في الجنة والعصمة من الناس والمغفرة وغيرها، وفي ذلك إشارة إلى أن القرآن الكريم حتى في أقصر سورته يحمل الخير الكثير، فهو كلام الله الحكيم المتفضل على عباده المحب لهم ولنبيهم ﷺ.

هداية الاسم:

اتباع النبي ﷺ ودينه فيه الخير الكثير والخلود الحقيقي

## سورة النصر (٧١)

مدنية عدد آياتها ٣ ، رقمها ١١٠

النصر: الغلبة المادية والفكرية المتضمنة علو الدين وهزيمة الأعداء، وبه يتحقق الهدف المراد. يقول ابن فارس: "النون والصاد والراء أصل صحيح يدل على إتيان خير وإيتائه، ونصر الله المسلمين: آتاهم الظفر على عدوهم".<sup>(١)</sup> ويقول الفيروزآبادي: "نصر المظلوم نصراً ونُصوراً: أعانه ... ونصره منه: نجاه وخلصه".<sup>(٢)</sup>

وأما الفتح فهو يقابل الإغلاق، فالفتح: "إزالة الإغلاق والإشكال" كما يقول الاصفهاني: "فعندما تُرفع الحواجز المادية والمعنوية وتزول يكون فتحاً".<sup>(٣)</sup> يقول أستاذنا عن الفرق بين الفتح والنصر: "النصر من لوازم الفتح، ويدل النصر على الإعانة والتقوية، والفتح هو صورة من صور النصر الكثيرة، فكل فتح هو نصر، وليس كل نصر فتحاً".

فلماذا سميت السورة بالنصر ولم تُسمَّ بالفتح؟ لعل تسمية السورة النصر وليس الفتح لأن هذا النصر كان مقدمة الفتح الواسع ودخول الناس في دين الله أفواجاً، حيث أزيلت العوائق أمام انتشاره بسبب هذا الانتصار العظيم، كما أنه كان هزيمة ساحقة في قلب معسكر الأعداء.

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٥٦٣)

(٢) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (٥٠٦)

(٣) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (٣٧٠)

والسورة تتحدث عن فتح مكة في العام الثامن الهجري، حيث كان هذا الحدث مفصلياً في تاريخ الدعوة الإسلامية، حيث أزيل أهم عائق أمام دخول العرب في الإسلام وهو سلطة قريش السياسية والدينية، وبعده تحول المسجد الحرام إلى مكان يحج إليه العرب المسلمون يؤدون شعائر الإسلام، وانتفت مظاهر الشرك منه بهدم الأصنام الموجودة فيه، ويمكن التأريخ بهذا الحدث كبداية لانتشار الإسلام في العالم سياسياً وفكرياً ودخول الناس في دين الله أفواجاً، ولعل هذا يفسر تسمية السورة بالنصر (بأل التعريف)، للإشارة إلى حصول هذا الأمر على درجة عالية وعظيمة، وكأنه نموذج النصر الكامل، ولعل إضافته في السورة إلى الله تعالى ﴿نَصْرُ اللَّهِ﴾ يُقَوِّي المعنى الذي قلناه.

أما الآية الثالثة والأخيرة في السورة ففيها الدعوة إلى تسبيح الله وحمده واستغفاره، ولعل في ذلك إشارة إلى أن هذه الأمور كما هي مقدمات مهمة للنصر والتمكين، فهي أيضاً مستلزمات لما بعد النصر وذلك لأن النصر، كما هو واضح في السورة وفي آيات كثيرة، هو نصر الله تعالى، وهو بمنته سبحانه، مهما كان جهد الإنسان وتقديمه كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ (الأنفال، ١٠). كما أن الإنسان في مرحلة الجهاد والوصول إلى النصر قد تمر عليه لحظات ضعف: ﴿وَتَطْمَئِنُّ بِاللَّهِ الظُّنُونُ﴾ (الأحزاب: ١٠)، وهذا يحتاج إلى استغفار، حيث قد ينسى الناس في لحظة النصر ضعفهم السابق وتقصيرهم.

النصر الحقيقي هو الذي يُغلب فيه الطغاة،  
وتزول به عوائق انتشار الدين بين الناس

- جاءت كلمة الفتح معرفة في السورة للدلالة على إزالة العوائق بشكل شبه كامل وليس بشكل جزئي كما كان في صلح الحديبية في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا ۖ ﴾ (الفتح: ١).
- قد يسأل سائل: لماذا في سورة الفتح كان الوعد بالمغفرة: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ۖ ﴾، أما في سورة النصر وهي تالية في النزول كان الأمر بالاستغفار بقوله: ﴿ وَأَسْتَغْفِرُكَ ۖ ﴾ ؟ وقد يكون الجواب عن هذا التساؤل: أن ما ورد في سورة الفتح هو وعد من الله بنعم أربع (المغفرة، الهداية، النصر العزيز، إتمام النعمة)، وقد تحققت جميعها بشكل واضح بعد فتح مكة، وبعضها كان في العام العاشر في بعض الروايات عند نزول ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ۖ ﴾ في حجة الوداع، فلعل طلب الاستغفار مقدمة لتحقيق وعد الله السابق بالمغفرة التامة، كما أن الهداية قد اتضحت بعد الفتح كما قال أبو السعود في تفسيره: "وأصل الاستقامة وإن كانت حاصلة قبل الفتح، لكن حصل بعد ذلك من اتضاح سبيل الحق واستقامة مناهجه ما لم يكن حاصلًا قبل".<sup>(١)</sup>

(١) تفسير أبو السعود، أبو السعود (ج ٦، ٩٨)

## سورة المسد (٧٢)

السورة مكية، عدد آياتها ٥، رقمها ١١١

المسد في اللغة كما ذكر الأصفهاني: "ليفٌ يُتخذ من جريد النخل أي من غصنه فيُمسد أي يفتل".<sup>(١)</sup> ومسدت الحبل كما يقول المصطفوي: "أجدت فتلته".<sup>(٢)</sup> ويقول ابن فارس: "الميم والسين والذال أصل صحيح يدل على جدل شيء وطيه".<sup>(٣)</sup> ويقول الفيروزآبادي: "المسُد: الفتل وإدآب السير".<sup>(٤)</sup> وكون الحبل من جريد النخل فيه معنى الخشونة، وكونه ممسوداً فيه معنى الإحكام.

سميت هذه السورة بآخر كلمة فيها في آخر آية في قوله تعالى: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ (٥)، وهذه الكلمة تصف العذاب الذي سيكون لزوج أبي لهب في النار، والجيد هو العنق، وأن يكون الحبل المحكم الفتل في عنق الإنسان يحمل معنى الإذلال.

ولعل تسمية السورة بالمسد للتركيز على هذه المعاني الثلاثة: الخشونة، والإحكام والتضييق، والإذلال.

فالخشونة تقابل الخشونة التي بدت في سلوك أبي لهب وزوجه نحو الرسول ﷺ ودعوته، وقد بدأت السورة بإعلان التباب (الهلاك) لأبي لهب وبالذات يده

(١) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (٤٦٨)

(٢) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج١١، ١١٣)

(٣) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٥١١)

(٤) القاموس المحيظ، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٣٤٤)

للإشارة إلى ما كان يديره ويمارسه ضد الرسول ﷺ من سلوكيات طائشة، وكذلك امرأته في جيدها جبل خشن تُجر به في نار جهنم.

وأما الإحكام فإن تسمية (أبي لهب) قد تشير إلى ما كان يقوم به الرجل من إشعال نار الفتنة بين الناس، وفتنة الصد عن سبيل الله تعالى، ويبدو أن هذا كان بمساعدة زوجته التي أطلقت عليها السورة وصف (حمالة الخطب)، فكأنها تسهم في تأجيج الفتنة، وهذا الفهم ليس غريباً عن البيان القرآني، حيث وصف الله تعالى سعي اليهود في الفتنة بقوله: ﴿كَلَّمَآ أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَاهَا اللَّهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ (المائدة: ٦٤)، قال مجاهد: "تمشي بالنميمة حيث كانت تنم على النبي ﷺ وأصحابه إلى المشركين".<sup>(١)</sup>

ويقول أستاذنا لدى مراجعته للبحث في بيان ارتباط المعنى السابق باسم السورة: "يبدو أن أبا لهب وزوجه أحكما التدبير لإيذاء النبي ﷺ ودعوته، وضييقاً عليه في كثير من المواقف، وليس فقط كما يتصور البعض أن زوجة أبي لهب كانت تضع الشوك في طريق النبي ﷺ".

وأما الإذلال فهو واضح في كون الحبل في رقبة المرأة، وفي الآيات الأولى المهدة لأبي لهب بقوله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ (١-٣).

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (ج ٨، ٨٣٦).

وأما المعنى الذي أضافه الفيروزآبادي، وهو إداب السير، فيكون في معنى الاسم  
إدامة العذاب لأبي لهب وزوجته، جزاءً لمواصلتهم العداة للرسول ﷺ ودعوته.  
ويمكن أن نضيف أن تسمية السورة بالمسد وهو الحبل المربوط في جيد زوجة أبي  
لهب، وليس في جيد أبي لهب نفسه، قد يرجع إلى أمرين:

١. يبدو أن الدور المركزي والنصيب الأكبر في إحكام الكيد للرسول ﷺ كان لزوجة  
أبي لهب.

٢. الأصل في الجيد أنه المكان الذي تضع فيه المرأة زينتها، بل هو من أكثر ما  
يميز جمال المرأة، ولعل في ذلك إشارة إلى تابعة أبي لهب لزوجه بسبب جمالها  
وذهاب شخصيته أمام جمالها.

هداية الاسم:

### مصير الذي يحكمون الكيد والعداء لهذا لدين الإذلال والعذاب العظيم

- جبل: لم يرد في القرآن بالمعنى الحقيقي إلا في هذه السورة، ولكن ورد بمعنى مجازي  
(جبل الله، جبل الوريد).
- حمالة الحطب: قال مجاهد: تمشي بالنميمة. .. وقال محمد بن سيرين: كانت امرأة أبي  
لهب تنم على النبي ﷺ وأصحابه إلى المشركين. وقال الفراء: كانت تنم فتحرش فتوقد  
بينهم العداوة فكنى عن ذلك بحملها للحطب". (١)

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (ج٨، ٨٣٦).

## سورة الإخلاص (٧٣)

السورة مكية وعدد آياتها ٤، ورقمها ١١٢

يقول ابن فارس: "الحاء واللام والصاد أصل واحد مطرد، وهو تنقية الشيء وتهذيبه".<sup>(١)</sup> ويقول الطناحي في بيان معنى الإخلاص: "قال تعالى في قصة يوسف: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهَذَا اسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِي﴾ (يوسف: ٥٤): أي أجعله خالصاً لي دون غيري، لا يشركني فيه أحد. والاستخلاص: طلب خلوص الشيء من شوائب الشركة، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (مريم، ٥١)، مخلصاً: مختاراً، وقرئ: "مخلصاً" بكسر اللام، أي: إنه أخلص العبادة والتوحيد لله غير مرء للعباد".<sup>(٢)</sup> ويقول الأصفهاني: "فحقيقة الإخلاص التبري عن كل ما دون الله تعالى".<sup>(٣)</sup>

ولكن ما علاقة السورة بالإخلاص؟ ولماذا لم تسمّ السورة بكلمة من داخلها أو بموضوع واضح في السورة؟

السورة كما هو ملاحظ تتحدث عن الله تعالى، تُعرّف الخلق بخالقهم، وتُعرّف العبيد بربهم، وتُعرّف العابد بمعبوده، فهي تتحدث عن توحيد الله تعالى، وأن

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (٣٧٣/١)

(٢) من أسرار اللغة، الطناحي، (ج ٢، ٥٤٥)

(٣) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (١٥٤)

المخلوقات جميعاً تحتاجه، وهو لا يحتاج أحداً أو شيئاً أو مخلوقاً، وهو سبحانه الأول والآخر، ولا يمثل امتداداً لأب قبله، وليس له امتداد بآب، فهو لم يلد ولم يولد، وهو الذي ليس له مثل ولا شبيه، ولم يكن له كفواً أحد، فهي إذناً تُخَلِّصُ التصور عن الله تعالى من كل شائبة، وهذا قد يكون السبب الأول في تسميتها بالإخلاص.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: "سلوه لأي شيء يصنع ذلك". فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: "أخبروه أن الله يحبه".<sup>(١)</sup>

ويبدو أن السورة أحاطت بالصفات التي لا تتم معرفة الله إلا بها لذلك كانت جواباً للمشركين عن الله تعالى، عن أبي بن كعب رضي الله عنه: "أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ انسب لنا ربك، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) الله الصَّكَمُ ﴿٢-١﴾".<sup>(٢)</sup>

كما قد يكون السبب الثاني في التسمية أن الإنسان إذا عرف خالقه حق المعرفة، فإنه يُخلص له، ويتوجه إليه وحده، لأنه عنده كل ما يحتاجه في دنياه وآخرته، وبالتالي فإن رسوخ هذه المعاني يؤدي إلى الإخلاص، فاسم السورة يدل على

(١) صحيح البخاري، محمد اسماعيل البخاري (٧٣٧٥)، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد

الله تبارك وتعالى.

(٢) (مسند أحمد، ج ٥، ١٣٣).

النتيجة التي يُحدثها رسوخ معانيها في نفس القارئ المتدبر المؤمن، فكلما عرف الإنسان ربه زاد له عبادة وتقرباً.

ويلخص الطناحي سبب التسمية بقوله: "لأنها خالصة في صفة الله تعالى خاصة، أو لأن الالفاظ بها قد أخلص التوحيد لله تعالى".<sup>(١)</sup>

يقول ابن حجر العسقلاني: "وقال غيره: تضمنت هذه السورة توجيه الاعتقاد وصدق المعرفة، وما يجب إثباته لله من الأحدية المناف لمطلق الشركة، والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال الذي لا يلحقه نقص، ونفي الولد والوالد المقرر لكمال المعنى، ونفي الكفاء المتضمن لنفي التشبيه والنظير، وهذه مجمع التوحيد الاعتقادي، ولذلك عادت ثلث القرآن، فأخلصت سورة الإخلاص الخبر عن الله تعالى، وخلصت قارئها من الشرك الاعتقادي".<sup>(٢)</sup>

فالسورة فيها تخلص لعقائد الناس حول الله تعالى مما أدخل عليها البشر من شوائب وتحريف، وفيها توجيه لإخلاص العبادة له سبحانه، يقول ابن عاشور: "واشتهر هذا الاسم لاختصاره وجمعه معاني هذه السورة، لأن فيها تعليم الناس إخلاص العبادة لله تعالى، أي سلامة الاعتقاد من الإشراك بالله غيره في الألوهية".<sup>(٣)</sup>

(١) من أسرار اللغة في الكتاب والسنة، محمود الطناحي (ج٢، ٥٤٦)

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (ج٨، ٩٢٤)

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٢م، ج٣٠، ٦٠٩)

التصور الصحيح عن الله تعالى يؤدي إلى الإخلاص

- بعد التعرف على الله الواحد يكون للاستعاذة معنى، وهذا شأن دعاء النبي ﷺ بهذه السورة والمعوذتين.

## (٧٤) سورة الفلق

السورة مكية وعدد آياتها ٥، ورقمها ١١٣

يقول ابن فارس: "الفاء واللام والقاف أصل واحد يدل على فرجة وبينونة في الشيء، وعلى تعظيم شيء".<sup>(١)</sup> ويقول الأصفهاني: "الفلق شق الشيء وإبانة بعضه عن بعض".<sup>(٢)</sup> وقال ابن منظور: "الفلق: ما انفلق من عمود الصبح، أو هو الصبح بعينه. وقيل هو الفجر. وكلُّ راجع إلى معنى الشق".<sup>(٣)</sup> وقال الحلبي: "الفلق: الخلق كله، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ (الأنعام: ٩٥)".<sup>(٤)</sup>

وبناءً على ذلك يُقال للصبح الفلق لانفصاله عن الليل وظهوره ووضوحه، كما أن الانشقاق والبينونة للأمور تعني نهاية مرحلة أو وضع، وبداية مرحلة جديدة أو وضع جديد، ولعل تسمية السورة بالفلق كما استنتج أستاذنا: "لأن الشر هو انبثاق عن المرسل أي الفاعل، والليل إذا حل ﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ سبب لانبثاق شرور، أي انبعاث شر سببه الظلام، والنفثات في العقد هو انبعاث أو انبثاق عن النفس المظلمة تنفث في العقد لتولد شراً وسحراً، كما أن الحسد هو انبثاق عن نفس مظلمة".

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٣٣٠)

(٢) المفردات في غريب القرآن، (٣٨٥)

(٣) لسان العرب، ابن منظور (ج١٠، ٣٧٣)

(٤) عمدة الحفاظ، الحلبي (ج٣، ٢٩٧)

كما إن الشرور السابقة فيها معنى الظلام إما حقيقة أو مجازاً: فالحسد أمر في النفوس المستترة، فكأنه من شدة الاستتار في ظلام، وخاصة نفوس الحاسدين، والنفاثات أمر يجري في السر، والشرور بصفة عامة فيها معنى الظلام، فما لا تدرك من الشر أكثر مما تعرف أنه شر في الغالب، وحتى لو عرفته فغالباً لا تستطيع مقاومته، هذا على المجاز، وأما على الحقيقة فالليل مظلم، وظلامه ظرف مناسب للشرور.

وتأتي الاستعادة برب الفلق من باب الفأل الحسن، فكما يُبدد الله بالشمس ظلمة الليل فهو المأمول لتبديد ظلام الشرور الأربعة، يقول البيضاوي: "وتخصيصه لما فيه من تغير الحال وتبدد وحشة الليل بسرور النور، ومحاكاة فاتحة يوم القيامة، والإشعار بأن من قدر أن يزيل ظلمة الليل عن هذا العالم قادر أن يزيل عن العائد ما يخافه".<sup>(١)</sup> فكان تسمية السورة بالفلق فيه طمأنة للمؤمن أن هذه الاستعادة لن تضيع.

هداية الاسم:

رب الفلق هو المستعاذ لتبديد ظلمات الشرور جميعها

- من الضروري استخدام الكلمات الجميلة أو المعينة في مواقف الشدة والمعبرة عن النتائج الإيجابية (الفلق)، كما أن الفلق قانون كوني، فهناك قانون يجعل للشرور وقتاً لا تتعدها، فبعد الضيق الفرج.

(١) أنوار التزئيل وأسرار التأويل، البيضاوي (ج٢، ٦٢٣)

## (٧٥) سورة الناس

السورة مكية وعدد آياتها ٦، ورقمها ١١٤

هذه السورة هي آخر سورة في القرآن الكريم، فهي في موضع الخاتمة له، تلخص أهم محاوره، وكأنها بذلك تلخص الفلسفة القرآنية للصراع بين الحق والباطل، فما العلاقة بين هذه الأمور وبين تسمية السورة الناس؟

يمكن أن تظهر هذه العلاقة من خلال عدة محاور في السورة:

المحور الأول- علاقة الناس مع الله تعالى: فهم المقصودون من إنزال القرآن بشكل أساسي، وقد وردت كلمة الناس ٥ مرات في ٦ آيات، وتظهر علاقة الناس بالله تعالى من خلال: (رب الناس، ملك الناس، إله الناس)، وهذه الأسماء لها دلالات متكاملة وليست مترادفة، أي أن كل اسم منها له دلالة خاصة تكمل دلالة الاسمين الآخرين، فالرب فيه معنى التربية والتوجيه والتعليم، والملك يملكهم ويسوسهم بما يعود على الناس بالخير في اتباعه، أما الإله فهو المعبود الذي ينبغي أن يتوجه إليه الناس بالعبادة في جميع حياتهم، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢).

فهذه الأسماء الثلاثة تشير إلى أن الناس لا يمكن أن يفلحوا وينجحوا في حياتهم إلا إذا التزموا بتشريعات وقوانين الله تعالى، وتوجهوا إليه بالعبادة التي تقتضي الالتزام والتقيد بما يأمر، وصاغوا نفوسهم (ربّوها) بناءً على هذه التوجيهات الإلهية.

**المحور الثاني-** أعداء الناس: فأعداؤهم هم الذين يعملون على إضلالهم عن عبادة الله تعالى، ويصدّونهم عن اتباع تشريعاته وقوانينه، ويُثَنِّونهم عن تزكية نفوسهم بناءً على أوامره، وهؤلاء الأعداء هم من الجن والناس، وبناءً على ذلك فإن صراعاً سيقع بين الملتجئين إلى الله تعالى وبين أعداء الله تعالى، وذلك لاستقطاب أكبر عدد من الأتباع كلٌّ إلى صفه، ولعل انتهاء السورة بكلمة الناس وتسمية السورة بالناس للدلالة على مركزية دور الناس في هذا الصراع سواء من ناحية الخير أو الشر، كما أن نتيجة هذا الصراع سيؤدي إلى انقسام الناس إلى قسمين (أهل الجنة وأهل النار).

**المحور الثالث-** وهو المحور الذي يتناول مكنم الضعف في الناس، وهو المدخل الذي يلجُ عبره الوسواس الخناس في صدور الناس، واستخدام كلمة الصدور وليس العقول للدلالة على موطن الأهواء والميول والشهوات.

**ونخلص بالقول:** إن الاستمسك بالدين وبرسالة الله تعالى (القرآن الكريم) سيكون عاصماً للناس من قوى الشر الإنسية والجنسية ووسوستهما، ولتستقيم حياة الناس لا بد لهم من دين وقانون وتربية من مصدر رباني لتضمن الصوابية والموضوعية.

هداية الاسم:

### القرآن الكريم

فيه سعادة الناس واستقامة حياتهم وانتصارهم على قوى الشر جميعاً

## الخاتمة

القرآن الكريم معجزة خالدة، وتحدّ للعقول المتدبرة لا ينفد عطاؤه، كلما تدبره المتدبرون ولجوا إلى بعض أسراره وبهرتهم مكوناته، وكلما ظنوا أنهم قد فهموه وتعمقوا فيه كلما اكتشفوا ضآلة ما علموه وقلة ما كشفوا عنه الغطاء من أسراره.

وقد بدأ تدبر القرآن مع نزوله، وكان التدبر متعلقاً بفهم كلمة هنا أو هناك، أو استنباط حكم شرعي، وأعلى ذلك فهم الآية كوحدة واحدة.

واستمر ارتفاع المسلمين في تعاطيهم مع كتاب الله العظيم، وحاول العلماء الإجابة عن سؤال عميق: ما هي العلاقة بين الآيات والسور؟ وارتقى منهم الإمام البقاعي رحمه الله فكان كتابه (نظم الدرر في التناسب بين الآي والسور).

وعمل بعض العلماء والمفسرين في العصر الحديث على رقد السابقين بفكرة التفسير الموضوعي، الذي يعني متابعة معالجة القرآن لموضوع ما كالمال مثلاً في كل سور القرآن وآياته، أو الذي يعني القضايا التي تدور حولها السورة وموضوعاتها.

وبناء على جهود السابقين وانتباهاتهم، قصد الباحثان في هذا البحث المتواضع محاولة فهم العلاقة بين اسم السورة وموضوعاتها المختلفة، على اعتبار أن اسم السورة هو الجامع الذي يربط بين أجزاء السورة المختلفة.

وخلال عامين من البحث لاستجلاء العلاقة بين اسم السورة وبنيتها، فقد استطاع الباحثان الوصول إلى إجابات حول عدد من السور، وكانت بعض الإجابات أشد وضوحاً وقوة من غيرها، ولكنها جميعاً تندرج تحت جواب لسؤال مهم:

ماذا يحمل اسم السورة من دلالات وفهوم يمكن ان تُحلّي معاني القرآن وتجعلنا أقرب إلى فهمه؟

وقد تبين للباحثين علاقات وثيقة بين اسم السورة وموضوعاتها ومفرداتها، وأن اختيار الاسم كان بحكمة وعناية، واختيار اسم دون غيره استفزاز واضح للتدبر، كما أن لهذا الاسم دلالات وهدايات أراد المتزل الحكيم الانتباه إليها والتركيز عليها.

وارتأى الباحثان أن يقوموا بنشر ما وصلا إليه من إجابات، على الرغم من أنها لم تجب عن كل أسماء سور القرآن الكريم، وعلى الرغم من أن بعض الإجابات لم تحمل الرضا الكامل لهما، وكان غرضهما من ذلك أن يضعوا بين أيدي أهل القرآن المتدبرين له هذه الدراسة، علّها تكون حافزاً لبعضهم أن يتابع: فيفتح الله على يديه في السور المغلقة، أو يعطي اجتهاداً يكون أكثر دقة في الإجابة على أسرار أسماء السور الأخرى.

إن قيمة هذا البحث، كما يرى الباحثان أنه طرق أرضاً بكرّاً لم تطرق، وإن طُرقت فعلى استعجال دون تركيز على هذا الموضوع. ولعل ما سبق يجعل لهذا البحث شرف الريادة أو على الأقل التنظيم الأفضل والعناية الأكبر، وهو شرف لأنه يتعلق بكتاب الله. ولكنه أيضاً يحمل ما تحمله الأبحاث الجديدة من إشكالات تحتاج إلى تضافر جهود الباحثين ليقوم على سوقه، يعجب الزراع، ويستروح عنده أهل القرآن الربانيون المتدبرون المسكون بالكتاب.

نسأل الله تعالى أن ييسر لهذا البحث من أهل التدبر والعلم من يوليه ما يستحق من جهد ومتابعة، وأن ينفع به كاتبه وقارئه والمؤمنين جميعاً. اللهم آمين.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

## ملحق رقم (١): أحاديث وردت في أسماء السور

(بالرجوع إلى دراسة د. منيرة الدوسري، وموقع الدرر السنية، الموسوعة الحديثية)

الرقم	السورة	أحاديث وردت في تسميتها
١.	الفاتحة	عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفتح الكتاب فهي خداج، يقولها ثلاثاً" (مسلم، ٣٩٥).
٢.	البقرة	عن أبي مسعود عقبة بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه" (البخاري، ٥٠٠٨).
٣.	آل عمران	عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدّمه سورة البقرة وآل عمران، وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد، قال: كأههما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق أو كأههما حرقان من طير صواف، تحاجان عن صاحبهما" (مسلم، ٨٠٥).
٤.	النساء	عن معدان بن أبي طلحة رضي الله عنه قال: "أن عمر بن الخطاب خطب يوم الجمعة، فذكر نبي الله ﷺ، وذكر أبا بكر، ثم قال: إني لا أدع بعدي شيئاً أهم من الكلاله، ما راجعت رسول الله ﷺ في شيء ما راجعته في الكلاله، وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيه، حتى طعن بأصبعه في صدري، وقال: "يا عمر! ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء؟" وإني إن أعش أقض فيها بقضية، يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن" (مسلم، ١٦١٧).
٥.	المائدة	عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: "أنزلت على رسول الله ﷺ سورة المائدة وهو راكب على راحلته فلم تستطع أن تحمله فترل عنها" (مسند أحمد، ٦٦٤٠).
٦.	الأنعام	عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: "نزلت عليّ سورة الأنعام جملة واحدة يُشيعها سبعون ألف ملك، لهم زجل بالتسبيح

		والتحميد" (الطبراني، المعجم الصغير، ٨١/١).
٧.	الأعراف	عن عائشة رضي الله عنها: "أن رسول الله ﷺ قرأ في صلاة المغرب بسورة الأعراف، فرقها في ركعتين" (النسائي، ٩٩٠).
٨.	الأنفال	قال سعيد بن جبير رحمه الله لابن عباس رضي الله عنهما: "سورة التوبة؟ قال: التوبة هي الفاضحة، ما زالت تنزل، ومنهم ومنهم، حتى ظنوا أنها لن تبقى أحداً منهم إلا ذكر فيها، قال: قلت: سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر، قال: قلت: سورة الحشر؟ قال: نزلت في بني النضير" (البخاري ٤٨٨٢).
٩.	التوبة	عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أرسل إلي أبو بكر، ففتبعت القرآن، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره: "لقد جاءكم رسول من أنفسكم" حتى خاتمة براءة" (البخاري، ٧٤٢٥).
١٠.	يونس	عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قال: "نزلت سورة يونس بمكة" (السيوطي، الدر المنثور، ٣٣٩/٤)
١١.	هود	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله! قد شئت قال شيتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت" (الترمذي، ٣٣٠٨).
١٢.	يوسف	عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "كنت بمحصر فقال لي بعض القوم: اقرأ علينا. فقرأت عليهم سورة يوسف. قال فقال رجل من القوم: والله! ما هكذا أنزلت. قال: قلت: ويحك. والله! لقد قرأها على رسول الله ﷺ. فقال لي: "أحسنت". فبينما أنا أكلمه إذ وجدت منه ريح الخمر. قال: فقلت: أتشرب الخمر وتكذب بالكتاب؟ لا تبرح حتى أجلك. قال فجلدته الحد. وفي رواية: وليس فيها: فقال لي "أحسنت" (مسلم، ٨٠١).
١٣.	الرعد	عن ابن عباس رضي الله عنهما: "نزلت سورة الرعد بالمدينة" (السيوطي، الدر المنثور، ٥٩٩/٤).
١٤.	إبراهيم	عن ابن الزبير رضي الله عنهما: "نزلت سورة إبراهيم عليه السلام بمكة" (السيوطي، الدر المنثور، ٣/٥).

١٥.	الحجر	عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "نزلت سورة الحجر بمكة" (السيوطي، الدر المنثور، ٦١/٥).
١٦.	النحل	عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: سمعت رجلاً يقرأ في سورة النحل قراءة تخالف قراءتي، ثم سمعت آخر يقرأها قراءة تخالف ذلك، فانطلقت بهما إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إني سمعت هذين يقرآن في سورة النحل، فسألتهما: من أقرأهما؟ فقالا: رسول الله ﷺ، فقلت: لأذهبن بكما إلى رسول الله ﷺ إذ خالفتما ما أقرأني رسول الله ﷺ... (السيوطي، الدر المنثور، ١٠٨/٥).
١٧.	الإسراء	ليس من حديث أو قول لصحابي في تسمية الإسراء، ولكن وردت باسم بني إسرائيل، عن عبد الرحمن بن يزيد: سمعت ابن مسعود يقول في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: إهن من العتاق الأول، وهن من تلادي" (البخاري، ٤٩٩٤).
١٨.	الكهف	عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: " من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عُصم من الدجال" (مسلم، ٨٠٩).
١٩.	مريم	عن علقمة ؓ قال: " كنا جلوساً مع ابن مسعود، فجاء خباب، فقال: يا أبا عبد الرحمن، أيستطيع هؤلاء الشباب أن يقرؤوا كما تقرأ؟ قال: أما إنك لو شئت أمرت بعضهم يقرأ عليك؟ قال: أجل، قال: اقرأ يا علقمة، فقرأت خمسين آية من سورة مريم، فقال عبد الله: كيف ترى؟ قال: قد أحسن، قال عبد الله: ما أقرأ شيئاً إلا وهو يقرؤه" (البخاري، ٤٣٩١).
٢٠.	طه	عن عبد الرحمن بن يزيد سمعت ابن مسعود يقول في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: "إهن من العتاق الأول، وهن من تلادي" (البخاري، ٤٩٩٤).
٢١.	الأنبياء	عن عبد الرحمن بن يزيد سمعت ابن مسعود يقول في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: "إهن من العتاق الأول، وهن من تلادي" (البخاري، ٤٩٩٤).
٢٢.	الحج	عن عقبة بن عامر الجهني قلت: يا رسول الله، فضلت سورة الحج بأن فيها سجدتين؟ قال: نعم، ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما" (الترمذي، ٥٧٧).
٢٣.	المؤمنون	عن عبد الله بن السائب ؓ قال: "صلى النبي ﷺ بمكة، فاستفتح سورة المؤمنون،

		حتى إذا جاء ذكر موسى وهارون، أو ذكر عيسى أخذت النبي ﷺ سعة؛ فركع وابن السائب حاضر ذلك" (مسلم، ٤٥٥).
٢٤.	النور	عن الشيباني سألت عبد الله بن أبي أوفى <small>رضي الله عنه</small> : هل رجم رسول الله ﷺ ؟ قال: نعم، قلت : قبل سورة النور أم بعد ؟ قال : لا أدري" (البخاري، ٦٨١٣).
٢٥.	الفرقان	عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: " سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ ، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله ﷺ ، فكدت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلم، فلبتته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ ، فقلت: كذبت، أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئها، فقال: أرسله، اقرأ يا هشام. فقرأ القراءة التي سمعته، فقال رسول الله ﷺ : كذلك أنزلت. ثم قال رسول الله ﷺ : اقرأ يا عمر. فقرأت التي أقرأني، فقال: كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه" (البخاري، ٧٥٥٠).
٢٦.	الشعراء	عن ابن الزبير رضي الله عنهما قال: "أنزلت سورة الشعراء بمكة (السيوطي، الدر المنثور، ٢٨٨/٦).
٢٧.	النمل	عن ابن الزبير رضي الله عنهما قال: "نزلت سورة النمل بمكة" (السيوطي، الدر المنثور، ٣٤٠/٦).
٢٨.	القصص	عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "نزلت سورة القصص بمكة" (السيوطي، الدر المنثور، ٣٨٩/٦).
٢٩.	العنكبوت	عن عائشة رضي الله عنها قالت: "إن رسول الله ﷺ كان يصلي في كسوف الشمس والقمر أربع ركعات وأربع سجعات، يقرأ في الركعة الأولى بالعنكبوت، أو الروم، وفي الثانية بيس" (الدارقطني، ٦٤/٢).
٣٠.	الروم	عن الأغر المزني رضي الله عنه: "أن رسول الله ﷺ قرأ في صلاة الصبح بسورة الروم" (السيوطي، الدر المنثور، ٤٧٨/٦).

٣١.	لقمان	عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: "كنا نصلي خلف النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الظهر فنسمع منه الآية بعد الآيات من سورة لقمان والذاريات" (النسائي، ٩٧٢).
٣٢.	السجدة	عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة، في صلاة الفجر: "آلم تزيل" السجدة، و: "هل أتى على الإنسان" (بخاري، ٨٩١).
٣٣.	الأحزاب	عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: "لما نسخنا الصحف في المصاحف، فقدت آية من سورة الأحزاب، كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأها، لم أجدتها مع أحد إلا مع خزيمية الأنصاري، الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين: {من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه} (بخاري، ٤٧٨٤).
٣٤.	سبأ	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما "نزلت سورة سبأ بمكة" (السيوطي، الدر المنثور، ٦/٦٧٣).
٣٥.	فاطر	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "أنزلت سورة فاطر بمكة" (السيوطي، الدر المنثور، ٣/٧).
٣٦.	يس	عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "اقرأوا يس على موتاكم" (أبو داود، ٣١٢١).
٣٧.	الصفات	عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "كان رسول الله ﷺ يأمر بالتخفيف، ويؤمنا بالصفات" (الألباني، صحيح النسائي، ٨٢٥).
٣٨.	ص	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "نزلت سورة ص بمكة" (السيوطي، الدر المنثور، ٧/١٤٢).
٣٩.	الزمر	عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ بني إسرائيل، والزمر" (الترمذي، ٢٩٢٠).
٤٠.	غافر	لم يرد اسم (غافر) في الأحاديث، وإنما ورد اسم المؤمن.
٤١.	فصلت	عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: "أرسلت قريش، عتبة بن ربيعة - وهو رجل رزين هادىء - فذهب إلى رسول الله ﷺ يقول: يا ابن أخي، إنك

<p>منا حيث قد علمت من المكان في النسب، وقد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً لعلك تقبل بعضها. إن كنت إنما تريد بهذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً. وإن كنت تريد شرفاً سودناك علينا فلا نقطع أمراً دونك. وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا. وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبدلنا فيه أموالنا حتى تبرأ. فلما فرغ قوله تلا رسول الله عليه الصلاة والسلام صدر سورة فصلت: "حم. تتريل من الرحمن الرحيم. كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون. بشيراً ونذيراً، فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون. وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه، وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون. قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه، وويل للمشركين. الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون..." (الألبياني، فقه السيرة، ١٠٧).</p>		
<p>لم يرد فيها شيء.</p>	<p>الشورى</p>	<p>٤٢.</p>
<p>لم يرد فيها شيء.</p>	<p>الزحرف</p>	<p>٤٣.</p>
<p>عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ يقرأ عشرين سورة، الرحمن والنجم، كل سورتين في ركعة وذكر الدخان وعم يتساءلون في ركعة" (الطحاوي، شرح معاني الآثار، ١/٣٤٦).</p>	<p>الدخان</p>	<p>٤٤.</p>
<p>لم يرد فيها شيء.</p>	<p>الجاثية</p>	<p>٤٥.</p>
<p>عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "أقراني رسول الله ﷺ سورة الأحقاف وأقرأها رجلاً آخر فخالفتني في آية فقلت له: من أقرأكها فقال: رسول الله ﷺ فأتيته وهو في نفر فقلت: يا رسول الله ألم تقرني آية كذا وكذا، فقال: بلى، قال: قلت: فإن هذا يزعم أنك أقرأها إياه كذا وكذا، فتغير وجه رسول الله ﷺ فقال للرجل الذي عنده: ليقراً كل رجل منكم كما سمع فإنما هلك من كان قبلكم بالاختلاف، قال: فوالله ما أدري أرسول الله ﷺ أمره بذلك أم هو قاله" (مسند أحمد، ٦/٣٩).</p>	<p>الأحقاف</p>	<p>٤٦.</p>

٤٧.	محمد	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "نزلت سورة محمد بالمدينة" (السيوطي، الدر المنثور، ٧/٤٥٦).
٤٨.	الفتح	عن عبد الله بن مغفل المزني رضي الله عنه قال: "رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته، وهو يقرأ سورة الفتح يرجع، وقال: لولا أن يجتمع الناس حولي لرجعت كما رجعت" (البخاري، ٤٢٨١).
٤٩.	الحجرات	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "نزلت سورة الحجرات بالمدينة" (السيوطي، الدر المنثور، ٧/٥٤٦).
٥٠.	ق	عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قرأ في المغرب بقاف والذاريات" (ابن شيبه، المصنف، ١/٣٥٦).
٥١.	الذاريات	عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كنا نصلي خلف النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الظهر فنسمع منه الآية بعد الآيات من سورة لقمان والذاريات" (الوادعي، الصحيح المسند، ١٤٨، حسن).
٥٢.	الطور	عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: "سمعت الرسول ﷺ قرأ في المغرب بالطور" (البخاري، ٧٦٥).
٥٣.	النجم	عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "قرأ رسول الله ﷺ سورة النجم فسجد بها، فما بقي أحد من القوم إلا سجد، فأخذ رجل من القوم كفاً من حصي، أو تراب، فرفعه إلى وجهه، وقال: يكفيني هذا، فلقد رأيت بعد قتل كافرًا" (البخاري، ١٠٧٠).
٥٤.	القمر	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "نزلت سورة القمر بمكة" (النحاس، الناسخ والمنسوخ، ٣/٩١).
٥٥.	الرحمن	عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ يقرأ عشرين سورة، الرحمن والنجم، كل سورتين في ركعة وذكر الدخان وعم يتساءلون في ركعة" (الطحاوي، شرح معاني الآثار، ١/٣٤٦).
٥٦.	الواقعة	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله! قد شئت قال: "شيتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا

		الشمس كورت" (الترمذي، ٣٢٩٧).
٥٧.	الحديد	عن ابن عباس والزبير رضي الله عنهم أهما قالوا: "نزلت سورة الحديد بالمدينة" (السيوطي، الدر المنثور، ٤٥/٨).
٥٨.	المجادلة	عن خويلة بنت مالك بن ثعلبة رضي الله عنها قالت: فيّ وفي أوس بن الصامت نزل صدر سورة المجادلة، قالت: وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه، فراجعته في شيء فضجر فقال: أنت عليّ كظهر أمي، ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل عليّ فإذا هو يريدني عن نفسي، فقلت: كلا والذي نفس خويلة بيده لا تخلص مني إلى شيء وقد قلت ما قلت، حتى يحكم الله ورسوله فينا حكمه، ثم خرجت فبحثت رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك فترّل "قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها" إلى قوله: "وللكافرين عذاب أليم" (ابن حجر العسقلاني، موافقة الخبر الخبر، ٥٠١/١).
٥٩.	الحشر	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "نزلت سورة الحشر بالمدينة" (السيوطي، الدر المنثور، ٨٨/٨).
٦٠.	المتحنة	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "نزلت سورة المتحنة بالمدينة" (السيوطي، الدر المنثور، ١٤٢/٨).
٦١.	الصف	لم يرد فيها شيء.
٦٢.	الجمعة	عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " كنا جلوساً عند النبي ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة: "وأخبرين منهم لما يلحقوا بهم". قال: قلت: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعه حتى سأله ثلاثاً، وفيها سلمان الفارسي، وضع رسول الله ﷺ يده على سلمان، ثم قال: "لو كان الإيمان عند الثريا، لناله رجال من هؤلاء" (البخاري، ٤٨٩٧).
٦٣.	المنافقون	عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: "... فلما أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين" (الترمذي، ٣٣١٣).
٦٤.	التغابن	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "أنزلت سورة التغابن بالمدينة" (السيوطي، الدر المنثور، ١٨١/٨).
٦٥.	الطلاق	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "أنزلت سورة الطلاق بالمدينة"

		(السيوطي، الدر المنثور، ١٨٨/٨).
٦٦.	التحريم	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "أنزلت سورة التحريم بالمدينة" (السيوطي، الدر المنثور، ٢١٣/٨).
٦٧.	الملك	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خبائه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال النبي ﷺ هي المانعة هي المنجية تتجيه من عذاب القبر" (ابن العربي، عارضة الأحوذى، ٣٦/٦).
٦٨.	القلم	لم يرد فيها شيء.
٦٩.	الحاقة	عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "رحت أتعرض رسول الله ﷺ قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقامت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن، قال: فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش، قال: فقرأ "إنه لقول رسول كريم، وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون"، قال: قلت: كاهن قال: "ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون، تنزيل من رب العالمين، ولو تقول علينا بعض الأقاويل، لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين، فما منكم من أحد عنه حاجزين" (الحاقة: ٤٠-٤٧) إلى آخر السورة فوقع الإسلام من قلبي كل موقع" (مسند احمد، ١٠٧).
٧٠.	المعارج	لم يرد فيها شيء.
٧١.	نوح	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "أنزلت سورة نوح بمكة" (السيوطي، الدر المنثور، ٢٨٨/٨).
٧٢.	الجن	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "أنزلت سورة الجن بمكة" (السيوطي، الدر المنثور، ٢٩٦/٨).
٧٣.	المزمل	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "أنزلت سورة المزمل بمكة إلا آيتين" (السيوطي، الدر المنثور، ٣١١/٨).
٧٤.	المدثر	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "أنزلت سورة المدثر بمكة"

	(السيوطي، الدر المنثور، ٨/٣٢٤).		
٧٥.	القيامة	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "أنزلت سورة القيامة بمكة" (السيوطي، الدر المنثور، ٨/٣٤٢).	
٧٦.	الإنسان	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "أنزلت سورة الإنسان بالمدينة" (السيوطي، الدر المنثور، ٨/٣٦٥).	
٧٧.	المرسلات	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله! قد شبت قال شيبتي هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت" (الترمذي، ٣٢٩٧).	
٧٨.	النبأ	لم يرد فيها شيء، وورد تسميتها ب"عم يتساءلون" كما في الحديث السابق عن المرسلات.	
٧٩.	النازعات	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "أنزلت سورة النازعات بمكة" (السيوطي، الدر المنثور، ٨/٤٠٣).	
٨٠.	عبس	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "أنزلت سورة عبس بمكة" (السيوطي، الدر المنثور، ٨/٤١٥).	
٨١.	التكوير	لم يرد فيها شيء.	
٨٢.	الانفطار	لم يرد فيها شيء.	
٨٣.	المطففين	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "أنزلت سورة المطففين بمكة" (السيوطي، الدر المنثور، ٨/٤١١).	
٨٤.	الانشقاق	لم يرد فيها شيء.	
٨٥.	البروج	لم يرد فيها شيء.	
٨٦.	الطارق	لم يرد فيها شيء.	
٨٧.	الأعلى	لم يرد فيها شيء.	
٨٨.	الغاشية	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "أنزلت سورة الغاشية بمكة" (السيوطي، الدر المنثور، ٨/٤٩٠).	
٨٩.	الفجر	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "أنزلت سورة والفجر بمكة" (السيوطي، الدر المنثور، ٨/٤٩٧).	

لم يرد فيها شيء.	البلد	٩٠.
لم يرد فيها شيء.	الشمس	٩١.
لم يرد فيها شيء.	الليل	٩٢.
عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: " قام معاذ فضلى العشاء فطوّل، فقال النبي ﷺ : أفَتَأْنُ أنت يا معاذ؟ أين أنت عن سبوح اسم ربك الأعلى والضحى وإذا السماء انفطرت " (الشوكاني، فتح القدير، ٥/٥٦٢).	الضحى	٩٣.
لم يرد فيها شيء.	الشرح	٩٤.
عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "أنزلت سورة والتين بمكة" (السيوطي، الدر المنثور، ٨/٥٥٣).	التين	٩٥.
لم يرد فيها شيء.	العلق	٩٦.
لم يرد فيها شيء.	القدر	٩٧.
لم يرد فيها شيء.	البينة	٩٨.
لم يرد فيها شيء، وإنما ورد اسم إذا زلزلت كما في الحديث اللاحق في سورة العاديات.	الزلزلة	٩٩.
عن الحسن البصري رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ : "إذا زلزلت تعدل نصف القرآن والعاديات تعدل نصف القرآن" (الشوكاني، فتح القدير، ٥/٦٩٥).	العاديات	١٠٠.
عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "أنزلت سورة القارعة بمكة" (السيوطي، الدر المنثور، ٨/٦٠٥).	القارعة	١٠١.
لم يرد فيها شيء.	التكاثر	١٠٢.
عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "أنزلت سورة والعصر بمكة" (السيوطي، الدر المنثور، ٨/٦٢١).	العصر	١٠٣.
لم يرد فيها شيء.	الهمزة	١٠٤.
لم يرد فيها شيء.	الفيل	١٠٥.
لم يرد فيها شيء.	قريش	١٠٦.
لم يرد فيها شيء.	الماعون	١٠٧.

١٠٨.	الكوثر	لم يرد فيها شيء.
١٠٩.	الكافرون	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا زلزلت تعدل نصف القرآن، والكافرون تعدل ربع القرآن" (ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ٦٧٨/٨).
١١٠.	النصر	لم يرد فيها شيء.
١١١.	المسد	لم يرد فيها شيء.
١١٢.	الإخلاص	عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من قرأ سورة الإخلاص فقد قرأ ثلث القرآن" (العراقي، تخريج الإحياء، ٦٢/٥).
١١٣.	الفلق والناس	لم يرد في تسميتهما للوجوده نص، وإنما سميتا بأول آية فيهما، عن عائشة رضي الله عنها قالت: "إن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة، جمع كفيه ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما: "قل هو الله أحد." و"قل أعوذ برب الفلق." و"قل أعوذ برب الناس." ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات" (البخاري، ٥٠١٧).
١١٤.		كما اشتهرت تسميتهما بالمعوذتين، سئلت السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: "بأي شيء كان يوتر رسول الله ﷺ ... وفي الثالثة ب"قل هو الله أحد" و"المعوذتين". (أبو داود، ١٤٢٤).

ملحق رقم (٢):

أسماء سور القرآن الكريم التوقيفية والاجتهادية  
بناءً على دراسة الدكتورة منيرة الدوسري:

الرقم	الأسماء التوقيفية	الأسماء الاجتهادية
١.	الفاحة	فاتحة الكتاب، فاتحة القرآن، أم الكتاب، أم القرآن، القرآن العظيم، السبع المثاني، الوافية، الكثر، الكافية، الأساس، التور، الحمد، الشكر، الرقية، الشفاء، الشافية، الصلاة، الدعاء، السؤال، تعليم المسألة، المناجاة، التفويض
٢.	البقرة، الزهراء	سنام القرآن، فسطاط القرآن
٣.	آل عمران، الزهراء	طيبة، الكثر، الأمان، المجادلة، الاستغفار، المعينة
٤.	النساء	النساء الطولى أو الكبرى
٥.	المائدة	العقود، المنقذة، الأحبار
٦.	الأنعام	***
٧.	الأعراف	***
٨.	الأنفال	بدر، الجهاد
٩.	التوبة، براءة	الفاضحة، العذاب، المقشقة، المنقرة، البحوث، الخافرة، المثيرة، المبعثرة، المخزية، المنكلة، المشردة، المدممة
١٠.	يونس	***
١١.	هود	***
١٢.	يوسف	***
١٣.	الرعد	***
١٤.	إبراهيم	***
١٥.	الحجر	***
١٦.	النحل	النعم

سبحان، بني إسرائيل	الإسراء	.١٧
الحائلة	الكهف، أصحاب الكهف	.١٨
كهيعص	مریم	.١٩
الكليم، موسى	طه	.٢٠
اقترب	الأنبياء	.٢١
***	الحج	.٢٢
قد أفلح	المؤمنون	.٢٣
***	النور	.٢٤
***	الفرقان	.٢٥
الجامعة، طسم، طسم الشعراء	الشعراء	.٢٦
سليمان، الهدهد، طس	التمل	.٢٧
طسم، موسى	القصص	.٢٨
***	العنكبوت	.٢٩
***	الروم	.٣٠
***	لقمان	.٣١
المضاجع، سجدة لقمان، المنجية	السجدة، ألم تتريل، ألم تتريل السجدة	.٣٢
***	الأحزاب	.٣٣
***	سبأ	.٣٤
الملائكة	فاطر	.٣٥
قلب القرآن، المعمة، المدافعة، القاضية، العظيمة عند الله، حبيب النجار	يس	.٣٦
***	الصفات	.٣٧
داود	ص	.٣٨
العُرف	الزُمر	.٣٩
الطُول، حم الأولى	غافر، المؤمن، حم المؤمن	.٤٠
السجدة، حم السجدة، المصاييح، الأقوات، سجدة المؤمن	فصلت	.٤١
***	الشورى، حم عسق، عسق	.٤٢
حم الزخرف	الزخرف	.٤٣
***	الدخان، حم الدخان	.٤٤
حم الجاثية، الشريعة، الدهر	الجاثية	.٤٥

حم الأحقاف	الأحقاف	.٤٦
القتال، الذين كفروا	محمد	.٤٧
***	الفتح	.٤٨
***	الحجرات	.٤٩
الباسقات	ق، ق والقرآن المجيد	.٥٠
***	الذاريات	.٥١
***	الطور	.٥٢
***	النجم	.٥٣
اقتربت الساعة	القمر	.٥٤
عروس القرآن	الرحمن	.٥٥
***	الواقعة	.٥٦
***	الحديد	.٥٧
الظَّهَار، قد سمع	المجادلة	.٥٨
بني التَّضْيِير	الحشر	.٥٩
الامتحان، المودة	المُمتحنة	.٦٠
الحواريين، عيسى	الصَّفِّ	.٦١
***	الجمعة	.٦٢
إذا جاءك المنافقون	المنافقون	.٦٣
***	التغابن	.٦٤
التَّسَاءَلُ القُصْرَى (الصَّغْرَى)	الطَّلَاق	.٦٥
المتحرِّم، لِمَ تُحرِّم، النبي	التَّحرِيم	.٦٦
تبارك الملك، المانعة، المجادلة، الواقعة	الملك، تبارك، تبارك الذي بيده الملك، المنجية	.٦٧
ن، ن والقلم	القلم	.٦٨
السلسلة، الواقعة	الحاقة	.٦٩
سأل سائل أو سأل، الواقع	المعارج	.٧٠
إنا أرسلنا نوحاً	نوح	.٧١
قل أوحى	الجن	.٧٢
***	المزمل	.٧٣
***	المدثر	.٧٤
لا أقسم بيوم القيامة، لا أقسم	القيامة	.٧٥
هل أتى على الإنسان، هل أتى، الدهر،	الإنسان	.٧٦

الأبرار، الأمشاج		
والمرسلات عرفاً، العرف	المرسلات	.٧٧
عم يتساءلون، التساؤل، المعصيرات	النبأ	.٧٨
الساهرة، الطامة	النازعات	.٧٩
السفرة، الصاخة، الأعمى	عبس	.٨٠
كورت	التكوير، إذا الشمس كورت	.٨١
انفطرت	الانفطار، إذا الشمس انفطرت	.٨٢
ويل للمطففين، التطفيف	المطففين	.٨٣
انشقت	الانشقاق، إذا السماء انشقت	.٨٤
السماء ذات البروج	البروج	.٨٥
السماء والطارق	الطارق	.٨٦
سبح	الأعلى، سبح اسم ربك الأعلى	.٨٧
هل أتاك حديث الغاشية	الغاشية	.٨٨
***	الفجر	.٨٩
لا أقسم بهذا البلد	البلد	.٩٠
***	الشمس، والشمس وضحاها	.٩١
***	الليل، والليل إذا يغشى	.٩٢
***	الضحى	.٩٣
ألم نشرح، الانشراح	الشرح	.٩٤
والتين والزيتون	التين	.٩٥
إقرأ، القلم	العلق، إقرأ باسم ربك	.٩٦
إنا أنزلناه في ليلة القدر	القدر	.٩٧
أهل الكتاب، القيمة، البرية، المنفكين	البينة، لم يكن الذين كفروا أو لم يكن	.٩٨
الزلازل، زلزلت	الزلزلة، إذا زلزلت	.٩٩
***	العاديات	.١٠٠
***	القارعة	.١٠١
المقرة	التكاثر، أهاكم التكاثر	.١٠٢
***	العصر	.١٠٣
ويل لكل همزة، الحطمة	الهمزة	.١٠٤
الم تر كيف	الفيل	.١٠٥
الإيلاف	قريش، لإيلاف قريش	.١٠٦

الدين، التكذيب، أرأيت أو أرأيت الذي يكذب، اليتيم	الماعون	.١٠٧
إنا اعطيناك الكوثر، النحر	الكوثر	.١٠٨
المُشَقِّشَة، العبادة، الإخلاص، المنابذة، الدين	الكافرون، قل يا أيها الكافرون	.١٠٩
إذا جاء نصر الله والفتح، التوديع، الفتح	التَّصْر	.١١٠
تبت، أبي لهب، اللهب، تبت يدا أبي لهب	المسد	.١١١
الأساس، التوحيد، المشقشة، الصمد	الإخلاص، قل هو الله أحد	.١١٢
المشَقِّشَتَان، المشققتان (مع سورة الناس)	الفلق، قل أعوذ برب الفلق، المعوذتين (مع سورة الناس)	.١١٣
المشَقِّشَتَان، المشققتان (مع سورة الفلق)	الناس، قل أعوذ برب الناس، المعوذتين (مع سورة الفلق)	.١١٤

- عدد السور التي لها أكثر من اسم توقيفي ٢٥ سورة
- عدد السور التي لها اسم توقيفي واحد ٨٩ سورة
- عدد السور التي لها اسم واحد فقط ٣٥ سورة
- عدد السور التي لها اسم اجتهادي إضافة إلى التوقيفي ٧٦ سورة

ملحق رقم (٣): مواقع الآيات التي وردت فيها أسماء السور  
نعرض في الجدول الآتي إلى أرقام الآيات التي ورد فيها اسم السورة:

السورة	عدد الآيات	الآيات التي ورد فيها الاسم	الآيات التي ورد فيها موضوع الاسم
الفاتحة	٧		ليس هناك ما يدل باستثناء الموقع
البقرة	٢٨٦	٦٧ (وردت بدون أَل التعريف)	٧٣-٦٧
آل عمران	٢٠٠	٣٣	٦٢-٣٣
النساء	١٧٦	١/٣/٤/٧/١١/١٥/١٩/٢٢/٢٣ / ٢٤/٣٢/٣٤/٤٣/١٢٧/١٢٩/١٧٦ (١٦ آية)	١-٥، ١١-١٣، ١٩-٢٥، ٣٢-٣٦، ٧٥، ٩٨، ١٢٤- ١٣٠، ١٧٦ (٣٠ آية).
المائدة	١٢٠	١١٤/١١٢ بدون أَل التعريف (آيتان)	١١٥-١١٢
الأنعام	١٦٥	١٣٦/١٣٩/١٤٢ بأَل التعريف، ١٣٨ بدون أَل التعريف	١٤٦-١٤٢
الأعراف	٢٠٦	٤٨/٤٦	٤٩-٤٦
الأنفال	٧٥	١	٤١/١
التوبة	١٢٩	١٠٤	٣/٥/١١/١٥/٢٧/١٠٢/١٠٦ / /١١٢/١١٧/١١٨ (١٠ آيات)
يونس	١٠٩	٩٨	
هود	١٢٩	٥٠/٥٣/٥٨/٦٠ (٤ آيات)	٦٠-٥٠

جميع السورة	/٤٦/٢٩/٢١/١٧/١١/١٠/٩/٧/٤ /٨٥/٨٤/٨٠/٧٧/٧٦/٦٩/٥٦/٥١ (٢٢ آية) ٩٩/٩٤/٩٠/٨٩/٨٧	١١١	يوسف
	١٣	٤٣	الرعد
٤١-٣٥	٣٥	٥٢	إبراهيم
٨٤-٨٠	٨٠	٩٩	الحجر
	٦٨	١٢٨	النحل
	١	١١١	الإسراء
٢٥-٩	٢٥/١٧/١٦/١١/١٠/٩ (٦ آيات)	١١٠	الكهف
٣٧-١٦	٢٧-١٦ (آيتان)	٩٨	مریم
	١	١٣٥	طه
٩٢-٤٨ ذكر مجموعة من الأنبياء		١١٢	الأنبياء
٣٧-٢٥	٢٧	٧٨	الحج
١١-١	١	١١٨	المؤمنون
	٣٥	٦٤	النور
	١	٧٧	الفرقان
٢٢٧-٢٢٤	٢٢٤	٢٢٧	الشعراء
١٩-١٨	١٨	٩٣	النمل
	٢٥	٨٨	القصص
	٤١	٦٩	العنكبوت
٦-٢	٢	٦٠	الروم
١٩-١٢	١٢	٣٤	لقمان

السجدة	٣٠	١٥ ليس بشكل مباشر
الأحزاب	٧٣	٢٧-٩
سبأ	٥٤	١٩-١٥
فاطر	٤٥	١
يس	٨٣	١
الصفافات	١٨٢	١
ص	٨٨	١
الزمر	٧٥	٧٣-٧١ (آيتان)
غافر	٨٥	٣
فصلت	٥٤	٤٤-٣ (آيتان)
الشورى	٥٣	٣٨
الزحرف	٨٩	٣٣
الدخان	٥٩	١٠
الجاثية	٣٧	٢٨
الأحقاف	٣٥	٢١
محمد	٣٨	٢
الفتح	٢٩	١
الحجرات	١٨	٤
ق	٤٥	١
الذاريات	٦٠	١
الطور	٤٩	١
النجم	٦٢	١
القمر	٥٥	١
الرحمن	٧٨	١
الواقعة	٩٦	١
		٧-١

	٢٥	٢٩	الحديد
٤-١	١	٢٢	المجادلة
بنو النضير/٧-٢	٢	٢٤	الحشر
١١-١٠	١٠	١٣	المتحنة
	٤	١٤	الصف
١١-٩	٩	١١	الجمعة
٨-١	١	١١	المنافقون
	٩	١٨	التغابن
٧-١	١	١٢	الطلاق
٥-١	١	١٢	التحریم
	١	٣٠	الملك
	١	٥٢	القلم
	٣-١ (آيات)	٥٢	الحاقة
	٤-٣ (آيات)	٤٤	المعارج
جميع السورة	٢٦-٢١-١ (ثلاث آيات)	٢٨	نوح
١٥-١	١	٢٨	الجن
١١-١	١	٢٠	المزمل
٧-١	١	٥٦	المدثر
٦-١	١	٤٠	القيامة
٣-١	١	٣١	الإنسان
	١	٥٠	المرسلات
٣-١	٢	٤٠	النبأ
	١	٤٦	النازعات
١٠-١	١	٤٢	عبس
	١	٢٩	التكوير

	١	١٩	الانفطار
٦-١	١	٣٦	المطففين
٢-١	١	٢٥	الانشقاق
١١-١	١	٢٢	البروج
	٢-١ (آيتان)	١٧	الطارق
	١	١٩	الأعلى
	١	٢٦	الغاشية
	١	٣٠	الفجر
	٢-١ (آيتان)	٢٠	البلد
٥-١	١	١٥	الشمس
	١	٢١	الليل
جميع السورة في الموضوع نفسه	١	١١	الضحى
جميع السورة في الموضوع نفسه	١	٨	الشرح
٤-١	١	٨	التين
٥-١	٢	١٩	العلق
٥-١	٣/٢/١ (ثلاث آيات)	٥	القدر
٤-١	٤-١	٨	البينة
جميع السورة في الموضوع نفسه	١	٨	الزلزلة
٦-١	١	١١	العاديات
جميع السورة في الموضوع نفسه	٣-٢-١ (ثلاث آيات)	١١	القارعة
٢-١	١	٨	التكاثر
جميع السورة في الموضوع نفسه	١	٣	العصر
	١	٩	الهمزة
جميع السورة في الموضوع نفسه	١	٥	الفيل
جميع السورة في الموضوع نفسه	١	٤	قريش

الماعون	٧	٧-٤ أو كل السورة مرتبطة بالموضوع
الكوثر	٣	١
الكافرون	٦	جميع السورة في الموضوع نفسه
النصر	٣	جميع السورة في الموضوع نفسه
المسد	٥	٥
الإخلاص	٣	ليس هناك ما يدل على الاسم بشكل مباشر
القلق	٥	١
الناس	٦	١-٢-٣-٦ (أربع آيات)

ملحق رقم (٤): تقسيمات السور كمجموعات:

العدد	السور	التصنيف	الرقم
٥	غافر - فاطر - النور - الرحمن - الأعلى	أسماء الله تعالى	١
٧	يونس - هود - يوسف - إبراهيم - محمد - نوح - الأنبياء	أسماء الأنبياء عليهم السلام	٢
٩	الأحزاب - الحشر - التوبة - الإسراء - الفتح - المجادلة - التحريم - عبس - النصر	أحداث	٣
٧	الرعد - النجم - الطور - القمر - الطارق - الشمس - البروج	الفلك	٤
٧	البقرة - الأنعام - النمل - النحل - العنكبوت - العاديات - الفيل	حيوانات، حشرات	٥
٧	المؤمنون - المنافقون - الكافرون - الإنسان - الناس - الشعراء - المطففين	أقسام من الناس	٦
٣	سبأ - قريش - الروم	قبائل وأمم	٧
١٥	الواقعة - القيامة - الحاقة - الفارعة - النبأ - الغاشية - الأعراف - الزمر - الدخان - الجاثية - التغابن - التكويد - الانفطار - الانشقاق - الزلزلة	اليوم الآخر أو من أحداثه	٨
٤	الصفافات - الذاريات - المرسلات - النازعات	الملائكة	٩
٣	المزمل - المدثر - الشرح	أحداث خاصة بالنبي	١٠
٣	فصلت - الفرقان - القدر	أمور متعلقة بالقرآن الكريم	١١
٢	الحج - السجدة	عبادات	١٢
١	الحجرات	بناء	١٣
١	الحديد	معادن	١٤
٦	الجمعة - العصر - الضحى - الفجر - الليل - الفلق	أوقات	١٥

٢	النساء- الطلاق	اجتماعيات	١٦
١	القلم	كتابة	١٧
١	الجن	الجن	١٨
٣	الحجر- الأحقاف- البلد	أسماء مواقع	١٩
٣	مریم- لقمان- آل عمران	صالحون	٢٠
١	التين	نباتات	٢١
٤	يس- ص- ق- طه	أحرف مقطعة	٢٢
١٧	الفاتحة- القصص- الممتحنة- الماعون- الهمزة- الشورى- الزخرف- الصف- العلق- البينة- التكاثر- الإخلاص - المعارج- الملك- الكوثر- الأعراف- الأنفال	أمور أخرى	٢٣
١	الكهف	أماكن	٢٤
١	المائدة	طعام	٢٥

## المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الفكر- بيروت، لبنان. ط٣، ١٩٩٥.
٢. إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة-بيروت، د.ت.
٣. الإسلام لله تعالى في سورة البقرة، عبدالحميد محمد طهماز، دار القلم- دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٩٩٣.
٤. أسماء سور القرآن وفضائلها، د. منيرة الدوسري، دار ابن الجوزي- السعودية، ط١، ١٤٢٦هـ.
٥. أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر- بيروت، ١٩٩٥.
٦. الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، محمد أحمد القاسم، مصر، ط١، ١٩٧٩.
٧. أنوار الترتيل وأسرار التأويل، عبد الله البيضاوي (ت: ٧٩١هـ)، دار الفكر- بيروت، ١٩٩٦.
٨. أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، عبد الله شحاتة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ط٤، ١٩٩٨.
٩. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، دار الفكر- بيروت، ط١، ١٩٨٨.

١٠. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي الحسيني (ت: ١٢٠٥ هـ)، دار الفكر- بيروت، ط١، ١٩٩٤.
١١. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع- تونس، د.ت.
١٢. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط٣، ٢٠٠٩.
١٣. تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، اسماعيل بن كثير (ت: ٧٧٤ هـ)، بيت الفكر الدولية- الرياض، ١٩٩٩.
١٤. تفسير أبي السعود، أبو السعود (ت: ٩٨٢ هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٩٩٩.
١٥. تفسير البيضاوي (أنوار التزويل وأسرار التاويل)، عبد الله البيضاوي (ت: ٧٩١ هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٩٨٨.
١٦. التفسير التوحيدي، حسن الترابي، دار الساقى، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٤.
١٧. تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مطبعة دار أخبار اليوم- مصر، ١٩٩١.
١٨. تفسير الطبري (جامع البيان عن تاويل القرآن)، محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ)، دار الفكر- بيروت، ١٩٩٥.
١٩. تفسير القرآن الكريم، محمود شلتوت، دار القلم- بيروت، ط٣، ١٩٦٥.
٢٠. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، محمد القرطبي (ت: ٦٧١ هـ)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر- مصر، ط٣، ١٩٦٧.

٢١. التفسير الكبير (مفتاح الغيب)، محمد الرازي (ت: ٦٠٤ هـ)، المكتبة التوقيفية، ١٩٩٥.
٢٢. تفسير الكشاف، محمود الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ١٩٩٥.
٢٣. تفسير الماوردي (النكت والعيون)، علي الماوردي (ت: ٤٥٠ هـ)، دار الكتب العلمية، د.ت.
٢٤. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية-بيروت، ط٢، ٢٠٠٥.
٢٥. التفسير المنير، وهبة الزحيلي، دار الفكر-بيروت، ط١، ١٩٩١.
٢٦. التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر-مصر، ط١، ١٩٩٧.
٢٧. سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف-الرياض، ١٩٩٥.
٢٨. سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، الترمذي (ت: ٢٩٧)، دار إحياء التراث العربي-بيروت. د.ت.
٢٩. صحيح البخاري، محمد اسماعيل البخاري (ت: ٢٦٥ هـ)، مكتبة الإيمان-المنصورة، ٢٠٠٣.
٣٠. صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الألباني، المكتبة الإسلامية-بيروت، ط٣، ١٩٨٨.
٣١. صحيح مسلم، مسلم النيسابوري (ت: ٢٦١ هـ)، مكتبة الإيمان-المنصورة، د.ت.
٣٢. عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذي، محمد بن عبد الله ابن العربي المالكي (ت: ٥٤٣ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط١، ١٩٩٧.

٣٣. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف الحلبي (ت: ٧٥٦ هـ)، عالم الكتب- بيروت، ط١، ١٩٩٣.
٣٤. العنوان وسميوطيقا الاتصال الديني، محمد فكري الجزار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨.
٣٥. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ)، دار مصر للطباعة- مصر، ط١، ٢٠٠١.
٣٦. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق- القاهرة، ط٣٥، ٢٠٠٥.
٣٧. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧ هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ٢٠٠٤.
٣٨. كشف الخفاء ومزيل الإلباس، إسماعيل العجلوني (ت: ١١٦٢ هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٩٩٧.
٣٩. لسان العرب، جمال الدين محمد بن منظور (ت: ٧١١ هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ٢٠٠٣.
٤٠. مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط٩، ١٩٨٠.
٤١. محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي (ت: ١٩١٤م)، دار الحديث- القاهرة، ٢٠٠٣.
٤٢. المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٦ هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٩٩٣.
٤٣. مختار الصحاح، محمد الرازي (ت: ٦٦٦ هـ)، دار الغد الجديد- القاهرة، ط١، ٢٠٠٧.

٤٤. المدخل إلى الدراسات القرآنية، أبو الحسن الندوي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ٢٠٠٤.
٤٥. مسند أحمد، أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٨.
٤٦. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث- القاهرة، ٢٠٠١.
٤٧. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (ت: ٣٩٥ هـ)، دار إحياء الكتب العربية- بيروت، ط٢، ٢٠٠٨.
٤٨. المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (ت: ٥٠٢ هـ)، د.ت.
٤٩. من أسرار الأسماء في القرآن الكريم، بسام جرار، مركز نون للدراسات القرآنية، فلسطين، ط١، ٢٠٠٣.
٥٠. من أسرار اللغة في الكتاب والسنة، محمود الطناحي، المكتبة المكية- مكة المكرمة، ط١، ٢٠٠٨.
٥١. نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، محمد الغزالي، دار الشروق، القاهرة، ط٨، ٢٠٠٥.
٥٢. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين إبراهيم البقاعي (ت: ٨٨٥ هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٩٩٥.